الهدف
سياسية عربية — كل الحقيقة للجماهير
السبت ١٢ تموز — العدد ٩٦ — السنة الحادية عشر — الثمن : ١٠٠ ق. ل.

الغزال الذي بشّر بزلزال

مفكرة

في ذكرى قيامة غسان..

حسين أبو النمل

ذكرى قيامة غسان الثامنة ، لمن نقدم العزاء ؟

ارف !
أحبة !
رفاق !
جميعا .. للخيل. والخيل هي الخيل.
هي جمع الأحبة
هي الجديرة بأرث الرجل .
تذكر غسان ، للخيل حضور
الجد والاتقة .
، واقفة .
لكن :
ما ينهار فيها راسها المرفوع ابدا .
الخيل. فارسٌ يرفع قلما. والصهيل.
وعدٌ .
يختزن زهرة لوز جليلية. ومن ثم
ة تواضع للامسة شقائق النعمان .
ة ، ركوع ، سجود فصلاة في حضرة
زيتونة .
ة عمرها دهر ، في جوفها ، بحمايتها
تنمو زهرة .
يقطفها رجل يقدمها لامراة . عربون
حب ، ويقول لها :
لمتها غسان ان حبنا للمراة يبدأ من
العنق فما فوق .
ن امراة ،
اة ، أم ، الامراة اخت ، الامراة بنت .
الامراة زوجة ، الامراة حب
ن الطبيعي .
الامراة في الزمن الفلسطيني ، رحم.
رجال — الاجيال ، حملة البنادق .
البندقية هي الرصاصة .
اصة هي الكلمة في مرحلة التطبيق.
اصة ما زالت منطلقة ، او في لحظة
الانطلاق ، انها في فوهة البندقية.

غسان : الحلم الفلسطيني، ما زال واسعا
كفوهة البندقية .
فوهة البندقية هي الفعل .
لا زلنا في دائرة الفعل .
ان نكون في دائرة الفعل ، يعني ان الحلم
هو في لحظة التحقق.
وبين الحلم الفلسطيني ، دم .
ومن يملك الدم ينجز الحلم .
والدم ثمن كاف لانجاز وطن .
وما غسان ، انت الدم ، والوطن، والحلم.
غسان ، كنت شاتا ، كنت انسانا ، كنت
عاديا الى ان تحولت الى ملحمة .
تحولت الى محبرة ،
طوعا ، تحولت الى محبرة .
طوعا ، اعطيت : جسدي لكم ايها الرفاق
غداء ، فاغمسوا اقلامكم في جسدي.
... وجسدي محبرة لكم . كما كان جسد
المسيح خبزا لـ «التلامذة» .
... جسدي لكم محبرة فاحفظوا شرف
الامانة .
... ولا امانة ، سوى ان فلسطين عربية.
لا امانة سوى ان تكون لديكم الابباء عن
استغنائي لانني قد مضيت .
اعترف :
قد مضيت ، فانا ، ككل بشر ، لدي اسبابي.
معنى الشخصي .
لكل منا شهوة .
و «شهوتي» ان اذهب الى عكا . وقد
اتيحت لي الفرصة .
كان الثمن باهظا : تفجير ، فتدحرج الزعيم
وقد وسمت ، مضيت .
شهوتي ، أن الاعب موج عكا ، تقدمي
العاريين ،
شهوتي ان اغازل عكا ،
وعكا ، كما يافا ، كما الوطن ، كما الموت،

شأن خاص ، خاص جدا .
غسان : هذ بدأ شلال الدم الفلسطيني
بالتدفق، اصبح لون الموت احمرا .
وحين توشحت بالدم
حين كبرت لدرجة الشهادة
اصبح لون الموت أخضرا
وبالدم يصبح ربيع بلادنا اكثر خضرة .
ايها الكبير قبل التفجر ، ولما كان، أضحيت
الكبرياء .
لك : الشيء الشخصي الذي تحب: زهرة.
و :
علينا متابعة المسيرة .
والى « عكا وان طال السفر »
وفي يافا سيتواني رجل .
يتأخر قليلا ليقطف زهرة برتقال كي يقدمها
لامراته ، ويهمس في اذنها : الم اقل لك
عن شذى برتقالنا .
قد تتأخر عليك ايها الجميل ، لكننا آتون ،
ولن تخف الزمن ، فعكا ستبقى جارة البحر،
غير خائفة من هديره .
وستبقى العيون الجميلة ، مشاعل تضيء
لنا الطريق بحثا عن رجل ، غادرنا ، نبحث
عنه ، نعرف أين هو ، انه يجلس فوق
صخرة على شاطيء عكا ، يغازل البحر ،
ويلاعب الموج .
وفي ذكرى قيامتك الثامنة .
الجميل حضور ، لان للمجد والاتقة حضور.
... ولانك كبير ، فللبحر، والغابة حضور
والامل كبير ، واسع ، كفوهة بندقية ،
جميل كبسمة طفل .
كقهوة الفجر .
كالرجل الذي يقف ، كما عهدت ، في النقطة
الوسط بين القائد والشاعر .
غسان : ايها الجميل ..
ما زالت الايدي على الزناد .

Digitized by Birzeit University Library

المكاتب
بيروت ـ لبنان ـ كورنيش المزرعة
ملك كامل جبد الله مروه
ص.ب ٢١٤ ـ تلفون ٣٩٢٣٠
التلكس ١٢ نموز
العدد ٢٩٦ ـ السنة الحادية عشر

اصدرها عام ١٩٦٩ الشهيد غسان كنفاني
رئيس التحرير بسام ابو شريف
المدير المسؤول محمد البابلي
المدير الفني محمود داورجي

ثمن النسخة

العراق	١٥٠ فلس
سوريا	١٥٠ ق.س
الكويت	١٥٠ فلس
الاردن	١٥٠ فلس
ج.م.ع.	١٥٠ مليم
ليبيا	٤٠٠ درهم
الخليج العربي	٤٠٠ فلس
المغرب	٣ دراهم
الجزائر	٣ دنانير
تونس	٣٠٠ مليم
عدن	١٥٠ فلس

الاشتراكات

في لبنان وسوريا و ج.م.ع. والاردن ١٠٠ ل.ل. ـ للمؤسسات والدوائر الرسمية ١٥٠ ل.ل. ـ للطلاب والعمال والفلاحين ٧٥ ل.ل. ـ في العراق ـ الكويت والخليج ـ السعودية ـ اليمن ـ السودان ـ ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ١٥٠ ل.ل. ـ للمؤسسات والدوائر الرسمية ٢٥٠ ل.ل. ـ للطلاب والعمال والفلاحين ٧٥ ل.ل. ـ عدن ١٠ دنانير ـ افريقيا ـ الولايات المتحدة ـ كندا ـ اليابان ـ باكستان ـ الصين ـ ايران ٥٠ دولار او ١٥٠ ل.ل. ـ اوروبا الشرقية والغربية ٤٠ دولار او ١٢٥ ل.ل. ـ اميركا الجنوبية ٥٠ دولار او ١٥٠ ل.ل.

AL - HADAF
TEL - 309230
P.O.BOX 212
BEIRUT - LEBANON

التوزيع في القطر العربي السوري
« المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات »

الضاءة

● في الثامن من تموز عام ١٩٧٢ ، استشهد غسان ، ومنذ ذلك اليوم الحزين ، ومحله الشهيد ((الهدف)) ، تمضي على هدي من دماء الشهيد ، المضيئة ، تواصلا في المسيرة ، ووفاء للعهد ... واليوم ، وفي الذكرى الثامنة لانطلاقة السهم، المتسع ، المتجه صوب ((عكا)) واعالي الجليل ، تقدم ((الهدف)) عددها الخاص ، مقاربة متواضعه من عالم غسان كنفاني ، المدهش ، والمستمر ابدا .

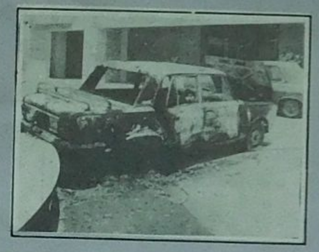

● حرب السيطره واقامه ((الدويله الكتائبيه)) اخذت ابعادا جديده في اعقاب الهجمات العسكريه الواسعه التي شنتها عصابات الكتائب ضد مواقع الاحرار لفرض هيمنتها الكامله على مناطق الفيتو الانعزالي . وتاتي هذه الحرب لتضع حزب الاحرار امام النهايه المتوقعه .

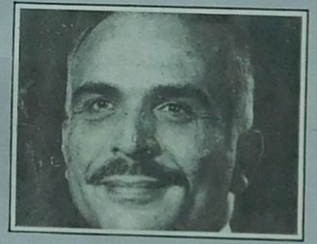

● يعتقد ملك النظام الاردني ان بامكانه اخفاء صورته الحقيقيه وارتباطاته المشبوهه كلما اراد ذلك ، مستفيدا من التغطيه الفلسطينيه والعربيه له . ولكن سنبقى الحقائق تلاحقه ، لقد سبق وكشفت ((الهدف)) عن حقيقه اتصالاته بالصهاينه ، وها هي تكشف عن اكثر الارتباطات خطوره .. ارتباطه بالسي. اي. اي.

هذه المجلة

١ ■ « يجب بالضرورة وقبل كل شيء آخر ، ... ايجاد الصلة الفعليه بين المدن على اساس العمل المشترك المنتظم ، واني اؤكد باصرار ان الشروع بايجاد هذه الصلة الفعلية غير ممكن الا على اساس الجريدة العامة ... » .

٢ ■ « (يجب ان) تصبح هذه الجريدة جزءا من منفاخ حدادة هائل ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقا عاما ، وحول هذا العمل ، الذي يبدو بريئا جدا وصغيرا جدا بحد ذاته ، ولكنه منتظم وعام بكل معنى الكلمة ، ينبغي بصورة منتظمة ويتعلم ، جيش دائم من مناضلين مجربين » .

«لينين»

موقفنا

غسان كنفاني
سيبقى الشعلة الخالدة
التي تقود المشاعل الأخرى

في عام ١٩٨٠ ، تشتد الهجمة الشرسة على وطننا العربي تحاول ان تفتك به . فالامبريالية والصهيونية والرجعية ، الثالوث ، المتحالف لنهب الوطن ، يسعى لقتله ايضا من خلال خنق الفكر ومنع الكلمة .

ان الحرب التي يشنها هذا الثالوث على الثورة العربية الناهضة من اعماق الجياع والكادحين لا تشن على جبهة عسكرية فقط بل هي حرب تشن ايضا على الثقافة النابعة من صفوف هؤلاء الجياع والكادحين اصحاب الحق والمدافعين عنه.

وهي الحرب التي لا يسمع ضجيجها عكس تلك الحرب الضارية التي يصم ضجيجها الآذان . انها حرب صامتة تسعى لفرض الصمت على كل الجبهات الاخرى .

في عام ١٩٨٠ وفي الذكرى الثامنة لاستشهاد غسان كنفاني ينتشر في وطننا العربي القمع وكاتم الصوت لمنع الفكرة من الولادة ولمنع الحق من الانطلاق ولمنع الريشة من نشر الالوان الحمراء .

في تموز ١٩٨٠ نعلن ان التحالف الثلاثي قد وحد الاساليب والادوات لتتعانق طلقات ((العوزي)) وكاتم الصوت في جسد قلم في بيروت أو كلمة في نابلس أو تمثال لم يكتمل في اكثر من عاصمة عربية .

في الثامن من تموز ١٩٧٢ فجر العدو الصهيوني سيارة غسان كنفاني لينتشر جسده في الهواء وفي الارض . انه اسلوب الفاشيين ، حيثما كانوا ، وفي كل زمان ومكان .

قتل الكلمة برصاصة أو بعبوة جزء من معركة العدو ضد كل الجديد الناهض والمبشر بمستقبل واعد .

لكن لهذه الهجمة وجه آخر ...

انه وجه العجز عن مواجهة الحق والحقيقة .

وهذا بحد ذاته دليل قوة للكلمة ، الحقيقة .

وهذا دليل قوة لمنطق الحق الذي امتشق سلاحه غسان وامتشق سلاحه بسام الشكعة وكريم خلف ، والقائمة طويلة .

صحيح ان جسد غسان انتشر في الارض ولكن كي ينبت سنابل الحرية في كل مكان .

وكذلك فعلت كلماته ، انتشرت رصاصا في صدور الاعداء وعوامل تعبئة بين صفوف الشعب .

ان الدرس الكبير للثوريين هو في معرفة وتقدير قيمة الكلمة الطلقة ، وهم مدعوون اليوم لاستخدامها استخداما فاعلا وفعالا في المعركة الطويلة ضد الاعداء .

ان الكلمة سلاح من اسلحة الثورة لتعبئة الجماهير في المعركة الطويلة من ناحية وسلاح ضد العدو يطارده اينما كان ويعريه ويعزله .

ولذلك يشن ثالوث كمب ديفيد حربه ضد الكلمة جنبا الى جنب مع معركته العسكرية ضد الثوار .

ولذلك تحارب الرجعية الكلمة وتحاول ان تقتلها في مهدها وتحرم على الانسان العربي حقوقه الاساسية وعلى راسها حقه في التعبير عن رايه .

من هنا فان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وفي مقدمتها حرية الكلمة يجب ان يصبح جزءا لا يتجزأ من برامج حركة الثورة العربية وعلى راسها الثورة الفلسطينية .

فحركة الثورة العربية عندما تدافع عن حق الانسان العربي في الانضمام للعمل الثوري العربي انما تدافع عن استمرارها حتى الانتصار .

غسان كنفاني استشهد وسيستشهد آخرون لكنه سيبقى الشعلة الخالدة التي تقود كل المشاعل الاخرى .

Digitized by Birzeit University Library

على قدمين من زيتون عاد الى نابلس

استقبلت نابلس ابنها البطل بسام الشكعه الذي عاد اليها بعد غياب قسري .

عاد بسام الى نابلس على قدمين من زيتون استقبلته نابلس ، كل نابلس الضفه ، كل الضفة ، تسعينا ، كل تسعينا ، مؤكدا وبكلمه واحدة : كلنا بسام الشكعه ، الذي حاطب « تسعينه » قائلا :

لقد تمكنوا من تحطيم ساقاي ولكنهم لن يقدروا على تحطيم روح النضال لدي .

حتى لو قتلوا الشعب الفلسطيني كله ما عدا امرأة واحدة ، فان اطفالها سيستمرون في النضال من اجل فلسطين .

وجدد تحيل اسرائيل مسؤولية الاعتداء عليه وعلى رئيسي بلديتي رام الله والبيرة كريم خلف وابراهيم الطويل وقال : انه لا أحد في العالم العربي يشك في مسؤولية السلطات الاسرائيلية عن هذه الجرائم .

وكان المناضل الشكعة قد عاد يوم ٨ الجاري الى نابلس ولدى وصوله الى جسر اللنبي على نهر الاردن في طريقه الى مدينة نابلس ، استقبلته اعداد غفيرة من ابناء مدينته ومن مدن وقرى الضفة الغربية الاخرى بالهتاف بحياته وحياة منظمة التحرير الفلسطينية وهم يلوحون باغصان الزيتون والدوالي .

ورافق الشكعة الى الجسر الذي يربط بين الضفتين الغربية والشرقية الزعماء الفلسطينيون الثلاثة الذين كانت "اسرائيل" قد ابعدتهم عهد القواسمة ومحمد ملحم والشيخ رجب التميمي وقد اتخذت القوات الاسرائيلية المرابطة في المكان اجراءات مشددة وقامت باغلاق الجسر لمدة ساعة للحؤول دون دخولهم الى الضفة الغربية .

وكانت السلطات العسكرية الاسرائيلية قد حذرت رؤساء البلديات في الضفة الغربية من الاشتراك في النشاطات السياسية وقامت اليوم بمنعهم من التوجه الى جسر اللنبي والى مدينة نابلس للمشاركة في مهرجانات الترحيب

وعند وصول الشكعة الى مدينة نابلس استقبله سكان المدينة التي يبلغ عدد سكانها نحو تسعين الف مواطن بالاهازيج ومهرجانات الترحيب ونحرت الخراف على مقدمة سيارة الاسعاف التي كانت تقله وبلغ الحماس بمستقبليه الى رفعه على الاكتاف رغم حالته الصحية وطافوا به بعض شوارع المدينة وهم يهتفون لفلسطين ويرسمون اشارات النصر .

الرفيق جورج حبش يهنئ الرئيس الجزائري بذكرى الاستقلال

بعث الرفيق جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برقية للرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد يهنئه فيها بالذكرى الثامنة عشر لاستقلال الجزائر .. وجاء في البرقية :

« لقد شكل انتصار شعبنا العربي في الجزائر بقيادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، احدى المحطات المهمة في تاريخ النضال العربي الحديث واحدى التجارب الرائدة في نضال الشعوب المتطلعة الى التحرر والاستقلال .

ونحن في الثورة الفلسطينية نتطلع الى ثورة المليوني شهيد ، كاحد التجارب الرائدة التي نستمد منها الدروس في نضالنا الوطني ، وخاصة ذلك التصميم الذي واجهتم به محاولات الاستعمار الفرنسي في الاستيطان وربط الجزائر نهائيا بفرنسا » .

واشار الرفيق الامين العام في برقيته الى اتفاقيات كامب ديفيد ونفرعاتها فاكد ان « خطورة تلك الاتفاقيات ستتعدى وباشكال مختلفة الاطار الفلسطيني لتشمل في النهاية مجمل حركة التحرر الوطني العربية والانظمة الوطنية والتقدمية العربية ومكتسباتها بهدف اعادة المنطقة الى مواقع النفوذ الامبريالي واخضاعها كليا للاطماع الصهيونية باشكالها المختلفة » .

واضافت البرقية :

« وفي اطار التصدي لتلك الهجمة التي نواجهها تتحمل جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية جنبا الى جنب مع الثورة الفلسطينية والانظمة الوطنية والتقدمية ، مسؤولية توفير الامكانيات الضرورية للصمود ، والارتقاء بصيغ التنسيق والتحالف التي تتيح أعلى درجات ممكنة من التضامن الكفاحي . وفي هذا الاطار تبرز أهمية تنفيذ مقررات جبهة الصمود والتصدي ودعم نضالات جماهيرنا في الارض المحتلة ، والتصدي بحزم للقوى الرجعية التي تحاول الانقضاض على منجزات ومكتسبات حركة التحرر الوطني العربية كمهمات ملحة تواجهنا جميعا ، وخطوات ضرورية في التصدي لاتفاقيات كامب ديفيد الخيانية ومؤامرة الحكم الاداري الذاتي » .

الجبهة الشعبية تتضامن مع الشعب الكوري

أعرب الرفيق جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، عن التضامن والدعم للشعب الكوري ونضاله العادل .

جاء ذلك في البرقية التي بعث بها الى الرفيق كيم ايل سونغ الامين العام للجنة المركزية لحزب العمل الكوري رئيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بمناسبة شهر التضامن مع نضال الشعب الكوري الصديق في شطري كوريا ...

وجاء في البرقية : « منذ ما يزيد عن ربع قرن والشعب في كوريا يعاني ابشع انواع الاستغلال والاضطهاد ، من قبل القوات الامريكية الغازية والطغمة العميلة ، ولا تزال الامبريالية الامريكية تزيد من تواجدها العسكري في كوريا ، للمحافظة على النظام العميل المتهاوي ، ومحاولة منها للحفاظ على كوريتين مصطنعتين » .

وجاء ايضا : « ان هجمة السلطات في جنوب كوريا في مواجهة الانتفاضة الجماهيرية وفرض الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها ينير سخط كل القوى المحبة للسلام والتقدم الاجتماعي » .

واكد الامين العام في برقيته على « ثقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ان قضية الشعب الكوري في طرد الغزاة الامريكيين وتحقيق وحدته الوطنية بقيادة حزب العمل الكوري ستحقق النصر المحتوم » .

واشارت البرقية الى تزايد الهجمة الصهيونية في وجه جماهيرنا في الارض المحتلة ، بعد ان فشلت أطراف كامب ديفيد في فرض مؤامرة الحكم الذاتي وقالت : « وبالرغم من تكالب كل القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية فاننا واثقون من تحقيق الانتصار مستندين بذلك الى عدالة قضيتنا ودعم كل قوى الاشتراكية والتقدم والحرية في العالم » .

المراب الامريكي بتوسط بورغ وعلي

لقاء واشنطن

محطة في جولات مكوكية حتى الخريف القادم

المفاوضات ما زالت تراوح في مأزقها .. الخطة الأمنية الصهيونية في "مناطق الادارة الذاتية"

على اثر بحث قضية القدس في مجلس الامن مؤخرا وانتزاع القرار القاضي بعدم شرعية كافة الاجراءات التي اتخذتها السلطات الصهيونية لتغيير الطابعين الديموغرافي والجغرافي للمدينة ، باغلبية ١٤ صوتا مقابل اعتراض مندوب الادارة الامريكية في مجلس الامن ، صرح يغائيل يادين نائب مناحيم بيغن في الحكومة الصهيونية ، والقائم باعماله في فترة مرضه الاخير ، قائلا : ذلك لن يغير شيئا ، فمستقبل القدس سيقرره ما نفعله نحن هنا في القدس .. ان تصريح يادين هذا ليؤكد مدى صلافة القادة الصهاينة ، واستهتارهم بالرأي العام العالمي ، وبقرارات المنظمات الدولية الذين هم اعضاء فيها ، وخاصة بقرارات مجلس الامن الدولي التي يجب بالضرورة ان تكون ملزمة للاطراف المتنازعة هذا من جهة ، ومن جهة اخرى يؤكد تصريح نائب رئيس حكومة العدو على ان الكيان الصهيوني ماض في تثبيت احتلاله الاستيطاني العنصري من خلال الحقائق المادية الثابتة ، بقوله : « سيقرره ما نفعله نحن هنا في القدس » ، لسان حاله يقول : وليس ما تقرره المنظمات الدولية او مفاوضات «الحكم الاداري الذاتي » ..

وفي هذا السياق اتت اوامر مناحيم بيغن للبدء في نقل مكاتب من القدس الغربية للقدس الشرقية ، وكذلك ما فعله نيدي كوليك منذ سنوات في نقل مقر ومؤسسات بلدية القدس الغربية للجزء الشرقي منها ، وكذلك الحزام الاستيطاني الذي لف القدس بالمستوطنات وغيرها من الاجراءات الصهيونية ..

*** وتبقى كذلك قضية السيادة على مصادر المياه في المناطق المزمع ضمها « للادارة الذاتية » قضية خلاف ، والموقف الصهيوني لا يترك حتى مجالا للحوار والتفاوض حول ذلك، اذ انه يرى في « سيادته » على مصادر المياه قضية حياة مستوطنيه ومستوطناته في مناطق « الحكم الاداري الذاتي » وضمانة لاستمرار تدفقها اليهم في الفترة الانتقالية المقترحة ..**

الخطة الامنية تكريس للاحتلال

فلقد كشفت صحيفة « يديعوت احرانوت » النقاب عن الخطة الامنية « الاسرائيلية » حيث قالت الصحيفة تلك ، واكدتها اذاعة العدو يوم الجمعة بتاريخ ٢٧ حزيران الماضي مايلي:

« تنص المبادىء الاساسية في نظام الامن الاسرائيلي الذي تراه الحكومة (الاسرائيلية) بعد اقامة الحكم الذاتي على انتشار الجيش الاسرائيلي على جميع محاور الحركة في المناطق (المحتلة) ، واقامة قواعد للجيش بالقرب من جميع المراكز السكانية ومفترقات الطرق الحيوية والاصرار على الاحتفاظ بالترابط الجغرافي بين المستوطنات والمنشآت العسكرية واقامة محطات الانذار والمراقبة على قمم الجبال ، ومواصلة مرابطة قوات الجيش الاسرائيلي على طول غور الاردن ، وحق وحدات الجيش بالتحرك ، دون الحاجة لاذن من سلطات الادارة الذاتية ، في كافة المناطق (المحتلة) ... بالاضافة الى الاشراف الاسرائيلي الكامل على المجال الجوي . هذه هي المبادىء الاساسية لمفهوم الامن الاسرائيلي في مناطق الادارة الذاتية » !

وعلى الرغم من ان يوسف بورغ قد ثارت ثائرته عند كشف الخطة « الامنية » قبيل سفره لواشنطن ، الا انه صرح في واشنطن نفسها قائلا : « أمن اسرائيل يعد قبل كل شيء ، مسؤلية اسرائيل نفسها » .. وفي هذا الصدد، صرح كمال حسن علي لصحيفة « واشنطن ستار » ان النظام المصري يقترح تشكيل دوريات عسكرية اردنية صهيونية مشتركة للاشراف على الامن في الضفة الغربية المحتلة، اضافة الى تعديلات في الحدود بهدف « اعادة توحيد القرى التي يقع جزء من اراضيها على الحدود السابقة بين اسرائيل والضفة الغربية» واضاف قائلا : « ان هذه الاقتراحات مطابقة لقرار مجلس الامن ٢٤٢ ولبنود اتفاقيتي كامب – ديفيد » ..

تفاوض بلا نتائج

لم تشمل مفاوضات جولة واشنطن الاخيرة كافة الموضوعات مثار الخلاف والتفسير ، بل انت لتضع القضايا تلك في عجلة المفاوضات من جديد من اجل البدء في دورة قد تمتد لشهور قادمة .. ولقد صرح ليتوفيتس ان استئناف المفاوضات لا يعني التغلب على الخلافات الا ان افضل « وسيلة للتغلب عليها تتمثل في مناقشاتها في اطار المفاوضات » ..

اقتصرت اذن الجولة الاخيرة على لمس بعض القضايا ، اذ قال كمال حسن علي: ان قمة واشنطن تطرقت الى ضرورة خلق أجواء تساعد على انضمام الفلسطينيين « في مرحلة من المراحل الى المفاوضات » واعترف ايضا بانهم تباحثوا حول « اعادة توزيع القوات الصهيونية في مواقع امنية عدة ، وفقا لاتفاقيتي كامب – ديفيد » ..

واعترف احد اعضاء الوفد المصري في واشنطن للصحافة الامريكية ان « محادثات « الحكم الاداري الذاتي » التي مضى عليها اكثر من عام لم تحقق اي تقدم ذا مغزى برغم تصريحات اصدقائنا – يعني الامريكيين – بين الوقت والاخر عن وجود تقدم » .. ويأتي هذا التصريح ليكشف عقم التصريحات الامريكية.. الا ان السؤال الذي يطرح نفسه في اذهان المعديين والمتتبع في : ما الهدف اذا من وراء الجولات المتفاوضية المستمرة ؟

ورقة عمل امريكية توفيقية

يحاول السادات مسح وجهه بالمساحيق التجميلية للتغطية على الاستسلام الذي اقدم عليه ، واخذت مواقفه المهزوزة المتخبطة ترتسم على سياساته .. فبعد ان « اوقف » المفاوضات في منتصف ايار الماضي عاد ليدفع بعجلتها مرة اخرى .. وفي سياق العودة للجولات التفاوضية والدوران في حلبتها ، جاء طلب كارتر الهاتفي للرئيس السادات، بالموافقة على استئناف المفاوضات ، والذي عاجله السادات بالموافقة على ان تجري في « جو

Digitized by Birzeit University Library

ملائم » .. واكد سول ليفوفيتس ان استئناف المفاوضات « لا يقترن باي زمن محدد » .. والتي من المفترض ان تبدأ في الاسبوع القادم على المستوى الوزاري ..

وذكرت وكالات الانباء ان ثمة ورقة عمل امريكية « توفيقية » قد قدمت للطرفين المتفاوضين ، وتركزت محاورها على «الجوانب الاجرائية تاركة الجوانب الموضوعية لمرحلة تالية » .. وافاد المراقبون بان المحاور الاساسية في ورقة العمل « التوفيقية » تركزت في النقاط التالية :

١ ــ التفاوض في حق السكان العرب في القدس الشرقية في الاشتراك بانتخابات سلطة « الحكم الاداري الذاتي » ،

٢ ــ قضية السيادة على مصادر المياه ،

٣ ــ قضية المستوطنات الصهيونية،

٤ ــ المسائل المتعلقة بالامن ،

واكدت وكالات الانباء بان « ورقة العمل التوفيقية » الامريكية ليست ملزمة للاطراف، ولا تتعدى كونها افكار لتحريك المفاوضات المتعثرة ..

الى أين ؟

تفوح من تصريح كمال حسن علي قبيل مغادرته مطار القاهرة الى واشنطن روائح المرحلة المنظورة ، اذ انه قال بان نظامه « سيستمر بالمفاوضات حتى نهاية العام ، واذا لم يتم التوصل الى اتفاق فان مصر ستتخذ موقفا آخر .. » ، هذا في حين صرح اسامة الباز عضو الوفد المصري في المفاوضات ان النظام المصري « سيعود الى تعليق المفاوضات اذا كررت اسرائيل محاولاتها لضم القدس » ..

مهما يكن من امر التصريحات المتعددة تلك، فان الاطراف المتفاوضة متفقة على السير قدما في التفاوض رغم العقبات المستعصية بانتظار ترتيب اوضاع البيت الابيض بعد الانتخابات الامريكية في تشرين الثاني القادم ، وكذلك فوز المعراخ بزعامة « حزب العمل » الصهيوني في انتخابات الكنيست العاشر .. وفي السياق ذاتي تاكيدات السادات لبعض مقربيه التي ابدى فيها مراهنته على ان مرحلة ما بعد الانتخابات الامريكية ومجيء حزب العمل سينشأ عنه وضع جديد « لا يقوم على الاعتماد على اتفاقيتي كامب ــ ديفيد فحسب ، بل على اشراك اوروبا الغربية » ..

ان كل ما نقدم ليبين اننا في انتظار جولات تفاوضية حكوكية قد تستمر الى الخريف القادم بانتظار ترتيب البيتين الامريكي و «الاسرائيلي».

ك . ق

في الاسبوع الماضي وبعد صدور قرار مجلس الامن بشان الاجراءات الصهيونية في القدس كشف النقاب عن خطه صهيونيه تشامله لتهويد القدس ، تتضمن بناء حي يهودي جديد ، وزياده عدد اليهود في المدينه ومصادره مساحات ضخمه من الاراضي العربيه ، وفي اجتماع الاسبوع الماضي لمجلس وزراء العدو الصهيوني ، خصص الاجتماع لمناقشه هذه الاجراءات الى جانب بحث العلاقات « الاسرائيليه » ــ الامريكيه .

وقالت مصادر بلدية القدس ، ان « اسرائيل » ستبني ضاحية يهودية كبيرة جديدة شمالي القدس ، على اراضي احتلتها في العام ١٩٦٧ .

وذكرت هذه المصادر ان « لجنة تنظيم منطقة القدس » وافقت على ذلك ، والمخطط هذا الذي تمت الموافقة عليه ، هو اول مشروع « اسرائيلي » شامل يتناول القدس كلها بما في ذلك القطاع الشرقي .

وكانت السلطات اليهودية وقبل ساعات من صدور قرار مجلس الامن الاخير حول القدس والذي انكر على « اسرائيل » خطوة تغيير وضع القدس واعلانها عاصمة لها قد وافقت اي السلطات الصهيونية على قانون يعلن القدس « عاصمة ابدية غير مجزأة لاسرائيل » حيث وافقت اللجنة القانونية التابعة

تهويد القدس عملية مستمرة

القرار الصهيوني الآن يستهدف وضع أطراف التسوية أمام الأمر الواقع

للبرلمان « الاسرائيلي » دون تعديل على مشروع القانون هذا .

ويطالب القرار بضم القدس الشرقية ، ويعرف المدينة الموحدة بانها عاصمة « اسرائيل » ويقول : « بان وحدة القدس كما تحققت بعد حرب الايام الستة لن تزدوج ، ويدعو التشريع المؤسسات الحكومية الى الانتقال الى القدس » ويذكر بان معظم المؤسسات الحكومية قد نقل فعلا .

وايد مشروع القرار حزب العمل الصهيوني المعارض ، الذي يراهن النظام المصري وغيره كالنظام الاردني على بجاحه في الانتخابات الاسرائيلية القادمة باعتباره اكثر مرونة من تكتل الليكود ، ويمكن الوصول معه الى حل وسط بشان مدينة القدس باعتبارها مسالة اساسية ، وعقبة في طريق الوصول الى حل يرضي الطرفين الصهيوني والعربي المستسلم .

ولكن في اي اطار يجب وضع القرار الصهيوني الجديد ؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات ؟؟

اذا كان صحيحا ان صدور القرار بهذا الشكل

وبهذا المستوى يمكن القول فيه بانه الاول من نوعه ، الا ان الاحداث والوقائع تؤكد بان مؤامرة تهويد المدينة المقدسة باكملها مستمرة منذ نشوء فكرة « الوطن القومي » لليهود في فلسطين ، حيث وضعت خطة مدروسة لتحقيق ذلك وكان نصيب القدس كبيرا ، واخذ المخطط يتسع بعد وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني عام ١٩١٨ ، وكانت نتيجة السياسة التآمرية التي انتهجتها بريطانيا مع الوكالة اليهودية ان ازدياد عدد السكان اليهود من ١٠،٠٠٠ عام ١٩١٨ الى ١٠٠،٠٠٠ عام ١٩٤٨ ، كما زادت نسبة الاراضي المملكة من قبل اليهود في مدينة القدس من ٤ ٪ الى ١٤ ٪ في نفس السنوات . وفي العام ١٩٤٨ عندما حلت النكبة انقسمت القدس الى مدينتين حيث احتل الصهاينة ٨٠ ٪ من مساحة المدينة ، وطردوا حوالي ٦٠ الف مواطن عربي .

وما ان جاء العام ١٩٦٧ حتى ارتفع عدد سكان القدس من ١٠٠ الف نسمة عام ١٩٤٨ الى ١٩٠ الف عام ١٩٦٧ ، كما زادت نسبة المتملك من ١٤ ٪ الى ٩٣ ٪ .

وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ تمكن الكيان الصهيوني من احتلال باقي المدينة والاراضي الفلسطينية الاخرى الى جانب اراضي عربية اخرى ، وفي هذا الوقت كان الحظ اوفر من السابق لتهويد القدس . وتمت عملية التهويد هذه المرة بالعنف والقوة والارهاب من جهة ، واستصدار القوانين والقرارات المخالفة

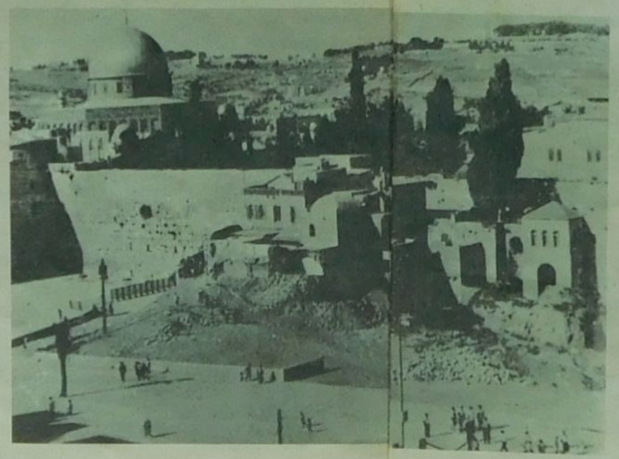

للقوانين والاعراف الدولية خاصة لوثيقة جنيف وحقوق الانسان من ناحية اخرى .

ويمكن تلخيص الاساليب الصهيونية لتحقيق هذا الهدف بالاشكال التالية :

ــ تدخل السلطات الاسرائيلية في الشؤون التشريعية والقضائية ، فقد استصدرت عدة تشريعات وأوامر أهمها قانون صدر عام ١٩٧٠ الذي تم بموجبه الغاء القوانين الاردنية المعمول بها في القدس ، والغاء المحاكم العربية القائمة فيها ، كما الغيت محكمة البداية ، ونقلت محكمة الاستئناف الى رام الله ، والعديد من القرارات الاخرى المتعلقة بهذه المسائل وهي :

ــ تهويد التعليم العربي ، فقد سعت السلطات تطبيق المناهج التعليمية التي تدرس في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ على المدارس الحكومية في المدينة ، وبموجب قانون الاشراف الذي اصدرته عام ١٩٦٩ منحت نفسها حق الاشراف على المدارس الاهلية والطائفية ، وتهدف من ذلك كله اضعاف الروح الوطنية عند الطلاب العرب ، الى جانب تزييف الحقائق التاريخية والايهام بان ارض فلسطين ارض يهودية منذ القدم .

ــ انتهاك حرمة الاماكن المقدس ، فمنذ اليوم الاول للاحتلال ، اخذت سلطات الاحتلال امتهان الاماكن المقدسة واستفزت مشاعر المواطنين العرب ، واقدمت على سلسلة من الاعمال العدوانية ضدها .

١ ــ احراق المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ .

٢ ــ استهلاك ومصادرة ونسف العقارات الوقفية الاسلامية الملاصقة للمسجد .

٣ ــ احتلال باب المغاربة احد ابواب الحرم الشريف واقامة مركز عسكري فيه .

٤ ــ اقامة صلوات ومظاهرات يهودية داخل الحرم.

٥ ــ اجراء حفريات عميقة خلفه ، من المحتمل ان تؤدي لانهياره .

٦ ــ وفي ٢٨ / ١ / ١٩٧٦ اصدرت خاصة صلح « اسرائيل » قرارا باباحة صلاة اليهود في الحرم .

٧ ــ وهذا المعام صدر قرار بمصادرة شركة القدس الكهربائية .

وتكررت الاعتداءات على الاماكن المقدسة المسيحية وعلى رجال الدين المسيحيين في المدينة وتمثلت هذه الاعتداءات بما يلي :

١ ــ سرقة تاج السيدة العذراء من كنيسة القيامة عام ١٩٦٧ .

٢ ــ تحطيم تناديل الزيت والشموع الموجودة فوق القبر المقدس في مدخل كنيسة القيامة .

٣ ــ محاولة سرقة اكليل مرصع بالماس من داخل كنيسة القيامة .

٤ ــ الاعتداء على دير الابطال ليلة عيد الميلاد المجيد .

٥ ــ في ١١ / ٢ / ١٩٧٤ احراق اربعة مراكز مسيحية في القدس واحراق المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون في ٦ / ٣ / ١٩٧٣ .

٦ ــ ممارسة الضغوط على رجال الكنيسة لاجبارهم على التنازل عن ممتلكاتهم .

وبالرجوع الى مجمل الاجراءات التي قامت بها سلطات الاحتلال في مدينة القدس والخاصة بتهجير السكان ، وهدم المنازل ، ومصادرة الاراضي والاعتقال الجماعي ، وطرد المواطنين ، نجد انها تشكل جرائم حرب ، وجرائم ضد الانسانية ، ادانها المجتمع الدولي ، باعتبارها تشكل انتهاكا لاحكام القانون الدولي .

« خصوصية القدس »

وبهذا الاطار ، اطار سياسة التهويد السابقة والتي ما زالت مستمرة حتى الآن يجب أن نفهم القانون والاجراءات الصهيونية الاخيرة التي تحدث بها « اسرائيل » العالم ، وضربت بقراراته عرض الحائط ، فها هي « غيولا كوهين » النائبة الصهيونية تصرح امام اعضاء اللجنة البرلمانية « بانه من الاهمية بمكان في اللحظة التي يقول فيها العالم باسره « لا » أن يقول الكنيست « نعم » .. » .

فسياسة تهويد القدس مسالة ليست جديدة كما تؤكد الوقائع التي تم تناولها . ولكن لماذا يصدر هذا القرار في هذا الوقت بالذات ؟؟

ان لمسالة القدس خصوصية هامة في حياة الكيان الصهيوني ، فالحركة الصهيونية تطرح على العالم حقها التاريخي في القدس باعتبارها العاصمة التاريخية لهم واذا ما لم ينجح الكيان الصهيوني في تكريس هذا الادعاء الذي تدحضه وقائع التاريخ الذي لن نكون بصدد مناقشته في هذه المقالة ، باعتباره موضوعا تطرقت اليه مختلف الاقلام ، ولكونه بالنسبة لنا حقيقة علمية وتاريخية لا تستدعي المناقشة ، اذا لم ينجح الكيان الصهيوني في تكريس هذا الادعاء فان علامة استفهام كبيرة سترسم على مستقبل الحركة الصهيونية وعلى مستقبل « الوطن القومي » وهذا ما يفسر لقاء مختلف اجنحة واطراف الصهيونية حول هذه المسالة فبمقدار ما يعتبرها « الليكود » العاصمة « الابدية » فان المعراخ لا يقبل اي مساومة حولها .

هذا من الزاوية الاستراتيجية ، اما من الناحية المرحلية ، فان للقرار علاقة مباشرة بمسيرة التسوية الامريكية والمباحثات المصرية ــ « الاسرائيلية » .

« فاسرائيل » التي حصلت على غالبية ما تريد المحصول عليه من النظام المصري لا بضيرها الآن ان تتجمد المحادثات بينها وبين مصر لاي وقت آخر ، و « اسرائيل » التي حصلت على ما تريد ، عبر فرضها للامر الواقع ، فهي اليوم تسعى لترجمة نفس الاسلوب ، وفرض الامر الواقع على مدينة القدس ، لتفرض هذا الواقع بالتالي ليس على سير التسوية فحسب ، وانما على العالم ككل . وهي تريد ان تقول لامريكا ولمصر وللانظمة الرجعية « المنتظرة » الواقفة على محطة « كامب ديفيد » بان القدس عاصمة ابدية غير مجزأة « لاسرائيل » لا مساومة ولا مناقشة فيها ، فهي الخط الاحمر والسقف الذي لا يمكن ان يتجاوزه اي صهيوني .

وكما حققت « اسرائيل » ما ارادته سابقا فهي بهذه السياسة وكما تشير الدلائل والمعطيات فانها ستحقق هدفها هذا ، فالنظام المصري الذي جمد المحادثات قبل فترة ، عاد وتراجع واستانفها من جديد ، دون ان يحقق ما اراده من التجميد ، وعاد السادات ليعتمد على صدق « نواياه » بيغن في « السلام » وأوهام المزاهة باتفاقات « كامب ديفيد » التي هي بطبيعتها المؤامرة الكبرى .

واكتفت مصر باعلان « اسفها للخطوة « الاسرائيلية » وبانها تخالف نص وروح اتفاقيتي كامب ديفيد » .

واذا كان العراب الامريكي قد حث « اسرائيل » « على ان لا تجري اي تغيير في الوضع النهائي للمدينة قبل ان يتقرر ذلك في المفاوضات » الا ان امريكا مارست كل الضغوطات بما فيها التهديد باستخدام حق الفيتو ضد القرار اذا ما تجاوز الحدود التي تقبل فيها ، وفوق كل ذلك فانها قد تحفظت على القرار .

وهذا يعني بشكل واضح ان الطرفين الآخرين في اتفاقيات كامب ديفيد مهيئين تماما للتراجع وللتسليم بما يريده الكيان الصهيوني .

ان مؤامرة تهويد القدس والاراضي العربية مستمرة ولن يوقفها قرار مجلس الامن الاخير ولا نتيجة المحادثات المصرية ــ « الاسرائيلية » ، فقد قال بيغال يادين رئيس الوزراء بالوكالة عقب صدور قرار مجلس الامن « اننا مستاؤون من قرار مجلس الامن ولكن هذه ليست المرة الاولى التي يحدث فيها شيء من هذا القبيل ، والحقيقة الثانية هي ان القدس عاصمة « اسرائيل » الموحدة ، ولن يغير شيء من هذه الحقيقة » .

ان مؤامرة تهويد القدس ما زالت مستمرة ، والمؤتمر الاسلامي الذي اسس من اجل القدس مشغول بغيرها ، بافغانستان ومجابهة الثورة الافغانية ومعاداة السوفيات !!

فان الطريق الوحيد المناهضة سياسة العدو الصهيوني واسقاطها ، بشان القدس والمقدسات الاسلامية والمسيحية ، وللحفاظ على عروبتها التاريخية ، وحتى تبقى عاصمة لفلسطين ، وللاديان السماوية ، هو المزيد من النضال لاحداث خلل في ميزان القوى وفرض الامر الواقع المضاد على الكيان الصهيوني .

صابر عارف

Digitized by Birzeit University Library

الرفيق أبو علي مصطفى لصحيفة الخليج

نطالب اخواننا في فصائل الثورة إعادة النظر بالعلاقة مع الأردن

للرد على مؤامرة سركيس والجبهة الفاشية مصممون على منع تمرير كامب ديفيد رقم (٢)

متفائلون بالدورة القادمة للمجلس الوطني الفلسطيني وسنطالب باشراك جبهة التحرير والنضال الشعبي

تعيش الساحه الفلسطينيه حاله مخاض عسيرة ، هناك التصاعد النوعي في النضال الجماهيري في الداخل ، وفي الخارج تقف المقاومه الفلسطينية امام اشكال عديده من التحدي ، في مصيرها ، في وحدتها ، في برامجها الانيه والاستراتيجية . ووسط هذه الاجواء ، يصبح مطلوبا من المقاومه الفلسطينيه ان تجيب على العديد من استفسارات تثل طرحها في هذه الآونه . كيف ستقود دفه النضال الفلسطيني ؟ ما مصير جبهة القوى الرافضه للحلول الاستسلامية؟ كيف حضرت لدورة المجلس الوطني الفلسطيني القادمه ؟ واخيرا المؤتمر الرابع للجبهه الشعبيه لتحرير فلسطين الذي طال انتظاره ، عن ماذا سيتمخض ... ؟

كل هذه الاسئلة يجيب عنها الرفيق ابو علي مصطفى عضو المكتب السياسي ونائب الامين العام للجبهه الشعبية لتحرير فلسطين لصحيفه « الخليج » . وفيما يلي نص المقابله :

* كثر الجدل والحوار مؤخرا حول وضع « جبهة الرفض الفلسطينية » وتوقف فاعليتها لاسباب عديدة ، هل يمكن لكم ان توضحوا لنا الى اي نقطه وصلت اليها هذه الجبهه حاليا ، بما انكم تمثلون ثقلا معينا في داخلها ؟

● السؤال مهم من جانبين :

الجانب الاول ، يتعلق بالفترة السياسية التي انشئت فيها صيغة جبهة الرفض لتمثل موقفا سياسيا في فترة محدده ، على ضوء النهج السياسي الذي حكم الساحة الفلسطينية ، باتجاه الاستناد الى مقومات صلبة ، عما نحن لم نكن نراها على انها مقومات صلبة ، عما يتعلق بموضوع تحقيق الدولة الفلسطينية ، من خلال نتائج حرب تشرين ، بالاستناد الى دور مصر وسوريا في هذه الحرب ، ودعم الاتحاد السوفياتي للموقف السياسي الوطني . فقد كان اصحاب هذا النهج يعتقدون بامكانية تحصيل نتائج على ضوء هذه المقومات بينما كنا نرى ان الموضوع في اساسه يتعلق بموازين القوى في تلك الفترة ، وما نستطيع بالاستناد لقراءتها من تحقيقه كانجازات وطنية ، سلاحنا فيها الجماهير ، وبالتالي فان حشدها خلف موقف واعم ، مفاده انه بالامكان تحقيق سلطة وطنية من خلال التسوية ، بينما البرجوازية العربية تقوم بلعبتها الخطيرة ، الامر الذي سيؤدي الى انتكاسة في نضالنا .

من هنا كان شعورنا ضرورة توضيح الحقائق بالموقف السياسي السليم . وتعبئة الجماهير على اساس الابتعاد عن السياسة الواهمة . وجاءت احداث الست سنوات لتثبت صحة التحليل الذي اعتمدنا ، وتحديد الموقف الذي تم على اساسه تعبئة قواعدنا وجماهيرنا ، بالحذر من سياسة التسوية ، وتوضيح مخاطرها وخاصة اننا ننظر الى التسوية انها اشد خطورة على الامة العربية ككل ، وليس على القضية الفلسطينية وحسب .

الجانب الثاني : هو ان هذا الموقف السياسي قد عبر عن نفسه بصيغة من داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وفق صيغة تسمية جبهة الرفض للتسويات الاستسلامية . واتخذت هذه الصيغة أشكالا من المؤسسات لترجمة وحدتها في الموقف السياسي ، الا ان المستجدات السياسية التي حدثت فيما بعد ، وخاصة بعد خطوة السادات استوجبت ، منا ومن كل فصائل المقاومة الفلسطينية ، أن تحدد الحلقة الرئيسية فيما بعد خطوة السادات ، سعيا وراء وحدة الموقف الوطني الفلسطيني .

ومن هنا عاشت الساحة الفلسطينية زخما من الحوارات الديمقراطية ، حول ضرورة تحديد البرنامج السياسي الذي يتلاءم مع طبيعة المرحلة ، ليكون مدخلا لتحقيق وحدة وطنية فلسطينية ، لتمثل شكلا أرقى في صيغ الوحدة ، مما هو حاصل . لقد كانت ونيقة طرابلس في المؤتمر الاول لجبهة الصمود والتصدي ، وبنودها التي اتفقت عليها جميع الفصائل ، التي شكلت قفزة في تحديد المدخل السياسي تجاه موضوعات التسوية . وبهذه الوثيقة استطعنا متفقين ككل ، أن نجعلها ركيزه أساسية في مشروع البرنامج السياسي ، الذي كان يجري اعداده فيما قبل الدورة الرابعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني . وبالفعل أقر هذا البرنامج ، وأصبح ملزما لنا جميعا ، رغم تحفظنا على بند وحيد كجبهة شعبية ، وهو موضوع العلاقة مع النظام الاردني ، وابقينا حقنا في التحفظ على هذا البند ، على أن نعبر عن موقفنا السياسي بشكل مستقل .

ونحن في هذا الصدد كنا منحسين لكي نصل ، ليس فقط الى الاتفاق السياسي ، ولكن للصيغة التنظيمية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية . وبالرغم من تثبيت الجانب التنظيمي نظريا في المجلس ، الا ان المجلس وقيادة منظمة التحرير قد أخفقا في تحويل الجانب التنظيمي الى ميدان التطبيق العملي ، من هنا نعتقد ان صيغة الرفض لا زالت قائمة بحدها الادنى ، على ضوء الاتفاق السياسي الحاصل في الساحة الفلسطينية في مواجهة « كامب ديفيد » مع اننا لا زلنا نطمح لتجذير البرنامج على نحو أفضل مما هو قائم سابقا . في هذه الفترة وخصوصا بعد انعطافة « كامب ديفيد » ، لم تعش جبهة الرفض بنفس الحماس في التصدي للمعركة السياسية كما كان سابقا . ولكن بالمعنى السياسي كان وجودها يعني لنا تحذيرا أكثر في البرنامج الفلسطيني ، ونحن نقبل بيان المؤتمر الرابع لحركة « فتح » على أن يكون برنامجا « للوحدة الوطنية » . لذلك نشعر أن من حقنا أن نناضل من أجل تجذير أكثر في البرنامج الوطني الفلسطيني . أيضا الجانب التنظيمي لا يقل أهمية عن البرنامج السياسي ، في توطيد دعائم الوحدة الوطنية الفلسطينية .

ان مبرر وجودها مرهون برغد عملية الوحدة التنظيمية للثورة الفلسطينية ، أما عندما تتحقق هذه الوحدة ، يصبح آنئذ بالامكان اعادة الاعتبار للاوضاع الجديدة ، ومراجعة هذه الصيغة .

* يجري الاعداد لمؤتمركم العام منذ فترة ، وقد سبق ان تاجل عدة مرات لاسباب كثيره ، كيف تنظرون الى هذا المؤتمر الآن في ظل الظروف السياسية المعقدة وطنيا وقوميا ودوليا ، وهل سيشكل نقلة نوعيه في حياة الجبهة ؟

● في مفهومنا للمؤتمرات نعتبرها ضرورية وحاسمة في حياة التنظيمات ، أساسيتها تتوضح من خلال :

أ — تعزيز الروح الديمقراطية في التنظيم .

ب — المشاركة الجماعية في عملية المراجعة للمرحلة.

ج — استشراف المستقبل ورسم البرامج النضالية التي تستجيب لمهمات المرحلة القادمة .

على أرضية هذا الفهم نجزم أن يكون مؤتمرنا الرابع القادم ، وخاصة بعد مضي ثماني سنوات على المؤتمر الثالث للجبهة ، ليشكل قفزة في تحديد العديد من المسائل على الصعيدين الداخلي والخارجي ، السياسي والتعبوي ، بما لم تمكنا ظروف المؤتمر الثالث من الوقوف تماما ، وبالكامل امام مجمل القضايا المطروحة في تلك الفرة . وسنترك لقواعدنا التنظيمية والمقاتلين أن تقول رأيها في التقارير المعدة والمطروحة مسبقا ، وما قبل المؤتمر للمناقشة والاغناء وتحديد الآراء ولا اظن انه من المناسب الآن أن أستبق في الاجابة على ما يمكن أن تكونه محصلة النقاش ، قبل أن يستوفي هذا الموضوع على أهميته من قبل كوادر وقواعد الجبهة وقبل المؤتمر .

وفي هذا الصدد أرى من المناسب أن نترك للمؤتمر أن يقول رأيه كاملا ، وبحرية أثناء انعقاده ، حتى نعلن النتائج لجماهيرنا وحلفائنا .

تعارضات واجتهادات خط

* يشاع أن ثمة خلافات داخل الجبهه الشعبية تتمثل بتيارات ومراكز قوى على صعيد القيادة ، ما رأيكم بذلك ، وهل يمكن أن ينعكس — اذا صح وجوده — على جو المؤتمر ؟

● ليس لهذا الحديث أساس من الصحة ، ونحن في الجبهة ، نعتز ونفتخر على اننا أكثر وحدة وتماسكا من أية مرحلة مضت ، ولكن هذا لا يعني انه أثناء عرض الموضوعات السياسية أو التنظيمية سواء في القواعد ، أو في المحطات القيادية ، انه لا يوجد تعارضات في وجهات النظر .

وهذه مسألة طبيعية في التنظيمات والاحزاب . ونحن في نظامنا الداخلي نمارس هذا الحق ، كما نمارسه قواعدنا بضوابط تنظيمية ، مستندة الى مبادىء المركزية الديمقراطية في الحزب بخضوع الاقلية للاكثرية والمراتب الدنيا للمراتب العليا . دون أن نشعر أن هناك أية اشكالات كبيرة في التنظيم . قد تكون هناك اجتهادات في قضايا تكتيكية أو مبدائية عملية أو تنظيمية . ولكن الاساس النظري والسياسي والتنظيمي راسخ في حياة الجبهة ولا نعتقد ان « للفظ » الذي تحدثت عنه نقلا عن جهات معينة ، أي أساس موضوعي ، سوى انها روح عدائية تحاول أن تمس الجبهة باقاويل غير صحيحة .

سياسه الانحناء

* كيف تفسرون التقارب القائم بين منظمه التحرير والاردن ، ثم كيف تقومون السياسة الاردنية الحالية ؟

● أولا ، سيبقى مسعانا الجدي نحو اقامة الوحدة الوطنية الفلسطينية قضية جدية من أجل انجاز هذه الوحدة . على الرغم من الخلاف في وجهتي النظر فيما بيننا وبعض المنظمات الفلسطينية في الممارسة التكتيكية على هذا الصعيد ، كوننا نعرف وجهة نظر المنظمات الموافقة على هذه العلاقة ، انها لا تقوم على أساس لقاء استراتيجي ، وهذه المنظمات أيضا لا تثق بالنظام الاردني ، ولا تركن الى مواقفه تجاه مسالة « كامب ديفيد » ولكنها تجتهد ، وبتقديرنا اجتهاد خاطىء ، ان العلاقة مع النظام الاردني في هذه المرحلة ، تؤهل منظمة التحرير أن تشد هذا النظام الى الموقف المناهض لاتفاقيات « كامب ديفيد » .

وكما تقول هي أي « المنظمة » حتى لا يحدث الاختراق على الجبهة الشرقية عن طريق جر النظام الاردني الى الموافقة على اتفاقيات « كامب ديفيد » ، بينما نحن ، كجبهة شعبية ، نعتقد ان للنظام الاردني سياسة تكتيكية مؤقتة ، لن يطول مداها ، تقتضي منه أن لا يقول نعم لاتفاقيات « كامب ديفيد » .

النقطة الثانية : ان النظام الاردني مارس سياسة الانحناء القليل أمام عاصفة الموقف الرسمي العربي في مناهضة اتفاقيات « كامب ديفيد » مستظلا بمظلة التضامن العربي ، مستفيدا من الدعم المالي في تعزيز أوضاعه الاقتصادية المازومة ، ممارسا لسياسة انتظارية لمرحلة سياسة تهبط فيها وتيرة المناهضة كما يراهن ، منتظرا ازالة عقبتين أساسيتين يعتبرهما قيدا على حركته ، باتجاه أن يكون شريكا في اتفاقيات قادمة .

١ — عقبة الموقف الوطني الفلسطيني أن يتم تحطيم هذه العقبة على الارض اللبنانية سواء من قبل « اسرائيل » في الضربات المباشرة والمتوالية ، أو من قبل الاحتياطي اليميني الفاشي الممثل في الجبهة الانعزالية ، أو من قبل السلطة اللبنانية باعدادها لقواها العسكرية القمعية ، باعتبار الوجود الفاعل للثورة الفلسطينية سياسيا وجماهيريا وعسكريا يرتكز الى حد كبير على صمودنا في لبنان ، كونها الظاهرة العلنية الناشطة ، والتي مثلت ، وما زالت ، تمثل طليعة صدامية في الخنادق الاولى ، دفاعا ليس عن الثورة الفلسطينية وحسب ، وانما عن لبنان والامة العربية .

ولقد أثبتت الثورة الفلسطينية جدارتها وقوتها بتلاحمها مع الحركة الوطنية اللبنانية ، بالصمود في وجه الهيمنة ، بما يخيب آمال القوى المعادية من امكانية تحقيق طموحاتها .

٢ — عقبة الموقف الوطني السوري المناهض لاتفاقيات « كامب ديفيد » حيث تمثل سوريا دورا أساسيا بمواقفها وجماهيرها في التصدي للهجمة . وهذا سيشكل قيدا على النظام الاردني بحكم التجاور وموقع سوريا القريب المحاذي للاردن . وقد مثل شعبنا الفلسطيني في داخل الوطن ، بصموده موقفا أساسيا في التصدي لـ « كامب ديفيد » ممثلا بمؤامرة الحكم الذاتي ، وبذلك وجه صفعة للمراهنين على امكانية احتواء الموقف الفلسطيني ، أو تحطيمه على أرض لبنان .

ائتماء الجبهه الوطنيه الفلسطينيه الاردنيه

استطرد « أبو علي » بقوله .

— الاردن يسعى الى تحقيق مشروع المملكة المتحدة. وقد أفصح « سعيد التل » أحد الوزراء الاردنيين في لقائه مع صحيفة « القبس » الكويتية في العام الماضي ، عن اتجاهات النظام بصدد الموضوع الوطني الفلسطيني بقوله : « ان لا حل للفلسطينيين الا في صيغة المملكة العربية المتحدة » وهذا دليل يضاف الى أدلة أخرى على حقيقة توجهات وسياسات النظام الاردني .

في المجلس الوطني الفلسطيني وخلال الدورة القادمة سنطالب قيادة المنظمة بتقديم أجوبة على البنود التي نص عليها البرنامج السياسي الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الرابعة عشرة ، حيث يقول في بنده الخامس في المجال العربي بالفقرة (ب) : تعلن منظمة التحرير الفلسطينية تمسكها بقرارات القمة العربية في الجزائر والرباط وبغداد التي تؤكد على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وحق شعبنا في اقامة دولته الوطنية المستقلة ، وتعتبر التزام النظام الاردني بهذه القرارات ورفض اتفاقيات « كامب ديفيد » ونتائجها ، والتورط فيها ، وممارسة ذلك ، وتمكين منظمة التحرير الفلسطينية من ممارسة مسؤولياتها النضالية والشعبية ضد العدو الصهيوني ، هو القاعدة التي تحكم علاقة منظمة التحرير الفلسطينية مع النظام الاردني .

فما الذي تم على هذا الصعيد ؟ على المستوى السياسي ، كل تحركات النظام الاردني تشير الى انه يعتبر نفسه شريكا أساسيا في تمثيل الشعب الفلسطيني، وان انشاء الجبهة الوطنية الفلسطينية الاردنية المتحدة هي الضمانة التنظيمية لتضالنا على الساحة الاردنية وجعلها منطلقا لتوارنا نحو الارض المحتلة .

حلم ذاتي

* كيف تفسرون العوده لمحادثات « الحكم الذاتي » رغم كل أسباب الفشل القائمه ؟

● موقف النظام المصري الاخير المتعلق بمباحثات « الحكم الذاتي » ، نعتقد انه مسرحية كي يظهر السادات نفسه وكانه متشدد مع الكيان الصهيوني في حل موضوع المسالة الفلسطينية ، وحتى يقول للعرب ها انذا اتصلب في شروطي من أجل فلسطين ، مع ان هذا كذب وادعاء فاجر ، لان السادات لم يعد عنده شيء يتنازل عنه حتى يتمسك به ، فلقد جردته « اسرائيل » من كل شيء .

الجانب الثاني : الذي استهدفه موقف السادات ◀

Digitized by Birzeit University Library

بالاستكاف عن المفاوضات أساسه ليس في السادات ، وانما في صلابة جماهيرنا وقيادتنا الوطنية في الداخل ، في افشال دعسوة « الحكم الذاتي » حيث لم يجد السادات ، ولن يجد فلسطينيا من شعبنا ، يقبل التعامل معه في تمرير هذه المؤامرة ، وهذا سبب ارباكا لتقدير السادات بامكانية استجلاب رموز فلسطينية تتعامل معه وخاصة في الشهور الاخيرة عندما تصاعد نضال جماهيرنا حيث شكلت صلابتها مأزقا حقيقيا للسادات وكارتر وبيغن في امكانية تحقيق تصوراتهم ، ولذلك لجأ العدو الى القيام باعمال ارهابية دموية ضد القادة الوطنيين أمثال بسام الشكعة وكريم خلف ، اعتقادها منه وبالاتفاق مع أمريكا والسادات ، انه بهذه الطريقة يطوق ارادة جماهيرنا ويحبطها ، ولكننا واثقون ان هذه الضربات وأمثالها ، تزيد من صلابة جماهيرنا ، واصرارها على التصدي .

لهذه الاعتبارات تصرف السادات بشكل مسرحي ، ولكنها مكشوفة وخاصة ان الادارة الامريكية منشغلة في مسألة الانتخابات ، وليس لديها وقت لاقناع السادات بالعودة عن قراره ، وانما هو يقطع ويعود ، يحرد ، ويسترضي نفسه بنفسه . وليس من المستغرب أن يعود من جديد ليعلن انهم جاهزون للمباحثات وتوقعنا انهم جميعا سوف يدورون في ذات الدوامة ، وسيبقى شعبنا عالقا أساسيا في وجه التنفيذ ، مهما كانت حدوده ، مع اننا لا نعتقد ان بيغن سينازل عن كلية واحدة من شروطه ، سواء لجهة البنود الامنية ، أو حق الاستيطان ، كما يقول بيغن ، أو لجهة اقتسام المياه .

ضمن هذا الواقع نستطيع ان نقول ، بلا أدنى تردد، ان هناك حلما ذاتيا لدى بلاني « كامب ديفيد » وسوف لن يتحقق هذا الحلم ، ليصبح حكما ذاتيا ، كما يتوخون . ويمكن القول أخيرا ان هناك سببين في امكانية النفير وتحقيق مخرج معين من المأزق الحالي هما ــ انتهاء الانتخابات الامريكية، وصعود « المعراخ » الى السلطة في الكيان الصهيوني .

ازمة لبنان وكامب ديفيد

* كيف تنظرون الى الصراع الدائر حاليا في لبنان ، وما هي سبل وامكانيات المجابهة الفعلية لبرنامج « كامب ديفيد » على الساحة اللبنانية ؟

● في الاساس لا نعزل ميكانيكا الازمة اللبنانية عن مجريات الصراع في المنطقة . وبالتالي فان أية تصورات عند سركيس تحديدا ، وفق مقولة العزل أو الفصل بين قضية لبنان ، وجملة القضايا العربية بما فيها مسألة الصراع العربي الصهيوني ، انها مقولة واهية وليس لها اي اساس موضوعي ، حيث لا يمكن لا لبنان ولا اي بلد آخر برغبته الخاصة أن ينعزل عن التفاعلات السياسية محليا وعربيا وعالميا . بشبابك مع هذا الوضع عناصر التناقض الداخلية حيث لم تنته المسألة في واقع لبنان عند حدود وقف اطلاق النار بين المتحاربين ، كون السلطة اللبنانية تجنبت ، طيلة أربع سنوات ومعها العديد من القوى ، الوقفة أمام جذر الصراع سواء فيما يتعلق بالهيكلة السياسية للبنان أو بالموضوعات الاجتماعية والاقتصادية ، أو بالقضية الوطنية وكل المحاولات ، ما دامت تتجنب الوقوف أمام جذر الصراع المسألة ستبقى ترقيعية وهشة وقابلة للاشتعال في اطلاق رصاصة .

هذا الطاقم من المرتهنين السياسيين والزعامات الاقليدية وأمراء الطوائف في لبنان لن يستطيع أن يجيب على المسألة بالحل الوطني الديمقراطي ، ولن يستطيع الحل ما دام موقعه الطبقي يريد حلا على حساب الجماهير اللبنانية الكادحة والمظلومة لمصلحة الاربعة بالمائة باستغلالها وفقرها وادامة فقرها . ولا يستطيع أن يجيب على المسألة الوطنية في التصدي للعدو الصهيوني الذي يسرح ويمرح فوق لبنان وفي جنوبه ما دام يفكر بناء ادوات عسكرية لقمع الجماهير الوطنية ، ولبس للدفاع عنها ، وعن كرامتها ، وابرز مثال للارتباط هو « سعد حداد » وتعامله مع العدو في الجنوب باستخدامه كورقة ابتزاز للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

■■

ثلاثي كامب ديفيد يسعى لحلم ذاتي وليس لحكم ذاتي

■■

اننا لن نسمح ومصممين على الرد على نهج سركيس و « الجبهة اللبنانية » المتفقة مع سياسات كارتر السادات بيغن والمؤول دون تمريرها . وسنتصدى لها بكل قوة ، ولن نسمح لاحد ان يمنعنا من ممارسة حقنا المشروع في القتال ضد العدو الصهيوني ، ومشروع لنا أن نمارس هذا الحق من كل الجهات العربية ولم يعطنا أحد رخصة في حمل السلاح من أجل قضيتنا الوطنية المقدسة ، حتى بتصور نفسه انه قادر على سحبه بقرار ، وسيبقى القرار قرار جماهيرنا الوطنية اللبنانية والفلسطينية .

في هذا السياق نرى ضرورة التحالف مع اللاني الوطني المقاومة وسوريا والحركة الوطنية على أن تكون الحركة الوطنية اللبنانية صاحبة القرار السياسي المستقل في التعاطي مع تطورات الوضع في لبنان .

الوفاق والتوطين

* ما هي الاسباب الكامنة وراء اثارة الحديث عن التوطين من قبل بعض الجهات، وهل هي مرتبطة باحاديث الوفاق اللبناني ــ اللبناني ؟

● يستخدم النظام منذ شهور فزاعة التوطين لخلق مناخ تحريضي ضد الثورة الفلسطينية وهو يعرف تماما ان شعبنا الفلسطيني ، رفض كل مشاريع التوطين منذ ٣٢ عاما ، وقبل أن يحمل السلاح ، وهو لا زال يرفض وسيبقى يرفض كل البدائل عن تحرير فلسطين ، وعودته الى دياره . ولقد حملنا البندقية ، وقدمنا الشهداء ، وما نزال ، وهذا دليل على متابعتنا رفض كل المشاريع المشؤومة ، ان كل من يحاول ضرب الثورة ، وتطويقها ، أو الاعتداء على جماهيرنا الفلسطينية واللبنانية ، هو في حقيقة الامر يسعى للتوطين على أرضية التوافق مع المخطط الامبريالي الصهيوني . أما بالنسبة لموضوع الوئاق وكل الحديث الذي يجري به وعنه فهذه مسألة يجيب عليها اخوتنا في الحركة الوطنية اللبنانية . ولكننا سنبقى سندا للحركة الوطنية اللبنانية وجماهيرها ، وسندافع عنها ، وعن حقوقها في التعبير عن نفسها ، كما دافعت وقاتلت الى جانبنا ومعنا ، في خنادق موحدة طيلة السنوات الماضية في مواجهة الهجمة الغدرة التي قادها التحالف الصهيوني الفاشي .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان المناخات التحريضية السياسية التي تنهج وتبرمج لها سياسة سركيس والتي توجت برسالته الى المؤتمر الاوروبي في ايطاليا ، ما هي الا دليل آخر على اتجاهات تجعل من لبنان ممرا لـ « كامب ديفيد » رقم (٢) ولتسهل الطريق أمام النظام بالخطوة الثانية على جبهة التسوية .

سبق هذه الرسالة كمؤشر سافر رسالة قائد الجيش ابان أحداث « الرميلة » وصيدا ، والتي اتهم بها المقاومة الفلسطينية بالاسم ، في الوقت الذي تجنب فيه طيلة سنوات ان يتحدث بكلمة واحدة عن أعمال « سعد حداد » والذي ضرب الجيش في « كوكبا » ، وفي « القطاع الاوسط » ، في ذات الوقت الذي سهلت فيه المقاومة والحركة الوطنية لهذه القوات دخول الجنوب ، على الرغم من عدم فاعليتها .

نقله نوعيه

* هل تعتقدون ان الجو اصبح مناسبا لعقد المجلس الوطني الفلسطيني ، ما هو دوركم في هذه الدوره ؟

● أعطى المجلس المركزي في اجتماعه الاخير في دمشق مؤشرا ايجابيا ، سواء بما حدده فيما يتعلق بنضالات شعبنا في الارض المحتلة ودعمها واتخاذ القرارات المناسبة مع هذا المستوى من النضالات أو فيما يتعلق ببحثه حول المجلس الوطني الفلسطيني . الا انه لم يحدد جدول أعمال الدورة القادمة ، والتوقيت . وقد تم ايضا في هذا الاجتماع بحث مختلف القضايا المعلقة ، لأجل التهيئة لدعوة الدورة الخامسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني .

أما عن توجهنا كجبهة ، وتوقعاتنا ، فانه لن يطرأ شيء جديد على البرنامج السياسي ، مع انه يجب أن تكون وقفة المجلس الوطني في هذه الدورة بالذات ، وقفة مسؤولية أمام المسألة التنظيمية ، وتحقيق صيغة أرض للوحدة الوطنية الفلسطينية . ولدينا شعور من خلال اللقاءات والتفاعلات بين المنظمات ان انجاز هذه المهمة لها حيز كبير من اهتمام المنظمات متفائلين أن يتم في هذه الدورة احداث نقلة نوعية في ما أقر تنظيما في الدورة السابعة الى واقع التطبيق العملي ، وبمشاركة كافة التنظيمات الفلسطينية في اللجنة التنفيذية ، بالنسبة الينا سوف ندخل اللجنة التنفيذية، وموقعنا شاغر داخلها ، الا اننا سوف نطالب باشراك « جبهة التحرير الفلسطينية » و « جبهة النضال الشعبي » .

■

من لا يعرف الرفيق سليمان ناطور .. الصحفي الفلسطيني ، العامل في جريدة « الاتحاد » الناطقة باسم الحزب الشيوعي « راكاح » .. ذلك « الدرزي » الابي الذي ترعرع على روابي دالية الكرمل في شمال الوطن المحتل منذ عام ١٩٤٨ .. سليمان الذي يقول : « انا درزي فلسطيني ، وواحد من هذا الشعب المشرد في وطنه » ... سليمان ناطور رفيق درب الشاعر الفلسطيني سميح القاسم ..

... استدعي للخدمة في جيش الاحتياط الصهيوني الذي يضطهد شعبه الفلسطيني، ويحتل أرض وطنه ، ويبيد حضارته ليبني على انقاضها واطلالها مزيجا من الحضارات الغربيه والتي يدعونها « حضارة شعب الله المختار » ..

بعث بكتاب لوزير الحرب الصهيوني قال فيه : « من ناحية اخلاقية لا استطيع خدمة هذا الجيش الذي ... يضطهد ابناء شعبي » ... ويعتبرني انا وابناء شعبي « سرطانا » في قلب « الدولة » ، واضاف قائلا بأنه يرفض الخدمة « كانسان وكدرزي وكعربي فلسطيني » .

ولاهمية الكتاب الذي رفعه الرفيق سليمان ناطور لوزير الحرب الصهيوني ، نورد « الهدف » نصه كاملا :

سيدي الوزير .

فوجئت عندما تسلمت هذه الايام أمرا باستدعائي الى الخدمة في الاحتياط من تاريخ ١٨ / ٥ / ١٩٨٠ الى ٢٠ / ٦ / ١٩٨٠ وبعد ان تسلمت أمرا آخر وقع يوم ٢١ / ٣ / ١٩٨٠ ويدعوني للخدمة ليوم واحد بتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٨٠ .

اسمح لنفسي بأن أشك في أن هذه الدعوة هي عمل استفزازي يأتي في أعقاب تصريحي في التلفزيون بتاريخ ١٧ / ٣ / ١٩٨٠ بأنني أرفض الخدمة العسكرية وأطالب حكومة اسرائيل الاعتراف بحقوقنا القومية كجزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني ولذا عليها اعفاؤنا من الخدمة الاجبارية . هذا بالاضافة الى ان سلطات الجيش تعفيني من الخدمة منذ ثلاث سنوات . وفي المرة الاخيرة أعفيت بعد أن سلمت السلطات نسخا من أوامر تحديد الاقامة التي تحظر علي دخول المناطق المحتلة لاسباب امنية ، حتى انهم سجلوا علي امر الاستدعاء ان سبب اعفائي هو « انني اشكل خطرا على الامن » .

انني لا أفهم كيف أعتبر ، وبهذه الوقاحة ، خطرا على أمن الدولة وفي الوقت نفسه استدعى لخدمة هذا الامن ؟

هل في حياتي اليومية وفي عملي كصحفي اشكل خطرا على الامن وعندما يحلو لأحدكم ان يستدعيني يصدر بحقي الاوامر لادافع عن هذا الامن الذي اهدده بالخطر ؟

ــ اليس في هذا استفزاز وقح ؟

انني أحتج وبشدة على هذه المعاملة وأطلب اعفائي كليا من أية خدمة عسكرية أو امنية .

وفي هذه المناسبه أود ان أؤكد انني أرفض ، مبدئيا ، تجنيد ابناء طائفتي في الجيش لاسباب انسانية وضميرية واخلاقية وقومية وسياسية .

هناك حقيقة تاريخية لا يمكن لأية حكومة أن تزيفها أو تغيرها وهي ان الدروز في اسرائيل هم جزء من الشعب العربي الفلسطيني مثلما ان الدروز في سوريا هم جزء من الشعب العربي السوري وفي لبنان جزء من الشعب العربي اللبناني . وبما ان حكومات اسرائيل تنكر لحقوق شعبي ، ومنذ أكثر من ثلاثين عاما تحاول ابادة هذا الشعب ، فلا يمكن باي شكل من الاشكال ان أخدم جيشا يستعمل ذراعا للقمع والابادة تحت سلطة هذه الحكومات . فتصور كيف سيكون شعورك انت لو انك اضطررت الى الخدمة في جيش كل عملياته وأهدافه هي قمع أبناء شعبك اليهودي . فكيف ستتصرف وماذا ستقول عن يهودي كهذا وسلطات كهذه ؟

جنود العدو يرفضون الخدمة في الارض المحتلة

حكم على جندي صهيوني من مجموعة الـ (٢٧) يدعى « غاي مولبسكي » ثم تجنيده في الجيش الصهيوني في الشهر الماضي ، بالحبس لمدة ٣٥ يوما ، لانه رفض الخدمة في المناطق المحتلة .

وذكرت صحيفة « عل همشمار » « ان « غاي » هو ثالث عضو في مجموعته يلتحق بالخدمة العسكرية ويتم اعتقاله بعد ذلك فورا ، بسبب رفضه الخدمة وراء الخط الاخضر » .

سليمان الناطور:

"لن أخدم في جيش الاحتلال كانسان وكدرزي وكعربي فلسطيني"

بالاضافة الى ذلك ، انني ارفض حلف الدم الذي عقدتموه مع زعماء مهزوزين من الطائفة ، لا يمثلون أحدا سوى انفسهم . ارفض هذه الصفقة التي تمت على أساس غير عادل وغير مستقيم ، فقد خدمت مصالح هؤلاء الشخصية وبالطبع مصالح حكومات اسرائيل السياسية والعسكرية .

ليست هناك أية ضرورة ، في دولة عصرية ، تقديم ٢٠٠ ضحية من أجل تعبيد الطرق واقامة بنايات للمدارس . لأجل هذه الحقوق نحن ندفع الضرائب كبقية مواطني الدولة دون اي تمييز جنسي أو عرقي او قومي أو ديني . وعلى الرغم من التضحية ودفع الضرائب فان حكومات اسرائيل ميزت وما زالت تميز ضدنا في الحقوق المدنية الضرورية على أساس سياسة التمييز القومي التي تمارس ضد كل الجماهير العربية في اسرائيل .

من ناحية اخلاقية لا أستطيع خدمة هذا الجيش الذي يتمسك باحتلال منذ ١٣ عاما ويضطهد أبناء شعبي في المناطق المحتلة ويسلب حقه في الحرية والاستقلال ويغلق المعاهد التعليمية ويبعد القادة الوطنيين ويقمع المظاهرات ويقتل الاطفال ويلقي عليهم الغاز المسيل للدموع ويضربهم بالسكاكين والعصي دون رحمة ويعتقل الاطفال ويفرض منع التجول في مخيمات اللاجئين ويسلب الاراضي ويقيم المستوطنات في قلب المدن الفلسطينية وعلى أراضي الفلاحين والقرويين .

لن أخدم جيشا يقوم جنوده بخنق ابناء شعبي بخيطان النايلون ويلقون بهم في الآبار ثم يقوم رئيس أركان هذا الجيش بالعفو عن المجرمين واطلاق سراحهم .

لن أخدم جيشا تقوم طائراته ومدافعه يوميا بقصف مخيمات اللاجئين والقرى والمدن اللبنانية ، يقتل الاطفال والنساء والشيوخ ويشجع ميليشيات الفاشيين على مواصلة عمليات الهدم والابادة .

لن أخدم جيشا وتحت امرة جنرال كبير يعتبرني انا وابناء شعبي « سرطانا » في قلب الدولة (الجنرال بن غال) .

لن أخدم جيشا هو ذراع للقبح في الجليل والمثلث والنقب ، ولهدم بيوت المواطنين العرب وسلب اراضيهم .

لن أخدم جيشا وضع على أهبة الاستعداد في خدمة الاسطول الامريكي السادس وضباط جيوش الولايات المتحدة والامبريالية .

هناك اسباب عديدة تمنعني من الخدمة في الجيش ، انني ارفضها كانسان وكدرزي وكعربي فلسطيني . ولهذا فانني أطالب بالغاء حلف الدم وأتوجه الى الشعب اليهودي وقياداته لتعقد بيننا حلف سلام عادل وأخوة واحترام متبادل لمصلحة الشعب اليهودي وشعبي الفلسطيني .

ارفعوا عنا هذا العار القومي ولا تحولوا أبناء الطائفة الدرزية ، رغما عنهم ، الى خونة وضحايا .

ليلغ قانون التجنيد الاجباري المفروض على أبناء الطائفة العربية الدرزية !

نسخة : الى لجنة المبادرة الدرزية .

مرفق : أوامر الخدمة ونسخ عن أوامر تحديد الاقامة .

■

Digitized by Birzeit University Library

تفاقم أزمة المياه في بيت لحم وبيت جالا

منذ اشهر طويلة واهالي منطقتي بيت لحم وبيت جالا يعانوا من أزمة خانقة في المياه اذ لم تصل المياه منذ اكثر من شهرين .

هذا ويطالب أهالي المدينتين سلطة المياه بضخ المياه لمناطقهم ووضع حد لهذه المعاناة التي أصبحت لا تطاق . ومن الجدير بالذكر أن مياه الضفة الغربية المحتلة تحول باغلبيتها للمستوطنات الصهيونية ، وتحرم منها المدن والقرى الفلسطينية .

العدو يستولي على مصادر المياه في الاراضي المحتلة

ذكرت صحيفة « معاريف » الصهيونية « ان شركة « مكروت » للمياه قد حفرت بئرا للمياه في منطقة غور الاردن بحمل اسم (عطارة ٢) وذلك لتزويد المستوطنات الصهيونية الجديدة التي اقيمت في المنطقة بالمياه » .

وأضافت الصحيفة : « انه خلال فترة الضخ التجريبية لهذا البئر الجديد ضخت الشركة ٤٦٠ مترا مكعبا في الساعة الواحدة » .

ويذكر ان السلطات الصهيونية كانت قد استولت على مصادر المياه في منطقة العوجا بغور الاردن خلال العام الماضي، وحفرت بئرا مماثلا جفت على اثرها الابار التي يروى بها المزارعون الفلسطينيون مزروعاتهم في المنطقة . وتاتي هذه الخطوة في سياق خطة السيطرة على مصادر المياه في الضفة الغربية وتطبيق « السيادة » الصهيونية عليها ..

أحكام ارهابية وغرامات مالية

تصاعدت حملات القمع الصهيونية ضد أهالي الارض المحتلة في الضفة والقطاع مستهدفة طلاب المدارس والجامعات في الوطن المحتل .

* في الرملة حكمت محكمة صهيونية على الطالب سليم خميس من دبنة الناصرة المحتلة بالسجن لمدة ستة اشهر وبدفع غرامة قيمتها ١٤٠ الف ليرة اسرائيلية بتهمة الانتماء الى منظمة اجتماع عام في كلية العلوم في ابوديس.

* في خان يونس بقطاع غزة حكم على عادل شراب بالسجن لمدة سنتين ودفع غرامة ٢٥ الف ليرة «اسرائيلية»، كما حكمت على الشاب الفلسطيني ايمن وادي بالسجن لمدة ستة اشهر ودفع غرامة مالية قدرها ٢٥ الف ليرة، بتهمة توزيع منشورات «والية لمنظمة التحرير ، وتدعو الى الاضراب العام احتجاجا على الممارسات العنصرية الصهيونية .

* من جهة أخرى اقتحمت قوات الاحتلال مساكن الطلبة في جامعة بيرزيت ، واعتقلت اثنين من الطلبة هذا وقد نفذ طلاب الجامعة اضرابا احتجاجيا على الاعتداء على زملائهم واصابة خمسة من طلبة الجامعة واحتجاجا على اعتقال الرفيقة الطالبة تغريد بطمة .

* كما ذكر أيضا أن سلطات الاحتلال اعتقلت أربعة شبان من الضفة الغربية وحكمت عليهم بالسجن لمدة ستة اشهر وبدفع غرامة قدرها ٣٠ الف ليرة لكل منهم .

عودة رنتيسي : السلطات قتلت درزيا للتغطية على محاولة اغتيال ابراهيم الطويل

اتصل نائب رئيس بلدية رام الله عوده رنتيسي بمكتب المجلس الفلسطيني في شمال اميركا وادلى بالتصريح التالي.

فيما يتعلق بالانباء القائلة ان احد الجنود الاسرائيليين قد « ضحى بحياته لانقاذ » حياة ابراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة لا بد من توضيح النقاط التالية :

اولا : ان الجندي الذي ضحى بحياته لم يكن جنديا مختصا في نزع العبوات الناسفة لكنه كان جنديا عاديا .

ثانيا : ان رئيس البلديه الطويل قد حذر مسبقا بواسطه ابناء الشعب الفلسطيني من انه قد يتعرض لخطر في سيارته بعد ان عرف ما حدث لكريم خلف . وهذا يتناقض مع الانباء التي ادعت بان الضباط الرسميين العسكريين الاسرائيليين قد حذروا السيد الطويل من اي خطر ..

ثالثا : لقد رفض رئيس البلدية الطويل الذهاب الى سيارته بعد أن أبلغ بما حدث . وبعد ساعة ونصف تقريبا احضرت السلطات العسكرية جنديا اسرائيليا لتفتيش السيارة .

رابعا : لم يكن لدى الجندي سلطات الاحتلال قد ضحت بهذا الجندي لتغطية ما فعلوه برؤساء البلديات الاخرين بعد أن تاكدوا بان السيد الطويل لن يذهب الى سيارته .

وقد اشار السيد الرنتيسي الى أنه تلقى تهديدا بالهاتف مساء يوم الاثنين الثاني من حزيران الساعة الحادية عشرة والربع مساء يقول : اذا لم تبق صامتا فستكون حياتك هي العملية المقبلة .

الثوّار الفلسطينيون يُفجّرون عدداً من العبوات الناسفة

في سياق تصعيد الكفاح المسلح ضد مؤسسات ووسائل نقل العدو الصهيوني ، يستمر الثوار الفلسطينيون في ضرب مفاصل قوات الاحتلال فتترك هواته في حاله استنفار دائمه ، في محاوله ياتسه لوهف عمليات ثوارنا الابطال .

ولقد نفذ الثوار الفلسطينيون الابطال عددا من العمليات العسكريه بعبواتهم الناسفة في غزه والقدس ونابلس وملبس (بتاح تكفا) ، ورامات جان قرب تل ابيب ..

تفجير سيارة صهيونية في غزة

وفي الايام القليلة الماضية نفذ الثوار الفلسطينيون عمليات جرئية ضد قوات الاحتلال الصهيوني ، حيث تمكن احد ثوارنا من وضع عبوة لاصقة داخل سيارة ضابط مخابرات صهيوني في بلدة دير البلح انفجرت اثناء توجهه نحو مخيم النصيرات ، وأسفر انفجارها عن اصابته بجروح بالغة وتدمير سيارته .

وقد فرض العدو الصهيوني منع التجول على مخيمي النصيرات ودير البلح .

عبوة في القدس

وضع أحد الثوار الفلسطينيون العاملون في الارض المحتلة عبوة موقوتة في مركز تجاري في أحد الاحياء اليهودية في مدينة القدس .

وقد اكتشفت شرطة العدو العبوة قبل انفجارها وقامت بابطال مفعولها .

عبوة في بتاح تكفا

تمكن ثوارنا العاملون في الوطن المحتل من وضع عبوة ناسفة موقوتة داخل احد باصات العدو الصهيوني في مستوطنة « بتاح تكفا » شرقي تل ابيب .

وقد انفجرت العبوة اثناء محاولة خبير المتفجرات الصهيوني تفكيكها، مما ادى الى اصابة الخبير وعدد من افراد العدو بجراح ، والى اعطاب الباص . وقد انتشرت حواجز ودوريات قوات الامن الصهيوني بكثافة واعتقلت عددا من المواطنين الفلسطينيين بحجة الاشتباه بهم .

مهاجمة سيارة في نابلس

فرضت سلطات الاحتلال العنصري الصهيوني حظر التجول على قريتين قرب نابلس في الضفة الغربية المحتلة وذلك في أعقاب هجوم جريء بالقنابل اليدوية شنه الثوار الفلسطينيون على سيارة صهيونية في المنطقة .

تدمير سيارة ...

ذكرت مصادر عسكرية اسرائيلية ان قنبلة حارقة القيت على سيارة ركاب «اسرائيلية» كانت تمر قرب مدينة بيت لحم حيث فرض منع جزئي للتجول في اعقاب استشهاد الرفيقة المناضلة تغريد بطمة . وقد اسفر الانفجار عن اعطاب الباص ووقوع اصابات عديدة في صفوف الركاب . وفي اعقاب الحادث جرت عمليات بحث وتمشيط واسعة النطاق في مخيم الدهيشة القريب من موقع الانفجار .

وفي رامات جان قرب تل أبيب

اعترفت اذاعة العدو يوم ٧ تموز الجاري ، ان ثوارنا قد وضعوا عبوة ناسفة في سيارة ركاب كبيرة في رامات جان قرب مدينة تل ابيب ..

وذكرت الاذاعة ان سائق السيارة قد اكتشف العبوة الناسفة قبيل انفجارها ، فابلغ شرطة العدو ، التي قامت بتعطيل العبوة الناسفة ..

هذا ولقد اقدمت السلطات الصهيونية على اعتقال العديدين من العاملين العرب في رامات جان وما جاورها بحثا عن ثوارنا ، تراقق معها حملة من الاهانات والضرب والملاحقة للعاملين العرب في المدينة نفسها وفي غيرها من المستعمرات والمدن المحيطة .

المواصلات بين الناصرة والقاهرة

افتتح خط باص اسبوعي يربط بين مدينة الناصرة في فلسطين المحتلة وبين القاهرة . ويضاف هذا الخط الجديد القائم بالفعل بين تل أبيب والقاهرة ، وطبقا للاتفاقيات المبرمة بين الكيان الصهيوني ونظام السادات يتعين على المسافرين ان ينقلوا عن الحدود الى سيارات مصرية تقلهم الى القاهرة .

المستوطنات الصهيونية تعيش العزلة

ذكرت صحيفة « القدس » التي تصدر في الضفة الغربية المحتلة « ان مجموعة من مستوطني « كريات اربع » قدمت اقتراحا يقضي بمقاطعة اهالي الخليل وعدم تشغيل العمال العرب في المستوطنة ، وطالبت هذه المجموعة بانهاء العلاقات التجارية مع المواطنين الفلسطينيين ومنعهم من دخول المستوطنة » .

وقالت مصادر صهيونية « ان المجموعة قررت أيضا تدريب جميع نساء المستوطنة على استخدام السلاح » والجدير بالذكر ، ان هذه الاقتراحات تصب في المقولات الصهيونية القديمة حول « العمل العبري » و « السلع العبرية » .

تراجع الليكود أمام المعراخ

في انتخابات « نقابات عمال النسيج والملبوسات والجلود » التي جرت مؤخرا في الكيان الصهيوني حقق تجمع « المعراخ » فوزا على تجمع « الليكود » الحاكم اذ حصلت قائمته على ٧٦ ٪ من مجموع الاصوات مقابل ٦٠،٤٣ ٪ قبل سبعة أعوام .

وقالت « ها ارتس » ان قوة « المعراخ » ازدادت بنسبة ١٥ ٪ ، وخسر « الليكود » أكثر من نصف قوته حيث هبطت نسبة الاصوات التي حصل عليها من ٢٢ ٪ الى ١٠ ٪ وحصلت الجبهة الدينية على ٩،٣ ٪ مقابل ١،٤١ ٪ في الانتخابات السابقة ، كما حصلت « الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة » على ٤،٣ ٪ مقابل ٣ ٪ في الانتخابات السابقة .

« دايان » يعمل على تشكيل حزب جديد

ذكرت صحيفة « القدس » على لسان مصادر مقربة من « الحركة الديمقراطية للتغير » في تل أبيب « انه تجري حاليا الاتصالات لاقامة حزب جديد بزعامه « موشي دايان » و « عيزر وايزمان » و « يغال يادين » ، وان عددا من أساتذة جامعة تل أبيب والجامعة العبرية أعربوا عن تاييدهم لاقامة مثل هذا الحزب ، ويرون انه من الممكن ان يصبح أحد أكبر الاحزاب في « اسرائيل » ، اذ انه سيحصل على أصوات الكثيرين ممن صوتوا « للليكود » في الانتخابات الاخيرة ، وان مثل هذا الحزب سيتخذ من « الحركة الديمقراطية للتغير » أساسا له » .

منع النشاطات السياسية في غزة

أبلغت السلطات العسكرية الصهيونية في غزة في الايام الاخيرة ، جميع النوادي والجمعيات في مدن القطاع بوجوب عدم القيام بنشاطات سياسية وان كل اجتماع لاغراض سياسية يحتاج الى الحصول على موافقة السلطات العسكرية .

وذكرت صحيفة « ها ارتس » التي أوردت النبا « انه تم ابلاغ هذا القرار بشكل خاص لجمعية الهلال الاحمر في القطاع ، فرئيس هذه الجمعية الدكتور حيدر عبد الشافي عضو في لجنة التوجيه الوطني ، وجمعية الهلال الاحمر في القطاع تعتبر مركزا لنشاط مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية » .

خفض الموازنة « الاسرائيلية » ١٢٠ مليون دولار

وافقت حكومة الكيان الصهيوني على اقتطاع مبالغ من الموازنة قيمتها ١٢٠ مليون دولار ، في محاولة لكبح جماح التضخم الذي وصل الى ١٣٠ ٪ .

هذا وقد قرر مجلس الوزراء الصهيوني الموافقة على توصيات اللجنة الوزارية الاقتصادية ، بخفض مبلغ ١٢٠ مليون دولار من الموازنة البالغة ١٣ مليار و ٥٠٠ مليون دولار .

العدو الصهيوني يقضم أراضي الجليل

ذكر راديو العدو انه تم تسييج ٧٥ الف دونم من الاراضي الاميرية التي ظلت ملكا للعرب الفلسطينيين في منطقة الجليل في فلسطين المحتلة ٤٨ .

وهذه المساحة هي الجزء الاول من مشروع للاستيلاء على ٢٥٠ الف دونم خلال السنوات الثلاث القادمة ، وذلك لتكثيف الاستيطان الصهيوني في الجليل من اجل رفع نسبة السكان الصهاينة .

وعلى مدى الثلاثين سنة الماضية تمكنت حكومات العدو المتعاقبة من اقامة ٤٩ مستوطنة في الجليل .

وحاليا ، تكثف الجهود لاقامة المزيد من المستوطنات بهدف « تشكيل حقائق جديدة في المنطقة » حسب تعبير مدير لواء الجليل في الوكالة اليهودية .

العدو الصهيوني يمنع أبناء غزة من السفر

منعت سلطات الاحتلال العنصري الصهيوني عشرات المواطنين الفلسطينيين من ابناء قطاع غزة من السفر الى الخارج الا بعد الحصول على اذن مسبق من ادارة الحاكم العسكري الصهيوني في القطاع .

وقد استدعي هؤلاء المواطنين الى مقر الحاكم العسكري الصهيوني حيث ابلغوا هذا القرار .

وتضم قائمة الاشخاص الممنوعين أسماء وقد كان من المقرر أن يسافر الى موسكو لحضور دورة الالعاب الرياضية الاولمبية هناك . كما تضم شخصيات سياسية واجتماعية من بينها الدكتور حيدر عبد الشافي وزهير الريس وعبد اللطيف بودبن وبسري البربري وابراهيم أبو دقة وتوفيق أبو غزالة وسليمان زراع الاسطل وخالد القدره .

ومما يذكر أن سلطات الاحتلال كانت قد فرضت حظرا على تصدير منتوجات القطاع الى الدول العربية ، وذلك انتقاما من المواطنين الفلسطينيين اثر المظاهرات التي جرت مؤخرا في قطاع غزة ضد وجود الاحتلال الصهيوني .

Digitized by Birzeit University Library

كلما توغلت « اسرائيل » في حربها البربرية وصعدت عدوانها ضد الجماهير والمناطق البنانية ، كلما تكشفت سريرة الدولة عن راحة « ضمير » ، خاصة وان الهجمات تتواقت مع ضرورة ازاحة ثقل عن كاهل سركيس ، خوفا من أن يتهاوى حكمه تحت زخم الضغوط الموضوعية والذاتية ، التي تصل الى حد فضح مواقفه ، وتلكؤه السافر عن التقدم ولو خطوة واحدة باتجاه تنفيذ برنامج « الوفاق الوطني » فكيف به الاستجابة الى مستلزمات انقاذ لبنان من التقسيم والصهينة .

تصريحات سركيس والموقف الوطني

وتتمة لجولة سركيس على القادة الروحيين في لبنان ، التقى بالشيخ محمد أبو شقرا في منزله في بعدران المشوف ، حيث أطلق سركيس مجموعة من التصريحات تشكل بمجموعها موقفا ذي أبعاد خطرة ، يترجم مسار السلطة في هذه المرحلة بالذات .

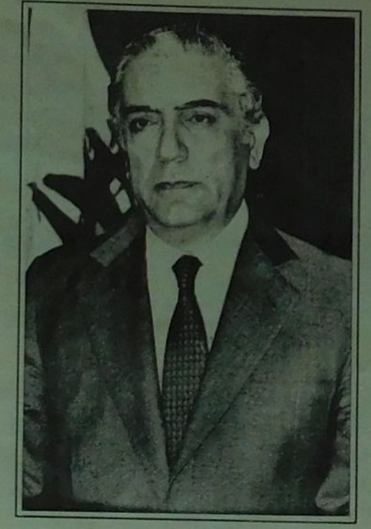

سركيس وأزمة لبنان

الاعتداءات الصهيونية مستمرة وتخدم التحالف الانعزالي الرسمي

سيطرة بشير الجميّل على الغيتو تنبئ بتفاقم خطر الانفجار

فقد أوضح أن الجميع متفقون على اسس الوفاق ولو أن نظرتهم تختلف بالنسبة الى وسائل الوصول اليه . واشار الى أن « شعارنا هو كل لبنان ، والشعار الذي يجب أن يطلقه كل لبنان : الوفاق .. الوفاق .. الوفاق ، ثم الامن والامن والامن » .

وبعد أن أكد أن مشاكلنا في لبنان لا تحل بالعنف تطرق الى القضية الفلسطينية حيث اعلن « ان حل القضية الفلسطينية لا يكون الا على أساس وجود وطن للفلسطينيين وهذا في نظري يساعد على ايجاد حل نهائي وحاسم ... ان حل قضيتنا نهائيا يتوقف على القضية الفلسطينية ، ولا يمكن ان نتصور حلا للقضية اللبنانية قبل حل القضية الفلسطينية . وبقي بانتظار هذا الحل ، أن نساوي « سقف » هذا البيت — يعني البيت اللبناني — قدر الممكن » .

وقد أبدى أسفه كون الحلول في لبنان غير قريبة وعودة لبنان الى التآخي والتسامح طويلة . واعتبر ان اسس الوفاق موجودة وقد قبلت من اللبنانيين جميعا ، « البعض قبلها بحماس ، والبعض الآخر بحماس اقل ، البعض تحفظ انما التحفظ كان غير جوهري » . وربط الوفاق بالامن عندما قال : « وضعنا موضوع الوفاق والامن كحجري زاوية في البناء ، اذ لا يمكن أن يعلو بناء دون الوفاق والامن » .

ان سركيس الذي صرح بشكل واضح « ان وضعنا في لبنان مرتبط بأزمة المنطقة ، ومهما حاولنا الفصل ، نلاقي امامنا صعوبات لا نتمكن من تجاوزها » . قد ادخل الوضع اللبناني دوامة المراوحة والجمود ، بالمعنى الذي يستبعد فيه أي حل مرتقب يمكن أن يضع حدا للمحنة التي ارهقت باعبائها الجماهير الكادحة . وبهذا ستبقى المسارب مفتوحة تنقل الى المواطنين هموم النزف اليومي على الصعيدين المعيشي والحياتي .

ان القاء سركيس للازمة اللبنانية في أحضان المنطقة العربية، وتأكيده على وجوب الانتظار، حيث يصار اثناءه تسوية شؤون وشجون البيت اللبناني ، ليس الا تهربا سافرا من كافة التبعات ، التي يجب على السلطة النهوض فيها ، كي تضع حدا لشبكة المشكلات المتنوعة التي تهدد الوطن وتستلب المواطن .

ان المعضلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تجابه لبنان تتمثل بالوقائع التالية :

١ — الاحتلال الصهيوني لأراض في جنوب لبنان بعد اختراقه للشريط الحدودي واقتطاعه اجزاء من اراضي علما الشعب وعينا الشعب .. الخ ، واعتداءاته المستمرة والمتسعة على الجماهير اللبنانية في الجنوب وفي العمق ، هذه المعضلة هي احدى الجذور الرئيسية التي عششت في الكيان العربي اللبناني ، حيث تقع على كاهل القوى الثورية مهمة اجتثاثها .

٢ — الكانتون الانعزالي المتصهين ، المسمى « دويلة لبنان الحر » الانفصالية ، كجيب تابع لـ « اسرائيل » ينفذ مشيئتها ويرضخ لمقتضيات سياستها الرامية الى تصفية الوجود الوطني ، وصهينة لبنان بعد شرذمته عن طريق التقسيم .

٣ — الازمة الاقتصادية المتفاقمة ، والتي انقلت حياة المواطن ، والمتأتية عن الانهيار الاقتصادي اثناء الحرب من جهة وعن عمليات النهب التي تمارسها « المافيا » الاحتكارية بمشاركة الدولة عضويا ، بتقديمها كل التسهيلات القانونية وحمايتها ، واقرار رفع الاسعار ، وعدم القيام بدورها في المراقبة وملاحقة التجار المخلين بـ « التسعيرة » أو في عمليات التهريب التي زاولها وزراء ونواب من أمثال الصباح والمرعبي والقادري والخليل .. الخ .

ان افق السياسة الاقتصادية ملبد بالغيوم تغلفه الضبابية ، لأن ما يحتاجه لا يمكن توفيره لا عن طريق المساعدات المالية عربية كانت أم اجنبية ، ولا عن طريق اتباع برنامج اقتصادي من شأنه الاعتماد على قطاعي الانتاج ، الصناعة والزراعة لتطويرهما ، بسبب من تركيبة البنية الطبقية الحاكمة والتابعة للامبريالية والمتعارضة مع انهاض الاقتصاد الا بما يلائم هيمنة مصالحها .

٤ — الانفلات الامني الذي خلقته الاجهزة السوداء بتنفيذها لمسلسل تخريب رهيب ينسجم مع الاهداف التصفوية المضادة للوجود الوطني.

٥ — الاجهزة العسكرية ، وبالاخص الجيش ليس من زاوية خلافات أهل الحكم على المرسوم التنظيمي لقيادة الجيش ، انما على كيانية هذا الجيش ، الذي سيكون بالضرورة خادما للبرجوازية ضد الجماهير الكادحة ، وتوازنه سيوظف في خدمة تماسك دوره ضد الطبقات الشعبية وقواها الوطنية .

ان الجيش الوطني هو الجيش الشعبي ، جيش العمال والفلاحين ، خاصة في ظل تنامي الصراع العربي — الصهيوني الذي يتداخل فيه الدور الامبريالي الذي يخدم « اسرائيل » والرجعيات العربية .

٦ — سيطرة الجبهة اللبنانية على المنطقة الشرقية ، وما تعكسه من رفضها للوفاق ، ومن اسهامها المباشر في تفجير الحرب الاهلية واستمرارها في خلق أجواء الحرب ، ونشرها للقتل والاغتيال والرعب في اوساط حلفاء الامس سليمان فرنجية وريمون اده من جهة ، وحتى مبادرة « الكتائب » في اقتناص آحادية السيطرة وما تمثله من شن حرب فعلية لتدجين حزب شمعون أو تصفيته ، بدفع ثمنها الشارع المسيحي بشكل شامل ومأساوي .

٧ — حالة التقسيم التي نشأت بارادة انعزالية واضحة تمثل احدى مرتكزات انهيار لبنان ، فتسلم بشير الجميل لكافة ادارات وأجهزة ومؤسسات السلطة في مناطقه ، وبالتالي بناء اجهزة مصغرة عن اجهزة الدولة، وممارسة دورها كاملا ، وتمسكه بـ « الفيتو » كقاعدة لأي وفاق (؟!) .

٨ — عدم التزام السلطة اللبنانية بالمواثيق والمعاهدات التي تحكم علاقتها بالمقاومة الفلسطينية ، من موقع التناقض التناحري ، وسعيها المواظب على الغاء بنودها ، ومن ثم تآمرها على الوجود الوطني من أجل تصفيته ، وبسط سلطة برجوازية متخلفة تمهيد .

ان هذه المشكلات تمثل التحديات الاساسية التي تواجه الحكم ، وتعجز لا عجزه عن استيعابها بقابلية قادرة على حلها انما انخراطه في بذرها لتدعيم منطلقات سياسته اليمينية .

ان الدلالات التي تؤشر عليها تصريحات سركيس تفرض على دولته مسؤولية مضاعفة . تحملها والى حد كبير تبعات كل الامراض التي نخرت الجسم اللبناني ، وما زالت تنشر وباءها لاتلافه .

فالظروف المعقدة التي يدأب على افتعال احداثها نظام سركيس ، تهدف الى ارساء الامر الواقع ضمن ملهاة الوفاق لوضع وثيقته جانبا ، كونها غير مقبولة ، بفعل مكونات الصراع اللبناني ذوات الامتداد العربي ، وبالتالي تعذر تشكيل حكومة فعاليات تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ البنود الوفاقية .

فمحاولات سركيس المدانة أعطته مبررات سلوك المتعبئة والاعداد والاستعداد للحظة الحاسمة التي يصبح فيها بالامكان استعمال الجيش ضمن مقومات أكثر ضمانة وملائمة للتحالف الانعزالي — الرسمي المدعوم من « اسرائيل » .

- ان وضع ازمة لبنان في ثلاجة الحكم ، قد أدت الى تعميم الجمود الذي يطبع الوضع اللبناني برمته مما يفتح الآفاق أمام استثمار السلطة للواقع المعاش وتمريرها المشاريع المراد تحقيقها باتباعها ذات المنهج الذي درجت على تثبيته عن طريق :

١ — تركيز مشروع السلطة كصيغة وحيدة ممثلة للبرجوازية اللبنانية بكافة شرائحها وانتماءاتها الطائفية ، وخاصة بعد زرعه في أذهان الجماهير اللبنانية التي خرجت من الحرب الاهلية بنظرة محافظة ، تعلق الكثير من الاوهام حول عودة السلطة « المظفرة » (؟!) .

٢ — مضي السلطة في مشروعها القاضي باتمام عملية بناء الجيش التي تجري على قدم وساق باتجاه تكثيف العدد والعتاد والاعداد ، تحت ادارة الامبريالية الامريكية ، وبرعاية مباشرة من مخابراتها المركزية . والاستفادة من الوقت لابقائه ، في مرحلة نموه ، خارج المهمات الساخنة والخطرة التي تتهدده . أي يجب تأجيل مهمته التصفوية ضد الوجود الوطني ، حتى تتوفر الشروط والعوامل التي تسهم في خوضه معركة مضمونة وناجحة .

٣ — ادارات السلطة التي اعيدت اليها الحياة ، وبدأت تربط بعملها الجماهير اللبنانية وقد كانت معطلة خلال الحرب الاهلية .

٤ — لقد تقلصت المناطق التي كانت خاضعة للحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وقد انحصر وجود هذا التحالف في بيروت الغربية والمنطقة المواقعة بينها وبين الشريط الحدودي .

٥ — حتى ان المنطقة الوطنية برمتها أصبحت متعددة الانتماءات ، خاصة بعد النشاط الملحوظ الذي بدأته القيادات الرجعية التقليدية من جهة ، والدور المتواصل والمتسع للشعبة الثانية من جهة ثانية .

٦ — انتشار المفاهيم الطائفية ، وبالاخص اتباعات التيارات المذهبية . فرغم التزام « أمل » ضمن اطار تنسيقي مع المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، فقد اصبحت مؤثرة الى حد بعيد على الشارع « الشيعي » ، مما أبرز الخليط الذي يخضع له القرار الوطني في موقفه من الصراع الناشب على الساحة اللبنانية . ودعودة بسيطة بالبصر والبصيرة الى مرحلة الحرب الاهلية نرى الفارق الرهيب الذي تعيشه الاوضاع الحالية . ان المفاهيم الطائفية ستحد بشكل كبير من انتشار الافكار الوطنية وبالضرورة من انتصار الثورة .

٧ — نجاح نظام سركيس حتى الآن في تثبيت صورة مضادة للمقاومة الفلسطينية ، ونشر النزعات الانقسامية في أوساط الجماهير ، ان كان على أساس اقليمي أو طائفي . وهو يجد السير لبث المزيد من التغذية المعادية لكل ما هو وطني وديمقراطي حتى ان تثقيف الجيش يتم بشكل موبوء وحاقد .

٨ — محاولات السلطة الدائمة لانقاذ الجيه الانعزالية من الاندثار ، ابان الحرب الاهلية ، وفي كل الاوقات اللاحقة والتي تعيشها حتى الآن ، فقد تدخلت في مرات عديدة لوقف النزف ، حتى انها تشارك اليوم في معركة سيطرة الحزب المواحد بين « الكتائب » و « الاحرار » ، وتقف داعية « الكتائب » لأنه الاكثر تماسكا وتعبيرا عن مصالح البرجوازية اللبنانية .

ان هذه المعطيات قد حصدتها سلطة سركيس وهي لا تزال ساعية لكسب المزيد من المواقع مما يؤهل مقدرتها على التفاذ الى تحقيق اهداف الصهينة والتصفية ضد لبنان والوجود الوطني .

ان تحالف الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، مطالب بنقلة نوعية ، تستطيع أن تجابه التطورات في أوضاع السلطة والتي لا تتعاكس مع المصلحة الوطنية عموما فحسب، انما ترفض الوفاق الوطني من اساسه أيضا .

ان الوفاق لا يمكن أن يبقى وهما ، يوقظه التحالف الانعزالي — الرسمي ، لاستدرار المزيد من المكتسبات، لان ذلك سيكون بالضرورة ضد الوجود الوطني .

فهل ان رفع شعار الوفاق والتلويح به ، بعد وضوح مستوى الضغوطات على السلطة، سيؤدي الى تحرير الشريط الحدودي ويمنع مشاريع التصفية والتقسيم والصهينة ، وينهي الاحتلال الصهيوني ، ويحل الازمات الاجتماعية ويلغي « دويلة » بشير الجميل ، ويعطي سياسة دفاعية وطنية بتبعها الجيش .. الى آخر هذه المطالب ؟؟؟

ان الجواب مرهون بالموقف الوطني ! وبالتطورات المستقبلية التي تحمل معها الكثير من الجدة !!

ابو نضال

بعد صيدا .. جريمة جديدة للمكتب الثاني في قب الياس تؤدي الى استشهاد أحد المواطنين

قامت أجهزة المكتب الثاني وعملاء الجبهة الفاشية ، بارتكاب جريمة جديدة في بلدة قب الياس — البقاع ، ذهب ضحيتها الشاب الوطني يوسف دبدر .

ومكان هذه الجريمة والتي وقعت في السابع من الشهر الجاري ، كان مسرحا لمجزرة أخرى ارتكبتها نفس الايدي الاثيمة منذ حوالي الأربعة أشهر وبلغ ضحاياها آنذاك عشرات من القتلى والجرحى .

وأما طريقة التنفيذ فكانت هذه المرة عن طريق زرع ثلاثة ألغام في الطرقات العامة داخل البلدة ، وقد انفجر احدى هذه الالغام سيارة الشاب القتيل اثناء مروره على الطريق مما أدى الى استشهاده على الفور .

كما أدى انفجار لغم آخر الى اصابة سيارة ثانية بقودها محمود حاطوم من نفس البلدة .

وهكذا تعمل أجهزة المكتب الثاني السوداء على تطوير أساليبها الاجرامية من تفجير وقتل وزرع الغام ، كما تعمل على تنويع أماكن اجرامها فبالامس القريب كانت صيدا واليوم قب الياس وغدا لا ندري اين ستكون ، ومع تنويع الاساليب والاماكن يبقى الهدف من وراء ذلك واحدا وهو ضرب وحدة الصف في المناطق الوطنية لخدمة مخططات السلطة المشبوهة والتي لا تخرج في النهاية عما يرسمه الفاشيون.

Digitized by Birzeit University Library

الحرب.. والمأزق الشمعوني

هل يتحول النمر شمعون إلى نمر هرم؟

حزب الكتائب يوجه ضربة قاسية لحزب الوطنيين الاحرار

كاد يوم السابع من تموز الجاري ان يتحول لذكرى مماثلة تماما ليوم ١٣ حزيران من عام ١٩٧٨ ، وكادت « الصفرا » ان تصير اهدن ثانية لو تمكنت الميليشيات الكتائبية من قتل داني شمعون . لكن داني نجا وقتل حزبه (الوطنيين الاحرار) في عدة مواقع دفعه واحده على يد حزب الكتائب منفذ مجزرة اهدن. وتوجهت جميع الانظار نحو ما يمكن للرئيس الاسبق كميل شمعون اتخاذه من موقف ، ومثلث في اذهان الجميع « ورشة البناء » القائمة في بلدة سير القبر ...

بعد اقتراح زعيم الكتائب على زعيم « الاحرار » توحيد حزبيهما برئاسة الاخير واعلانهما عن « عدم اختلافهما واتفاقهما » حسب التصريحات الواردة على لسانهما ، احتدمت المنطقة الشرقية من بيروت حرب واسعة النطاق بين الحزبين حصدت عشرات القتلى وبضع مئات من الجرحى من الجانبين ومن المواطنين الابرياء ..

ولم يكن من المفاجيء على الاطلاق حصول بعض الاشتباكات بين حزبي « الجبهة اللبنانية » من حين لآخر ، الا ان حجم الاشتباكات الاخيرة تعدى حدود الاشتباكات العادية واشار لنقله نوعية في القرار الكتائبي وتنفيذه على وجه السرعة .

واذا كان حزب الكتائب قد تلقى الاسبوع الماضي ضربة عسكرية قوية في وادي شحرور من قبل « الاحرار » ، فان حرب السابع من تموز تبدو اكبر بكثير من رد فعل او اعادة اعتبار لعسكريي حزب الكتائب .

« التآمر الدولي » .. !

فحجم الهجمة التي تعرضت لها مواقع حزب « الوطنيين الاحرار » في منطقة الفيتو الفاشي ، لم تنحصر في مركز واحد او في منطقة واحدة بل امتدت حربا عمت الفيتو وليست منطقة « الصفراء » فقط .

وكما جرت العادة ، نفضت الكتائب يدها من مسؤولية هذه الحرب المفضوحة والمكشوفة وحمل بيار الجميل المسؤولية لـ « اليد المخربة التي خربت في افريقيا وأوروبا وأميركا اللاتينية وبعض البلدان العربية » .

لكن داني شمعون امين الدفاع في الوطنيين الاحرار الذي قدم استقالته من مهماته الحزبية حمل بشير الجميل هذه المسؤولية .

وبدون عناء ، فكذب بيار الجميل لم يعد يخفى ، والعناصر الكتائبية متواجدة في اغلب مراكز الوطنيين الاحرار ترفع علم الكتائب عليها . وهذا ما يجعل « عائلة » الجميل ، وليس بشير وحده ، وحزبهم الفاشي مسؤول عن هذه الحرب التي تستهدف حزب شمعون داخل منطقة السيطرة الفاشية .

فهذه المنطقة ، من وجهة النظر الكتائبية ، يجب ان تتم السيطرة فيها لـ « راس » واحد . وصحيح ان « الجبهة اللبنانية » هي المسيطرة الفعلية عليها ، لكن هذا يعني ايضا ان السيطرة هي لحزبي الكتائب والاحرار ، وهذا ما لا ينطابق وتطلعات حزب الكتائب الذي يرى ضرورة سيطرته هو وحده دون اي مشارك او منازع . فبقية الشخصيات الاخرى المشاركة في « الجبهة » لا تملك تنظيمات مسلحة وان ملكت بعضها فهي متحالفة مع احد الحزبين الرئيسيين او انها تعمل لحسابه . ولهذا بدأ حزب الكتائب بتصفية حساباته مع اطراف الجبهة لضمان هيمنته السياسية والعسكرية الكاملة على تلك المنطقة . فكان الصراع اولا مع الرئيس الاسبق فرنجية وانتهى بمجزرة اهدن وخروج فرنجية من الجبهة الفاشية . ثم بدا افتعال الصدامات مع حزب الوطنيين الاحرار ، واتخذت منذ فترة ما بعد خروج فرنجية الشكل المتقطع ولكن المتواصل ضمنيا . اذ لم تتوقف الاصطدامات يوما ، حتى تتكرر بعد فترة لتشير للمنهج الكتائبي المتبع في تثبيت السيطرة الوحدانية لحزب واحد هو حزب الكتائب دون غيره .

لكن هذا المنحى ، والذي يدركه كميل شمعون وحزبه ، لا يمكن ان يمر بسهولة وبالتالي لا يمكن تسليم هذا الحزب (الاحرار) مواقعه للآخرين بسهولة ايضا وهو من شارك في « تحرير » تلك المنطقة وساهم بحدارة في اشعال الحرب الاهلية اللبنانية الى جانب الكتائب ، فلا يقبل على الاطلاق بالنحي جانبا والتخلي عن امتيازاته للكتائب فقط . اذن كانت الصدامات المسلحة بين الفريقين ، وكانت الهيمنة عنوانا بارزا لهذا الصراع الذي يهدف حزب الكتائب من ورائه لتمثيل « الطائفة » الماروني » دون ريمون اده وسليمان فرنجية وايضا كميل شمعون .

الحرب الكتائبيه ... و « الدمر »

واذا كان هذا المنهج قد بدأ باده ثم بفرنجية فان من الصعب تطبيقه بيسر على كميل شمعون « التاريخي » الذي أصر رغم كافة الاشتباكات الماضية على « اتفاقه » مع « صديقه » الشيخ بيار الجميل .

والتصريحات « الضبابية » التي اطلقها زعيمي الحزبين (الكتائب والاحرار) عن عدم خلافاتهما ، كانت تبددها دائما رائحة البارود التي تملأ اجواء المنطقة الشرقية من بيروت بين الحين والآخر ، والمعركة الاخيرة تخطت حدود « وفاق » الزعيمين ، وطرحت بجدية معركة كسر العظم والحد الفصل . اذ ان هذه المعركة تناولت الى جانب المراكز الحزبية بيت امين دفاع الاحرار في الصفرا لتطرح مسالة وجود هذا الحزب (الاحرار) او عدم وجوده. وبدت كل الاشتباكات السابقة على هذه الحرب وكانها المقدمات التدريجية الموصلة لهذه النقطة بالذات، النقطة التي طمح بها « كاس » الكتائب من ثنائية الهيمنة التي يقاسمه اياها حزب شمعون .

ويبدو ان معركة وادي شحرور التي انتصر فيها « الاحرار » كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر « بعير » الصبر الكتائبي ، ودعته لاتخاذ نقلته النوعية في تصفية الوجود « الحر » من منطقة الفيتو الفاشي .

لكن التصفية هذه طرحت مسالة « عائلة » شمعون بالمقابل وشمعون بالتحديد ومصيره . هل تتكرر مجزرة اهدن وتطال شمعون او ابنه داني او كلاهما اذا امكن ، او الاكتفاء بالاجهاز على وجود حزب « الوطنيين الاحرار » . ويبدو ان حزب الكتائب حاول الاستفادة من دروس اهدن وتجنب « الاساءة العائلية » والاكتفاء بالاجهاز على القاعدة الحزبية التي يستند اليها شمعون في المواجهة مع الكتائب .

فاذا تم لحزب الكتائب ضرب الوجود العسكري للاحرار ، يصبح « النمر » الهرم مجرد العوبة ويمكن وضعه في الواجهة كـ « فرجة » وليس كطرف له وزن فاعل او مشارك في تمثيل « الطائفة » وجني المنافع من هذا التمثيل .

وعلى هذا الاساس جرت الحرب الاخيرة ، وميزت ما بين ابناء داني شمعون وزوجته وبين طفلة طوني فرنجية وزوجته ، ولم يتساو الجميع في نفس المصير ...

اذن تم في هذه الحرب توجيه ضربة شبه نهائية لحزب شمعون في المنطقة الشرقية من بيروت ، لم تخف لقاءات شمعون بالجميل « العراب » من وقعها الاليم على شمعون وعلى زعامته « التاريخية » في تلك المنطقة على المستوى السياسي العام .

واذا كانت هذه الحرب لم تنه تماما وجود حزب الوطنيين الاحرار ، فانها اضعفته كثيرا من الناحية العسكرية وعززت مواقع حزب الكتائب التي بدا تلمسها عبر المشاريع السياسية التي تطرحها الكتائب بوجه شمعون.

الخيار الصعب

فحزب الكتائب بدأ يطرح في بيانات « القوات اللبنانية » التي يرأسها بشير الجميل التعددية الحزبية غير المسلحة ، والحرس القومي والتوحيد العسكري الخ .. والتي تصب كلها في هيمنة حزب الكتائب وحده .

فالمعارك التي جرت كانت بعيدة كل البعد عن « الديمقراطية والتعددية » السياسية التي تحدث عنها بيان « القوات اللبنانية » يوم السابع من تموز ، ولكنها بالمقابل اشادت لوحدانية السياسة الكتائبية ولوحدانية قوتها العسكرية ، وفضحت بالتالي مرامي هذه المشاريع التي تضع شمعون في الزاوية وفي الزاوية فقط .

اذ بعد توجيه الضربة المحكمة ، يريد الكتائب وضع شمعون في المواجهة للاستفادة من « تاريخه » السياسي و « شعبيته التاريخية » مع سيطرتهم الكاملة على الاجهزة العسكرية ، وبهذا يصبح شمعون مجردا من اية قوة فعلية وبالتالي يصبح خاضعا بشكل كامل لبيار الجميل واولاده امين وبشير وحزبهم ولا حول له ولا قوة الا الاذعان والخضوع والا فالمغضب الكتائبي عواقبه غير محدودة !

تجاه هذا الموضع الذي بات شمعون محشورا فيه ، يمكن القول ان رئيس حزب « الوطنيين الاحرار » دخل المازق الذي لا بد وان يحاول الآن الخروج منه بـ « حنكته » السياسية ، ولكن هل تنجح هذه « الحنكة » في مواجهة السيطرة الشاملة لحزب الكتائب وفاشيته ؟

لا نستطيع الاجابة على مثل هكذا سؤال مطروح على شمعون نفسه وعلى حزبه ، ولكن شمعون نفسه قال بان « الاتفاق بينه وبين الجميل تام ، ومهما كانت الظروف فان الاتفاق مسيطر ليس بين الحزبين بل في لبنان برمته ».

الا ان الحقيقة لا تبدو كما يحاول شمعون تصويرها ، فالواقع اثبت العكس والرئيس السابق يعرفها قبل الجميع ، ويحاول بهذا مسك انفاسه حتى الآن قبل اعلان الموقف الحاسم الذي لا بد ان يتراوح بين الخضوع التام لحزب الكتائب او المواجهة حتى النفس الاخير مع «الغدارين» التي لا تمر بالضرورة من قصر دبر القبر .

وائل العبد الله

عصابات « الكتائب » تحتل مرفأ « الاكوا مارينا » وتقتل عددا من العمال المصريين والباكستانيين

افادت معلومات مؤكدة وصلت لـ « الهدف » من منطقه جونيه ان عصابات « الكتائب » هاجمت مرفأ « الاكوا مارينا » في نطاق الحمله الواسعه التي تقوم بها لفرض هيمنتها الكامله على مناطق الفيتو الانعزالي. وقامت بقتل عدد من العمال المصريين والباكستانيين العاملين فيه ، كما قتلت حوالي ٢٢ شخصا من اتباع شمعون واصيب عدد كبير منهم بجراح .

وقد حصل هذا الهجوم يوم الاثنين في السابع من الشهر الجاري عندما دخلت المرفا ست شاحنات نقل كبيرة مغطاه « بشوادر » بحجه انها تنقل اكياسا من الاسمنت ، وفور وصولها اندفع منها المسلحون الكتائبيون وشرعوا يطلقون النار بغزاره في كافه الاتجاهات وعلى جميع الموجودين هناك ، وتمكنوا بعد معركه قصيره من احتلال المرفا واحكام هيمنتهم عليه واسروا من تبقى من « الاحرار » على قيد الحياة .

٢٠٠ قتيل و ٧٤٣ جريح و ٧٨٠ محتجزا حصيلة معارك الهيمنة الكتائبية

تشير الاحصاءات الاولية لنتائج الاشتباكات الدموية بين اطراف الجبهة الانعزالية الى وقوع اكثر من مئتي قتيل واصابة ٧٤٣ آخرون بجراح واحتجاز ٧٨٠ شخصا ، عدا عن الخسائر المادية الجسيمة في الممتلكات والابنية، بالاضافة الى العثور على جثث قتلى جديدة في مناطق متفرقة من الفيتو الانعزالي .

وقد اعترفت مصادر الجبهة الانعزالية نفسها بهذا العدد الضخم من الخسائر بالرغم من ان المعلومات الواردة حتى الآن تشير الى وقوع عدد اكبر من القتلى والجرحى في معارك الهيمنة الطاحنة التي دارت بين « الكتائب » و « الاحرار » . وتقول الانباء الواردة من منطقة الفيتو الانعزالي ان عصابات الكتائب فرضت سيطرتها على معظم مواقع ومراكز وبيوت اتباع شمعون في بيروت الشرقية وكسروان وجبود جبيل والعاقورة واللقلوق وعين السيمان مما حدا بداني شمعون قائد ميليشيا « نمور الاحرار » الذي نجا من الموت في اليوم الاول للاشتباكات بعد ان احرق منزله في الصفرا ، الى تقديم استقالته واعتزال العمل السياسي نهائيا . وعلق على الاشتباكات المسلحة التي حدثت يوم الاثنين بـ « يوم الاثنين الاسود » . وتضيف الانباء ان مسلحي الكتائب ارتكبوا مجازر وحشية عديدة ضد حلفاء الامس ومنها على سبيل المثال اعدام ما ينوف عن ٢١ عنصرا في بلدة عمشيت وحدها رميا بالرصاص دفعة واحدة .

وتتحدث مصادر حزب الكتائب الفاشي انها صادرت من مراكز وبيوت الشماعنة التي تم الاستيلاء عليها كميات كبيرة من مختلف انواع المخدرات بالاضافة الى اسر عدد كبير من المرتزقة .

واجمعت كافة المعلومات التي وصلت على سقوط عدد كبير من القتلى بين صفوف المواطنين مما زاد من اتساع الاستياء والسخط الشديدين بين سكان المنطقة .

هذا وتقلت بعض المصادر ان مجموعة من عناصر ميليشيا الاحرار تقدر بحوالي مئتين طلبت الالتحاق بالقوات التابعة لسليمان فرنجية في منطقة البترون .

وتاتي الحملة العسكرية التي يشنها حزب الكتائب في نطاق تنفيذ المشروع الانعزالي لتقسيم لبنان من خلال فرض الهيمنة الكاملة دون منازع على منطقة الفيتو الانعزالي .

Digitized by Birzeit University Library

حقيقة العلاقات بين الملك حسين وواشنطن والـ سي. آي. إي

تصريحات الملك بالخلاف مع واشنطن لا تعني استقلاليته عملاء الإدارة الأميركية عملاء حتى ولو فضحتهم العلاقة مع نظام الأردن تغطي عمالته وتسيء للجماهير

لم يعد خافيا على احد ، ان الموقف الفلسطيني الذي كان موحدا الى عدة سنوات خلت حول كيفية التعامل مع النظام الملكي في الاردن ، قد انقسم الى موقفين خاصة خلال وبعد الدورة الرابعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني .

الموقف الاول ويقول بالعودة الى العلاقة التقليدية مع النظام ، تلك العلاقة التي كان من نتائجها تدمير الوجود المادي العلني للثورة الفلسطينية على اخطر واهم ساحة وهي الساحة الاردنية . والموقف الثاني يقول بضرورة التمسك بالموقف من هذا النظام ، والذي اذا ما تم المساس به او تمييعه فمن شان ذلك خلق بلبلة في اوساط الجماهير ، بالاضافة الى ان النظام سيكون هو المستفيد الاول والوحيد من مثل هكذا علاقة ، وسوف يستثمرها آجلا ام عاجلا من اجل التغطية على تحركاته المتعلقة بالتسوية التي يقودها النظام المصري .

والموقف الثوري بالاساس يتبنى النضال الى جانب جماهير الشعب في الاردن وحركته الوطنية من اجل اسقاط النظام واقامة نظام وطني ديمقراطي .

ولعل من المفيد ، وقد اصبح انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الخامسة عشرة مرجحا ووشيكا ، رغم تاخره عن الموعد الدوري ثمانية اشهر ، ان نشير من جديد الى مخاطر اقامة أية علاقة مع النظام على القضية الفلسطينية والقضايا العربية ، خاصة وان المشكلة تتعدى هنا كون النظام يسعى ومنذ وقت ليس بالقصير لايجاد منفذ للانضمام الى المفاوضات المصرية الاسرائيلية ، الى كونه ضالع في التآمر على القضية الفلسطينية ، والى كونه يشكل نموذجا فريدا في الارتباط باخطر المنظمات التآمرية الامبريالية وهي منظمة السي. اي. اي. ربما يكون قد اغرى البعض من القيادات الفلسطينية ان النظام الاردني يعارض اتفاقيات كامب ديفيد ، وانه استطاع تقليص علاقاته مع واشنطن واستبدلها بعلاقات مع الانظمة العربية ، وربما يكون هذا البعض من القيادات الفلسطينية قد اعتقد بأن قمة هرم النظام نظيفة وان المحيطين بهذه القمة هم الذين يشوهون ويسيئون الى صورة الملك النظيفة ، وبالتالي فبالامكان التعاطي مع الملك بحيث يتم تحقيق بعض المكاسب التدريجية للعمل النضالي الفلسطيني ، الا ان حقيقة ارتباط الملك تظل اقوى من الملك نفسه واقوى من المحيطين به بل اقوى من كل المحاولات العقيمة التي تبذلها بعض الانظمة لتغطية عجزها من خلال تقوية علاقاتها بالنظام .

ان الوطنية لا تشترى ، وما يشترى فقط هو العمالة ، وبالتالي فان كل المليارات التي يمطرون الملك بها لا تفعل اكثر من تقوية ركائز الملك ونظامه ، وخلق ركائز جديدة للنظام في الاراضي المحتلة .

الملك وعلاقته بالمخابرات المركزية الأميركية

في أوائل عام ١٩٧٧ اثارت الصحافة الغربية فضائح المخابرات المركزية الاميركية ، وكشفت عن بعض العملاء في المنطقة العربية . وقد تزعم حملة الفضائح هذه صحيفة الهيرالد تريبيون ، حيث ركزت على ثلاثة عملاء رئيسيين في المنطقة هم ، كمال أدهم صهر الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز ، والرئيس المصري أنور السادات ، والملك حسين ملك النظام الاردني .

وقالت الصحيفة ان كمال أدهم هو الذي نظم الرئيس أنور السادات اثناء حكم عبد الناصر ، وكان قد خصص له دخلا ثابتا ، كما وساعدته المخابرات المركزية الامريكية في سحق « مؤامرة سوفيانية » للاطاحة به قام على اثرها بطرد آلاف المستشارين السوفييت من مصر .

أما الملك حسين فذكرت الصحيفة انه عميل للسي. اي. اي منذ عام ١٩٥٧ ، وانه يتقاضى مخصصا شهريا خاص به .

وقد حاول بيان صدر في عمان نيرثة ساحة الملك واعتبار هذه المعلومات « مختلقة وغير صحيحة تستهدف تشويه سمعة الاردن وقيادته وزعزعة وحدة الموقف العربي » .

الا ان الملك حسين اعترف في مقابلة له مع دي بوشغريف من مجلة النيوز ويك بعملية القبض من منظمة السي. اي. اي وقال : « اذا كنت تقصد ان المبالغ قد دفعت مباشرة للملك ، ولمنفعته الخاصة ... فانذاك افتراء » . فسأله بوشغريف عن سر الخمسة عشر مليونا من الدولارات التي قدمت على دفعات منذ عام ١٩٥٧ ، فاجاب الملك « لدعم امننا » و « اي شيء احصل عليه من اجل الاردن ومن اجل شعبي هو صحيح » .

ان الملاحظ في توقيت نشر مثل هذه المعلومات الخطرة ، انها جاءت قبل شهور قليلة من رحلة السادات الاستسلامية الى فلسطين المحتلة ، فقد تصدى السادات لهذه الخطة المثيرة بصدمة أكبر حجما واشد تأثيرا ، حينما أعلن وبشكل مفاجيء انه مستعد للتوجه الى الكنيست والالتقاء بالزعامات الصهيونية .

من جهة ثانية هب العملاء الصغار الذين يعملون في بعض الصحف كالمستقبل ، والحوادث ، والصياد ، للدفاع عن الملك حسين ، وفي حقيقة الامر أرادوا الدفاع عن انفسهم وتأمين استمرار عملية القبض التي كانت تأتيهم عن طريق الملك .

وقد وصفوا معلومات الهيرالد تريبيون بانها عبارة عن « خبطة صحفية ساذجة » ، وتساءل سليم اللوزي في الحوادث عن الهدف من وراء نشر مثل هذه المعلومات

موقفان متصادمان في مؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد

منذ بدأت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب في عمان في الاردن امس الاول ، توقع الجميع انفجار صراع داخل المؤتمر ، ذلك انه بالاضافة الى كون المؤتمرين مختلفين اصلا وقبل الذهاب الى عمان حول العديد من القضايا السياسية وحتى الاقتصادية فان جدول الاعمال الذي وضعته اطراف محور الاردن — السعودية — العراق ، كان يشتم منه على انه اشعار مسبق من قبل قوى اليمين العربي ، بان السقف الذي يتحرك تحته التضامن الرسمي ثابت لن يتغير ، وكان هذا السقف قد حددته ورقة عمل سعودية عراقية واحدة وان كانت قد قدمت على نسختين منفصلتين .

وقد تميزت وجهة النظر السعودية العراقية بالاستبعاد الكلي للمسالة السياسية ولمسالة علاقة انتاج وسعر البترول ، بالمواقف من القضية الفلسطينية والقضايا العربية .

وكانت الامور على وشك ان تسير سيرا عاديا ، حتى فوجيء المؤتمر بقيام عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري وقوله : « ان جدول الاعمال المطروح يظهرنا وكاننا نعيش في عالم آخر لا علاقة له بالعالم الذي نحن فيه » . واضاف : « هل يعقل ان يجتمع وزراء خارجية للدول العربية من دون ان يعطى الصراع العربي الصهيوني حقه من المعالجة ؟ » .

وقد استمر خدام في القاء كلمته التي اتسمت بشدة لهجتها والتشكيك في جدية التصدي لمؤامرة كامب ديفيد ، حيث ان جدول الاعمال يخلو من ابسط عبارات السياسة ، ويركز على مشاريع التنمية في الاقطار التي لا تمتلك البترول .

وبعد ان أنهى الوزير السوري كلامه ، اتبرى سعود الفيصل وزير خارجية النظام السعودي للرد على خدام بلهجة باردة لتلطيف جو المؤتمر ، وقال : « اني لم المس اي خلاف حول هذا الموضوع ، وليس هذا اول اجتماع عربي يعقد ولا آخر اجتماع » .

وقد احتد النقاش فقام امين الخارجية الليبي الدكتور علي عبد السلام التريكي ودعا الى معالجة المواضيع السياسية وفي مقدمتها تحول مصر الى قاعدة عسكرية امريكية لضرب ليبيا ، ومنح سلطنة عمان الولايات المتحدة قواعد عسكرية ، ومسالة اعادة النظر في العلاقات مع بعض الدول الافريقية التي تؤيد سياسة كامب ديفيد .

ويبدو ان حديث التريكي اضاف بعدا جديدا لانقسام المؤتمر ، وبدا واضحا ان هناك موقفان متصادمان سوف يؤثران على سير اعمال المؤتمر ، وربما الى نسفه .

وقد قطع المؤتمر جلسته دون تحديد جدول للاعمال ، والغيت الجلسة الصباحية ليوم امس .

غير ان الوفد السعودي ، الذي شعر بان مقابلة التشدد السوري الليبي بتشدد مماثل ، سوف يترتب عليه نتائج ليست في صالح المهمة تحت عنوان : « اهذا هو مصير الحاكم العربي الذي يؤمن بالتعاون مع أمريكا كما وصف أخبار ارتباط الملك بانها « أخبار مزروعة » .

أما ناصر الدين النشاشيبي فكان له راي آخر في الدفاع عن ارتباط الملك ، وهو الاعتراف والتبرير ، وقد قال تحت عنوان ، ولكن لماذا المخصصات « ان الملك مسؤول شخصيا عن حياة المئات من العائلات المستورة وعن الامراء المحتاجين ، وانه بسبب ذلك يحتاج دوما الى سيل لا ينقطع من المال » . والواقع ان النشاشيبي هو واحد من المستورين الذين يتلطون على ابواب القصر الهاشمي .

صمود الملك أمام العاصفة

ولكن ثمة سؤال غالبا ما يتردد وهو ، لماذا لم ترتعد فرائص الملك ، ولم تهتز في بدنه شعرة واحدة؟ الانه مطمئن الى عدم وجود ما يهدده سواء على الصعيد الداخلي او على صعيد المنطقة العربية ، ام لكون النظام متماسك وقد زاده تماسكا حالة التداعي العربي الرسمي ؟

في الواقع هناك ما يشير الى وجود السببين معا، اذ مما لا شك فيه ان العمل الوطني في الاردن عانى ومما يزال يعاني ولو بشكل نسبي الان من حالة انحسار افادت النظام في التقاط انفاسه ، والعمل بحرية على تحويل ميزان القوى لصالحه، حيث قام بنسج علاقات واسعة مع بعض البرجوازيات العربية الصاعدة ، بالاضافة الى تحالفاته القديمة مع الرجعية العربية النفطية وعلى رأسها النظام السعودي .

ولقد جاءت العلاقات الفلسطينية الاردنية الجديدة لكي تضيف عاملا مهما وخطيرا الى عوامل بقاء النظام ، ذلك ان حجم الثقل الفلسطيني في الساحتين العربية والدولية ، اخذ يؤثر سلبا في كثير من الاحيان في مجرى النضال العربي بنفس القدر الذي يؤثر فيه ايجابا على صعيد تنامي النضال الفلسطيني نفسه.

وفي كثير من الاحيان تلجأ بعض الانظمة الى الاختباء وراء الجدار الفلسطيني حينما تشعر بمأزقها التاريخي وقد اقترب ردنا اجلها .

وفي هذا المجال رأت بعض الاوساط العربية السياسية والصحفية مثلا في زيارة الملك الى واشنطن بعد لقاءه مع الاخ رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة في عمّان ، بانه أضر كثيرا بتوجهات القيادة الفلسطينية في نفس الوقت الذي وفر فيه الغطاء لرحلة الملك وأحاطها بالعديد من التفسيرات والشكوك .

ومن هنا فان السؤال الذي اخذ يتردد على السنة العديد من الاوساط الوطنية الفلسطينية والعربية هو ، اذا كانت علاقة الملك بالمخابرات المركزية الامريكية ، وتغلغل هذه المخابرات في اوساط النظام على نطاق واسع ، لم تسقط المراهنات لدى القيادة الفلسطينية على تحقيق اية مكاسب آنية ، فما الذي يسقط هذه المراهنات ؟ وبالتالي كيف نطالب بعمل وطني في الاردن في الوقت الذي نضع ايدينا في ايدي اعداء هذا العمل الوطني ؟ ■

منذ بدأت الجلسة الافتتاحية لمؤتمر وزراء الخارجية والاقتصاد العرب في عمان في الاردن امس الاول ، توقع الجميع انفجار صراع داخل المؤتمر ، ذلك انه بالاضافة الى كون المؤتمرين مختلفين اصلا وقبل الذهاب الى عمان حول العديد من القضايا السياسية وحتى الاقتصادية فان جدول الاعمال الذي وضعته اطراف محور الاردن — السعودية — العراق ، كان يشتم منه على انه اشعار مسبق من قبل قوى اليمين العربي ، بان السقف الذي يتحرك تحته التضامن الرسمي ثابت لن يتغير ، وكان هذا السقف قد حددته ورقة عمل سعودية عراقية واحدة وان كانت قد قدمت على نسختين منفصلتين .

وقد تميزت وجهة النظر السعودية العراقية بالاستبعاد الكلي للمسالة السياسية ولمسالة علاقة انتاج وسعر البترول ، بالمواقف من القضية الفلسطينية والقضايا العربية .

وكانت الامور على وشك ان تسير سيرا عاديا ، حتى فوجيء المؤتمر بقيام عبد الحليم خدام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري وقوله : « ان جدول الاعمال المطروح يظهرنا وكاننا نعيش في عالم آخر لا علاقة له بالعالم الذي نحن فيه » . واضاف : « هل يعقل ان يجتمع وزراء خارجية للدول العربية من دون ان يعطى الصراع العربي الصهيوني حقه من المعالجة ؟ » .

وقد استمر خدام في القاء كلمته التي اتسمت بشدة لهجتها والتشكيك في جدية التصدي لمؤامرة كامب ديفيد ، حيث ان جدول الاعمال يخلو من ابسط عبارات السياسة ، ويركز على مشاريع التنمية في الاقطار التي لا تمتلك البترول .

وبعد ان أنهى الوزير السوري كلامه ، اتبرى سعود الفيصل وزير خارجية النظام السعودي للرد على خدام بلهجة باردة لتلطيف جو المؤتمر ، وقال : « اني لم المس اي خلاف حول هذا الموضوع ، وليس هذا اول اجتماع عربي يعقد ولا آخر اجتماع » .

وقد احتد النقاش فقام امين الخارجية الليبي الدكتور علي عبد السلام التريكي ودعا الى معالجة المواضيع السياسية وفي مقدمتها تحول مصر الى قاعدة عسكرية امريكية لضرب ليبيا ، ومنح سلطنة عمان الولايات المتحدة قواعد عسكرية ، ومسالة اعادة النظر في العلاقات مع بعض الدول الافريقية التي تؤيد سياسة كامب ديفيد .

ويبدو ان حديث التريكي اضاف بعدا جديدا لانقسام المؤتمر ، وبدا واضحا ان هناك موقفان متصادمان سوف يؤثران على سير اعمال المؤتمر ، وربما الى نسفه .

وقد قطع المؤتمر جلسته دون تحديد جدول للاعمال ، والغيت الجلسة الصباحية ليوم امس .

غير ان الوفد السعودي ، الذي شعر بان مقابلة التشدد السوري الليبي بتشدد مماثل ، سوف يترتب عليه نتائج ليست في صالح المهمة السعودية العراقية الاردنية ، عاد في المساء ووزع بيانا لترطيب الاجواء . ومما جاء في البيان : « آسف جدا لان ينتهي الامر الى اشهار اسلحة التشكيك والتجريح والطعن وتشويه الحقائق » . وقبل البيان بتعديل جدول الاعمال واضافة ما يستجد من بنود عليه .

وفي اليوم التالي تم ادراج وثيقة عمل فلسطينية سورية مشتركة تؤكد على رفض قرار ٢٤٢ ، وعلى ان ينطلق اي تضامن عربي من الصراع العربي الصهيوني على اعتبار القضية الفلسطينية وتحرير سائر التراب العربي القضية الرئيسية ، وكذلك مقاومة اي محاولة للالتفاف على الموقف المتصدي لكامب ديفيد ، وأن يتم السماح للمقاومة الفلسطينية الانطلاق من كل الحدود العربية ، ودعم العلاقات مع المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي ، كما نوهى المونيفة بخفض بترولي قدره ٢٥ ٪ من متوسط الانتاج الذي سجل في النصف الاول من عام ١٩٨٠ وحظر تصدير النفط الى الولايات المتحدة واليابان واوروبا الغربية وكندا .

هذا وعلق راديو دمشق على المؤتمر فقال ان سوريا ترى ان التضامن العربي الحقيقي لا يمكن أن يكون بالمزايدات والاقوال ورفع الشعارات ، بل لا بد من ان ينطلق من التعاون العسكري الجدي وتوجيه الطاقات المالية والنفطية الى جبهة الصدام والمواجهة لإعادة التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني .

كما لوحظ من اجابات عبد المحسن زلزلة الناطق الرسمي باسم المؤتمر على اسئلة الصحفيين بان هناك اصرار من جانب المحور السعودي — الاردني — العراقي على حصر المناقشات بالقضايا الاقتصادية ، كما واشاد زلزلة في رده الى انه سيتم بحث العلاقات الاقتصادية مع الدول الكبرى ، ومع ما وصفه بالكتلتين الغربية والشرقية وهو رد غير مباشر على طلب الوزير السوري عبد الحليم خدام بتعزيز العلاقات مع المنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

والسؤال الذي يتردد على السنة الصحفيين الآن هو ، هل سينجح المؤتمر الوزاري في تثبيت جدول أعمال لمؤتمر القمة العربي القادم في عمان والذي سيعقد في تشرين أول ؟ وما طبيعة جدول الاعمال هذا ، خاصة وان التصادم في المواقف اكثر حدة من اي وقت مضى ؟ ثم ما مصير مقولة التضامن العربي التي عملت على تمييع حتى الحد الادنى الذي اقر في مؤتمري بغداد وتونس .

ان الجواب على هذا السؤال العريض يبدو صعبا الآن في ضوء عمق القضايا المطروحة ، واختلافها عن تلك التي طرحت في مؤتمرات سابقة . وفي كل الاحوال فان نتائج المؤتمر الوزاري وحتى مؤتمر القمة العربي القادم تعتمد في الاساس على صلابة موقف القوى الوطنية داخل المؤتمر ، حيث ان القضايا المستجدة مثل افغانستان وايران وغيرهما ليست قابلة لقواسم مشتركة .

Digitized by Birzeit University Library

الهدف
سياسية عربية — كل الحقيقة للجماهير
مجلة
السبت ١٢ تموز العدد ٤٩٦ — السنة الحادية عشرة — الثمن ١٠٠ ف.ل.
AL-HADAF - 5 July - 1980 - No. 495 - Vol. 11

عرب ١٩٤٨
قوة استراتيجية لا يمكن تحيدها

بقلم: محجوب عمر

بعد خمسة عشر عاما من النضال المسلح بدأت ببضع عمليات عسكرية لا تزيد عن العشر ، بلغت الثورة الفلسطينية درجة من النمو السياسي والعسكري والتنظيمي جعلها محور ومركز النشاط السياسي في منطقة الشرق الاوسط .

نفذت العمليات الاولى في داخل ما يسمى بالخط الاخضر اي في ارض فلسطين التي احتلت في ١٩٤٨ ، فكانت بذلك تعبيرا عن هوية وهدف القائمين بها : عرب فلسطينيون يقاتلون من اجل العودة الى وطنهم وتحريره من الاستعمار الصهيوني الاستيطاني العنصري .

ولا بد من التنبه الى ان هذه العمليات الاولى التي اصطلح سياسيا على تسميتها بالانطلاقة (انطلاقة قوات العاصفة / فتح في مطلع ١٩٦٥) لم تكن الاولى في جوهرها (العنف ضد العدو الصهيوني) ، فقد سبقها ومنذ النكبة في ١٩٤٨ ، مئات بل الاف من العمليات العنيفة الموجهة ضد نفس العدو والتي كانت الجماهير تقوم بها بشكل عفوي في معظم الاحيان ، ومنظم قصير الامد في بعض الحالات . وكانت ردود فعل العدو الصهيوني على هذه العمليات هي المزيد من العنف والقمع والاعتقالات والقتل، كما كانت ردود فعل الانظمة المحيطة بفلسطين المحتلة في ١٩٤٨ هي اتهام القائمين بها بالتسلل والتهريب والتجسس والتوريط والعمالة .

ولكن تقييم عمليات الانطلاقة اختلفت عما سبقها ، فالعمليات استمرت وتطورت وتنوعت ، واهم من كل ذلك انها تنظمت . وبالتحام القوى المنظمة التي قامت بهذه العمليات وما تلاها من عمليات بالجماهير ، ومع تغير الظروف العربية والدولية ، اضطر الاعداء والاصدقاء على السواء الى الاعتراف بأن هذه العمليات هي تعبير عن ثورة أو مقاومة مشروعة للاحتلال الصهيوني ، أي هي في مجمل التصنيفات حركة تحرر وطني ، حتمية الانتصار . وأصبح « المتسللون المهربون المجرمون العملاء » فدائيين مقاومين ثوارا في نظر العالم واضطر حتى العدو الصهيوني نفسه الى الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني ، وبوجود منظماته ومؤسساته التي تعبر عن هويته الوطنية القومية .

الورقة السورية - الفلسطينية

ركزت الورقة السورية — الفلسطينية التي قدمت الى مؤتمر وزراء الخارجية والمال والاقتصاد العرب الذي افتتح في بغداد الاسبوع الماضي على « تعزيز التضامن العربي على اساس تأمين متطلبات الصراع مع العدو الصهيوني والقوى الداعمة له وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية . ومقاومة الصهيونية والتصدي لسياسة كامب ديفيد ومقاومة اي محاولة تستهدف الالتفاف على الموقف العربي ورفض قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ورفض اي تعديل ينطلق منه او يبنى على اساسه » .

وأكدت الورقة ان السلام العادل « لا يقوم الا بتحقيق الانسحاب الكامل غير المشروط من كل الاراضي الفلسطينية المحتلة في ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وتحرير مدينة القدس العربية وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين والحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني خصوصا قرار الجمعية العمومية الرقم ٣٢٣٨ » .

وقد دعت الورقة الى تبني الدول العربية خطة موحدة لاستخدام النفط العربي كسلاح قبل المعركة واثنائها . وان « تقرر الدول العربية اعتبارا من الشهر (.....) خفض انتاج النفط الى الولايات المتحدة وكندا ودول اوروبا الغربية واليابان وتصديره اليها بنسبة ٢٥ في المئة من المعدل الموسط للانتاج والتصدير خلال النصف الاول من السنة الحالية ١٩٨٠ على ان يستمر هذا التدبير حتى تغير هذه الدول موقفها من قضية فلسطين والاراضي العربية المحتلة في الامم المتحدة وخارجها ، ولا يعدل هذا التدبير او يلغى الا بقرار مجلس الجامعة .

تصعيد الاجراءات ضد العملاء

عرض الرئيس السوري حافظ الاسد مع الامين العام للحزب الشيوعي السوري خالد بكداش وأعضاء المكتب السياسي ، الوضع في الشرق الاوسط والمخططات الامبريالية ضد سوريا .

وقال ناطق رسمي : ان الجانبين بحثا كذلك في تحركات فئات رجعية معينة وخاصة عصابة الاخوان المسلمين لمصلحة المخططات الاميركية — الاسرائيلية وبأوامر من أميركا و « اسرائيل » بغية سلب الجماهير مكاسبها الديمقراطية والاشتراكية واخضاع سوريا للهيمنة الاميركية — الاسرائيلية . وأضاف الناطق : ان الجانبين عرضا ايضا الموقف الحاسم والمشرف للقوى الوطنية والتقدمية ضد هذه الجماعات المأجورة وشددا على ضرورة مواصلة وتصعيد الاجراءات الحاسمة ضد هؤلاء العملاء الذين تعقد الولايات المتحدة و « اسرائيل » عليهم الآمال لفرض مخططاتها ، وخاصة اتفاقيات كامب ديفيد على سوريا والمنطقة .

من أجل دعم الشعب العماني

قالت صحيفة « الزحف الاخضر » الناطقة باسم اللجان الثورية في الجماهيرية الليبية ان « القوى الثورية العربية مدعوة الى اعادة تنظيم وبناء جبهة تحرير عمان لاسقاط نظام قابوس الذي أصبح أداة طيعة في يد الاستعمار والصهيونية » .

كما اتهمت الصحيفة قابوس « بتقديم أراض عربية للولايات المتحدة لتقيم عليها قواعد عسكرية » . واضافت تقول : ان قابوس أصبح في مقدمة العملاء الذين استقطبتهم الولايات المتحدة والصهيونية لاكمال فصول المسرحية وفرض الاستسلام والتخاذل وتمكين العدو الصهيوني من احتلال لبنان من خلال اشعال نار الفتنة الطائفية فيه (...) وان الوثائق تؤكد ان التحالف العسكري بين قابوس والسادات قد بدأ يأخذ شكلا جديدا بوجود القوات العسكرية المصرية في عمان التي تعمل لحماية قابوس وتنتظر الاوامر الاميركية لتدمير اقطار الخليج العربي عندما تدعو الحاجة .

■

ضغط الازمات والامراض النفسية

ازمة السكن في بعض الاقطار العربية التي بطحنها اسلوب انتاج الخدمات ، أصبحت ظاهرة الفها المواطن بالقوة . فما ان تتلفظ الواحد بكلمة باوي حتى يجابه بعبارة ازمة عامة في كل الوطن العربي ، فيبتلع مرارته .

وفي الاردن ازمة من نوع خاص ، ازمة سكن وازمة قانون ، ازمتان تضغطان على عنق المواطن حتى لتكاد تخنق ، لان فيها ما يكفيها من ازمة ايجاد ثمن رغيف الخبز وحتى ازمة الحرية سياسية كانت او شخصية .

وعن ازمة السكن التي تعاني منها المواطن في الاردن ، والمواطن على حد تعبير صحيفة الاخبار بشكل ٩٠ ٪ من الذين يعانون الازمة ، هذه الازمة ذات شقين ، الاول ازمة وجود المسكن والثاني ازمة ايجاد المسكن الموجود قديما .

فاصحاب العقارات يسابقون في تأجير عقاراتهم الى الشركات المتعددة الجنسية وشركات الاستثمارات العربية والاجنبية ، والمواطن الذي يعمل ليلا نهارا لتوفير ثمن الخبز والدواء لا يستطيع الدخول في هذه اللعبة . في حين ان المواطن الذي حالفه الحظ من قبل عدة سنوات وحصل على مسكن بدأ يعيش في قلق دائم وهاجس ضغط صاحب العقار الذي يريد باستمرار فرض زيادة الايجار او التهديد باخلاء المسكن .

والانكى من ذلك ان هذا المواطن ليس له قانون يحميه ، لان القانون بالاصل هو من وضع اصحاب العقارات ، الذين كلما حد على بالهم زيادة الايجار تقدموا بعريضة الى المجلس الوطني الاستشاري لتعديل القانون كي يتلائم مع ارتفاع الاسعار وارتفاع تكاليف المعيشة ، والمجلس الوطني الاستشاري لا يخيب املهم ، حتى ان احدى الصحف وصفت هذا الوضع بأنه تشبه الكارثة ان لم تكن الكارثة بعينها .

Digitized by Birzeit University Library

عرب ١٩٤٨ قوة استراتيجية لا يمكن تحييدها

والان ، بعد خمسة عشر عاما ، نجد أن تضاريس النشاط على الساحة الفلسطينية وما حولها قد تغيرت عبر مسار طويل ومعقد (فضلا عن صعوباته ومشاقه وتضحياته) ويمكن القول بان قضية فلسطين قد أصبحت في موقع « المهاجم » و « المتقدم » في الحركة التاريخية ، بينما العدو الصهيوني هو في موقع « المدافع » و « المتدهور » . بل ، ويمكن التأكيد بان ابرز ذبار الاعوام الخمسة عشر الماضية هو « عودة » فلسطين الغربية الى الخارطة السياسية « عودة » لا ارجعة فيها مهما بذلت القوى المعادية من محاولات لعرقلة تجسيد هذه العودة على أرض فلسطين ذاتها.

وبينما تحقق قضية فلسطين يوما بعد يوما مزيدا من الانتصارات في المجالات كافة نجد ان مشاكل ومصاعب الكيان الصهيوني الخارجية والداخلية هي في ازدياد رغم كل ما تبذله القوى الاستعمارية لحمايته وابقائه على قيد الحياة . وتبرز اكثر فاكثر حدة التنازع التاريخي الذي يحمله الكيان الصهيوني في باطنه ككيان « غير تاريخي » محتوم الانهيار والزوال ، كيان مصطنع اوروبي « غريب » اقيم في قلب وطن عربي محيط لا يمكن وقف تطوره وتقدمه ووحدته ، كيان « استيطاني اجلائي عنصري » اقيم على أرض شعب عربي له هويته الفلسطينية ولا يمكن ابادته أو اذابته ولا وقف محاولاته لاستعادة أرضه وهويته السياسية .

وطبيعي أن العدو الصهيوني لن يسلم في يوم من الايام ، وانما هو ينهار وهو يدافع بشراسة عن وجوده (لا مكان للمستوطنين بنسجبون اليه) ، وهو في كل مرحلة سيحاول قدر امكانه حصر خسائره في اضيق نطاق ، شانه في ذلك شان سادته الذين خلقوه من المستعمرين ذوي المصلحة الاكيدة في بقائه ، تقديما للوطن العربي وتحقيقا لاعلى درجة من درجات السيطرة على مقدراته وثرواته وهواقعه .

وفي قناله المتراجع هذا سيسعى العدو الصهيوني والمستعمرون الى تحييد (١) مجموعة العوامل والقوى الخارجية المحيطة به والتي تضغط عليه (في لمراحل التي كان العدو فيها في موقع الهجوم كان يعالج ازمته الداخلية بالهجوم خارجه فيوحد بذلك مستوطنيه ضد الخطر الخارجي ويحيد عملها القوى المعادية المحيطة به ويحرم الفلسطينيين في الوقت نفسه من أي درجة من الدعم أو المساعدة تاتيهم من المحيط العربي) .

ومع ذلك فان المرحلة المقبلة لن تجعل العدو الصهيوني يكسب من عملية التحييد هذه فهو في حالة تراجع تاريخية أمام ظاهرة « فلسطين » التي تهاجمه ، ومن ثم فان تحييد القوى المحيطة الخارجية من شانه أن يؤدي الى تركيز الاضواء على القوة المتحركة الباقية الوحيدة الا وهي القوة الفلسطينية (حدث ذلك بعد اتفاقيات فك الارتباط الاولى في سيناء والجولان عام ١٩٧٤ ، وحدث ذلك نتيجة محاولة التحييد الوحشية التي تمت من خلال الحرب اللبنانية والتي أبرزت منظمة التحرير الفلسطينية كقوة وكطرف لا بد من الاعتراف به . وحدث ذلك بعد اتفاقات كامب ديفيد اذ اجمع العالم على انه لا سلام في المنطقة بدون حل المشكلة الفلسطينية ولم يعد التوتر في منطقة الشرق الاوسط يوصف بالنزاع العربي الاسرائيلي ، وان أصبح يوصف بالصراع الفلسطيني — الاسرائيلي .. الخ) .

ان استمرار النضال الفلسطيني هجوما هو العامل الاول الذي يفشل كل محاولات العدو الصهيوني في تحييد القوى المحيطة ويجعله عاجزا عن حل مشاكله الداخلية المتفاقمة . ان وضع الهجوم التاريخي بجعل القضية الفلسطينية كالمنشار الذي « ياكل » كلما حركته ، بحيث لم تعد خطط العدو الصهيوني ومراهناته على اذابة الفلسطينيين او القضاء على نضالهم ممكنة أبدا .

ومع ذلك فستظل خطة العدو الصهيوني في مواجهة مصيره المحتوم قائمة على محاولة تفتيت العوامل الضاغطة وتحييدها واحدا اثر الآخر ومحاولة جعلها كعوامل ضاغطة تتصادم مع بعضها البعض .

قد تنجح هذه الخطة بعض الشيء وقد نجحت بلا شك في عقد اتفاقات كامب ديفيد مع مصر ، الا أن هناك مجموعة من العوامل الضاغطة ستظل مستحيلة على العدو الصهيوني لان مجرد الاقتراب منها يعني نهاية الاسس التي قام عليها التجمع الصهيوني كله .

---

(١) « التحييد » يعني اخراج قوة ما من حلبة الصراع القائم سواء بالقضاء عليها او بجعلها في موقف يمنعها من التدخل في الصراع ولو بشكل مؤقت .

فالعدو الصهيوني يمكن أن يساوم — أو قد يضطر الى المساومة — على الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلها بعد ١٩٦٧ ، وكذلك الامر وان بدرجة اقل بكثير على مسالة قيام الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وغزة ، ولكن من الصعب عليه جدا التراجع في مسالة القدس التي تعتبر أحد الاركان المعنوية في التجمع الصهيوني ومن المستحيل عليه المساومة أو التراجع في مسالة طبيعة تكوينه الداخلي من حيث كونه كيانا « يهوديا » (اسلوب ومستوى معيشة المستوطنين) ومن حيث كونه كيانا مرتبطا باستمرار بحماية « قوة عظمى » تهدف الى السيطرة (ليس له موارد داخلية تمكنه من الاستقلال الذاتي واعتماده مطلق على المعونة الخارجية) .

ويلاحظ أن هذه السمات الثلاث تحيل كل منها في باطنها مازقها الذاتي التاريخي. فان افترضنا أو قبلنا ما تسوقه التحليلات والتوقعات السياسية في السنوات الاخيرة من أن العدو الصهيوني قادر على تحييد العوامل الخارجية ولو مؤقتا بحيث بتهي **عمليا كل الضغوط الخارجية التي تحيط به ، فان العوامل الداخلية في هذه الحالة ستزداد قوة وضغطا . ولعل أهم هذه العوامل أو القوى الداخلية التي يخشاها العدو الصهيوني اكثر من اي قوة اخرى هم اولئك العرب الذين اصطلح على تسميتهم بعرب فلسطين المحتلة ١٩٤٨ أو عرب الـ ٤٨ كما يحبون هم انفسهم ان يسموا (٢) .**

عرب ١٩٤٨

« انهم سرطان في جسم الدولة »

الجنرال بن جال

قائد الجبهة الشمالية في جيش العدو الصهيوني

هارتس ١٠ — ٨ — ١٩٧٩

---

(٢) تنوعت أسماء هؤلاء العرب من اسم الاقلية العربية الى السكان غير اليهود في الدولة اليهودية الى عرب فلسطين المحتلة ١٩٤٨ الى عرب اسرائيل ولكنهم هم اختاروا لهم اسما هو عرب الـ ٤٨ لم ينسبوا انفسهم لغير توهبتهم خشية ان تخلع عليهم صفة لا يطيقونها مشتقة من اسم « اسرائيل » . او اي صفة قطرية عربية اخرى يمكن أن تصبح حجة لاضطهادهم .

« ان الاقلية العربية لا تعيش في الفراغ فهي ترتبط ارتباطا عضويا بالعالم العربي المحيط بها من جميع النواحي اللغوية والحضارية والدينية والعائلية والقومية والسياسية ... انها لا تتمثل باي شكل من الاشكال ... لا يحق لنا ولا يجوز لنا أن نتوقع منها التماثل مع الدولة (اسرائيل) » .

موشيه شاريون

مستشار رئيس الحكومة الصهيونية للشؤون العربية

مقابلة مع (معاريف) ٢ — ٢ — ١٩٧٩ عن اسباب استقالته

منذ ٣٢ عاما تمكن قسم من الشعب العربي الفلسطيني من البقاء على الارض التي سيطرت عليها قوات العدو الصهيوني واعلنتها دولة لها .

بصبر تحملوا الاحتلال ، وبذكاء واجهوه ، وباخلاص عميق لامتهم العربية تنبهوا

ما يجري حولهم بحماس . وعندما انطلقت الثورة شارك الكثير من ابنائهم في عملياتها في الداخل ، والتحق عدد غير قليل بصفوفها في الخارج .

وحملت السنوات الاخيرة من السبعينات تطورات كثيرة مهمة دفعت باخبار عرب الـ ٤٨ الى واجهات الصحف ، واصبح واضحا أن ساحة الصدام التي حاول العدو الصهيوني ابقاءها (خارجه) قد عادت الى قلب قلاعه . وان القوة التي تواجهه هي قوة لا يمكن له ان يساوم معها كما لا يمكن أن يبيدها وفي الوقت نفسه لا يمكنه أن يتجاشى ضرباتها . هذه القوة هي عرب الـ ٤٨ الذين نما وزنهم الاستراتيجي في المواجهة مع العدو الصهيوني بنفس القدر الذي تضاعف فيه عددهم على الارض وازداد دورهم الذي يقومون به في شبكة الاقتصاد الصهيوني نفسه .

لقد بلغ عدد العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون في الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ ، بلغ في ١٩٧٧ سبعا وسبعين عملية عسكرية تضاف اليها ٤٥ عملية في القدس المحتلة التي أعلن العدو ضمها الى كيانه ، أما في ١٩٧٨ فقد ظل العدد كما هو تقريبا (٧٨ عملية) مع زيادة في العمليات في القدس المحتلة (٧١ عملية) أما في ١٩٧٩ فقد بلغت العمليات (١١٠ عمليات) و ٥٩ عملية في القدس المحتلة .

وسواء كان المنفذون لهذه العمليات هم جميعا من أبناء عرب الـ ٤٨ ، أو انهم من ابناء كل فلسطين المحتلة فان هذه الارقام تدل على تحرك ساحة الصدام عاما بعد عام نحو فلسطين المحتلة في ١٩٤٨ ، كما تدل على أن هذه الساحة « ارضا وشعبا » تستعد للمواجهة الحاسمة مع الكيان الصهيوني وهي مواجهة ليست بعيدة عن المواجهة الحالية شكلا وجوهرا ، بل هي جزء لا يتجزأ من الثورة الفلسطينية التي نعاصرها ونعيشها .

من هم عرب ١٩٤٨ ؟

ليس هذا مجال للتفصيل في الحديث عن عرب الـ ٤٨ . ولكنها عجالة لا بد منها لكي يمكن مناقشة مدى أهميتهم الاستراتيجية ، وكذلك اكتشاف اتجاه تحركهم خلال الاعوام الثلاثين الماضية .

ان عرب ١٩٤٨ هم من بقي من اهل فلسطين بعد أن نجح العدو الصهيوني في ارغام بقية اهلها على اللجوء الى البلاد العربية المجاورة .

كان عددهم في ١٩٥٢ يبلغ ١٧٩ر٣٣٠ نسمة ويمثلون في ذلك الوقت ١١ بالمئة من مجموع سكان فلسطين المحتلة (أي أهل البلاد العرب + المستوطنين الصهاينة) واليوم أصبح عددهم ٦٢٣ر٠٠٠ نسمة . فاذا استبعدنا من هذا الرقم سكان القدس المحتلة التي أعلن العدو الصهيوني ضمها بعد ١٩٦٧ وهم ما يقرب من ٨٠ الفا من السكان نجد **أن تعداد عرب ١٩٤٨ قد تضاعف ثلاث مرات في ثلاثين عاما .**

وهؤلاء العرب يعيشون الان في ٩٠ قرية واربعة تجمعات بدوية موزعة على الجليل والمثلث والنقب ، وبعضهم يعيش في المدن الكبرى كتل أبيب وحيفا ومراكز العمل الاخرى ، والقرى التسعون هي ما تبقى من ٤٧٥ قرية كانت لهم في ١٩٤٨ هدمها المستوطنون الصهاينة وصادروا أراضيها واجبروا أهلها على العيش لاجئين في قرى عربية أخرى .

وبرغم أن عدد العرب يشكل الان حوالي ١٦ بالمئة من مجموع سكان الكيان الصهيوني ، فانهم يعيشون في ٨ بالمئة من مساكن هذا الكيان فقط . وبرغم أن عرب ١٩٤٨ هم أصحاب البلاد الاصليون فان نصيب الفرد منهم لا يزيد عن نصف دونم من الارض الزراعية والباقي صادره الصهاينة ، كذلك فبرغم أن العرب لا يحصلون على أي معونات ويقومون باشق الاعمال فان متوسط أجر الفرد منهم هو نصف الاجر الذي يحصل عليه المستوطن اليهودي . وهكذا الامر بالنسبة لاسعار منتجاتهم الزراعية وبالنسبة لمؤسسات الخدمات الصحية والتعليمية الخ .

هم اذن مواطنو الدرجة الثانية في الكيان الصهيوني ، أو هم مواطنو الدرجة الثالثة من حيث المعاملة اذ يأتي ترتيبهم بعد اليهود الشرقيين (السفاراديم) الذين يقعون بدورهم تحت اليهود الغربيين « الاشكنازيم » وهم الصفوة الحاكمة صاحبة الامتيازات .

وبرغم أن عددهم كما ذكرنا لا يزيد عن ١٦ بالمئة من عدد السكان في الكيان الصهيوني ، وبالرغم من حرمانهم الاستفادة من ملكية الارض الزراعية ، وبالرغم من اضطرارهم لقبول الاعمال اليدوية الشاقة والدنيا (اكثر من مئة الف يعملون في المزارع والمؤسسات والمصانع والمشاريع الصهيونية) وبالرغم من حرمانهم عرض التعليم المتوسط والعالي المناسبة ، وبالرغم من كل اشكال القمع والتمييز التي يمارسها عليهم العدو الصهيوني بالرغم من كل ذلك فان دور عرب ١٩٤٨ في المواجهة مع العدو الصهيوني هو دور استراتيجي حاسم لا يمكن للعدو الصهيوني تحييده أو القضاء عليه أبدا . ان الاستيطان قد بدأ في الحلول في مطلع القرن . ونهاية المستوطنة الكبرى المسماة (اسرائيل) ستكون هناك حتما .

هل يمكن تحييد عرب ١٩٤٨ ؟

لا يتناول هذا التقييم بالتفصيل العوامل المكونة للقدرة الاستراتيجية لعرب ١٩٤٨ ، **كما لا يتعرض للاشكال التي يمارسونها في التصدي للعدو الصهيوني وهي غنية ومتنوعة وتتميز عن غيرها من الاشكال التي تمارسها بقية قطاعات الشعب العربي الفلسطيني بحكم وجودهم « داخل » الكيان الصهيوني نفسه . كل ذلك متروك لدراسات تفصيلية أخرى ، وانما تتناول هذه الدراسة العوامل المتعلقة « بالوجود » مجرد « الوجود » وما يترتب على ذلك الوجود من استمرار «الصراع»**

Digitized by Birzeit University Library

و « حتميته » بغض النظر عن الزمن المطلوب أو عن أشكال التعبير عن هذا الصراع.

١ ــ صراع لا وسطية فيه

الصراع بين الاستيطان الصهيوني الاستعماري والشعب العربي الفلسطيني لا وسطية فيه ، أي لا يمكن الوصول الى حله باتفاق يضمن مصالح الطرفين .

العدو الصهيوني يدرك ذلك (لهذا يرفض تماما مجرد ذكر اسم فلسطين) وكان يراهن في الماضي على ذوبان العرب الفلسطينيين في البلاد العربية المحيطة التي لجأوا اليها ، وبعض الصهاينة والمستعمرين معهم يراهنون الان على أن مجرد قيام دولة فلسطينية من شأنه « حل المشكلة » وانشغال الفلسطينيين في مشاكل دولتهم الجديدة وارضاء طموحهم الوطني الخ .

هناك اذن احتمالان واردان في المستقبل القريب : اما أن يرفض العدو الصهيوني اقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وغزة ، واما ان يقبل بقيام هذه الدولة . كافة الاحتمالات الاخرى من طراز دولة كونفدرالية أو دولة وحدة فلسطينية أردنية أو حكم ذاتي اداري .... الخ تقع في دائرة هذين الاحتمالين استراتيجيا .

ماذا سيكون عليه موقف عرب ١٩٤٨ ؟

في حالة قيام دولة فلسطينية مستقلة سيطرح قيام هذه الدولة عدة أسئلة وقضايا على المستويات العالمية والعربية والداخلية تقيد الصراع العربي ضد الاستعمار الصهيوني . من ذلك التساؤل عن مصير بقية فلسطين ، ومصير اللاجئين الذين هم من الارض المحتلة قبل ١٩٦٧ ، ومن ذلك ايضا المقارنة بين وضع المواطنة الفلسطينية الكاملة القائمة في الجوار ، والمقارنة بين الحقوق هنا والحقوق هناك ، والتفرغ بل والتفرد بساحة الصراع بحيث تتركز كل الاضواء على تلك الاقلية التي سيكون من حقها أيضا المطالبة بحق تقرير المصير أو تطبيق قرارات الامم المتحدة الخ .. لقد تساءل صهيوني يفكر وهو بسمع مشروع بيغن للحكم الذاتي « لعرب يهودا والسامرة » اي لعرب الضفة الغربية تساءل : « وما الذي يمنع عرب الجليل من أن يطالبوا بنفس الشيء غدا ؟! » .

وفي حال رفض العدو الصهيوني قيام دولة فلسطينية مستقلة ، وهو الارجح بكون قد استبعد من خططه ومن الخطط والبدائل المطروحة كل احتمال لتقسيم صغوف الشعب الفلسطيني وارضه من جديد وهو التقسيم الذي فرضه بالقوة في ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، عندئذ سيستمر التفاعل بين القطاعات والمناطق المختلفة من فلسطين المحتلة وستكون النتيجة صراعا عنيفا متناميا داخل الكيان الصهيوني نفسه ، لعل أهم عوامله هو احتواؤه على مليون و ٨٠٠ الف عربي مقابل مليونين و ٨٠٠ الف مستوطن . ولما كان العرب يتكاثرون بنسبة ٩ر٣ بالمئة (حسب تقدير المصادر الاسرائيلية نفسها) واليهود يتكاثرون بنسبة ١ر٥ بالمئة فان الاغلبية ستكون للعرب في عقد من الزمان .

هذا ما يفسر لنا الصراع الدائر بين التيارات الصهيونية : الذين يوافقون على الانسحاب من الضفة الغربية وغزة يخشون هذه الاغلبية القادمة ، والذين يرفضون الانسحاب يخشون الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة وآثارها فيما بعد على الارض والشعب .

لقد كان كينج من حزب العمل ومع ذلك فقد حذر في ١٩٧٦ من انه في عام ١٩٧٨ سيشكل العرب أكثر من ٥١ بالمئة من سكان الجليل الغربي ، ولا بد انهم الان أكثر من ذلك بكثير . وقد اعترف حاييم حاخام منسق أعمال « الحكومة الاسرائيلية » في الجليل أن نسبة السكان اليهود في الجليل الغربي هي ٢٦ بالمئة فقط وان عشرة آلاف يهودي يعيشون وسط ٩٣ الف عربي في المنطقة الوسطى ، وقال أن هذا الامر يضع مستقبل الجليل أمام علامة استفهام .

وتتحدث الصحافة الصهيونية عن عمليات عربية منظمة للاستيلاء على اراضي (الدولة !) قائلة أن هدفهم هو اغلاق المنطقة ومنع الاستيطان اليهودي . وقالت جريدة معاريف (٢٤-١٢-١٩٧٨) « أن شعار اقامة دولة فلسطينية في يهودا والسامرة وغزة والجليل (التشديد من عندنا) أصبح يستميل القلوب ويضع الاساس للسيطرة على الاراضي عن طريق فرض حقائق الامر الواقع الديموغرافية بهدف فصل الجليل عن (الدولة واعادته الى ملكية الامة (الفلسطينية) .

اذن فان قيام دولة فلسطينية على جزء من أرض فلسطين المحتلة لن يحل الصراع ، وهناك اجماع تقريبا على أن عدم قيام هذه الدولة لن يحل الصراع أيضا. تبقى احتمالات أخرى ، ولو من الناحية النظرية ، لا بد من مناقشتها .

٢ ــ ابادة الاقلية العربية أو تهجيرها الى خارج فلسطين المحتلة ١٩٤٨

لو كان ذلك ممكنا لفعله العدو الصهيوني منذ سنين .

لقد هدد دايان في بداية ١٩٧٩ بان يكون مصير الذين يرفضون التعايش هو مصير اخوانهم في ١٩٤٨ . فهل يمكن لدايان أو غيره أن ينفذ هذا التهديد ؟!

رغم أن ظروف العالم اليوم والوجود العربي والفلسطيني الفعال يجعلان من غير الممكن قبول هذا الاحتمال ، الا انه قائم نظريا على الاقل ، ويمكن أن نناقشه الدوائر الصهيونية بما عرف عنها من عنصرية واجرام .

فهل يمكن ابادة أو ابعاد نصف مليون عربي على الاقل موجودين داخل الكيان الصهيوني ؟

واقع الكيان الصهيوني يبين أن ابقاء بعض العرب كان لضرورة اقتصادية ، وكان متوقع أن في امكانه السيطرة على حركة قوة العمل العربية هذه . ولكن النتائج جاءت على عكس ما تمنى . تقول جريدة عل همشمار في ١٤-٤-٧٦ :« اننا نرى حينما توجهنا ان هناك فروع عمل كاملة أو جزءا كبيرا منها لم تعد موجودة بين أيدي العمال » . والصهاينة يعترفون الان بان أكثر من مئة الف عامل عربي يعملون في المشاريع المختلفة وهم يشكلون حسب الارقام الصهيونية حوالي ١٠ بالمئة من قوة العمل كلها . ولكن أي ١٠ بالمئة ؟ انهم يعترفون بان المستوطن اليهودي لا يعمل في الاعمال اليدوية الشاقة او ما يسمى بالاعمال الدنيا . ونعترف جيروسالم بوست « ان نقص العمال ناتج عن حقيقة وجود اربعة أشخاص يعملون في الخدمات مقابل كل شخص يعمل في قطاع الانتاج (١٩-٥-١٩٧٦) . فان أضفنا الى هؤلاء ما تأخذه المؤسسات العسكرية من عاملين ، سنجد أن من بين عشرة أشخاص في سن العمل يعمل أربعة في الخدمات واثنين على الاقل في المؤسسات العسكرية وواحد في الوظائف الحكومية (وكلها مغلقة في وجه العرب) ويبقى ثلاثة من بينهم عربي ، اي أن قوة العمل العربية تشكل ثلث قوة العمل المنتجة في الكيان الصهيوني وحتى لو كانت تشكل ربع قوة العمل المنتجة ، فهل يمكن للكيان الصهيوني الاستغناء عن ربع قوة العمل المنتجة ؟! .

فان أضفنا الى هذه النسبة غير الصغيرة ، نسبة أخرى غير صغيرة قادمة من قطاع غزة والضفة الغربية ستتأثر حتما بأي حملة ابادة ضد اخوانهم العرب (سواء كان العمال القادمون من الضفة وغزة تحت الاحتلال أو القادمون للعمل من الدولة المستقلة حسب الشروط الاسرائيلية) فهل يمكن تصور حملة ابادة أو ابعاد شاملة ضد الوجود العربي في الكيان الصهيوني ؟

الارجح أن ذلك سيكون مستحيلا . وان لم تمنع هذه الاستحالة من أن يلجأ المعدو الى حملات ابادة وابعاد جزئية (مع ضرورة حساب ما سيترتب عليها سياسيا وتجربة يوم الارض ماثلة للاذهان) لا بد من مواجهتها والاستعداد ضدها . كما لا يجوز استبعاد لجوء المعدو الى ابعاد القيادات المناضلة والى اجراءات بوليسية كالتي لجأ اليها مع الطلاب العرب الذين أعلنوا تأييدهم لـ م.ت.ف وأعلنوا أنهم جزء من الشعب العربي الفلسطيني فالزموهم بترك الجامعة والعودة الى قراهم

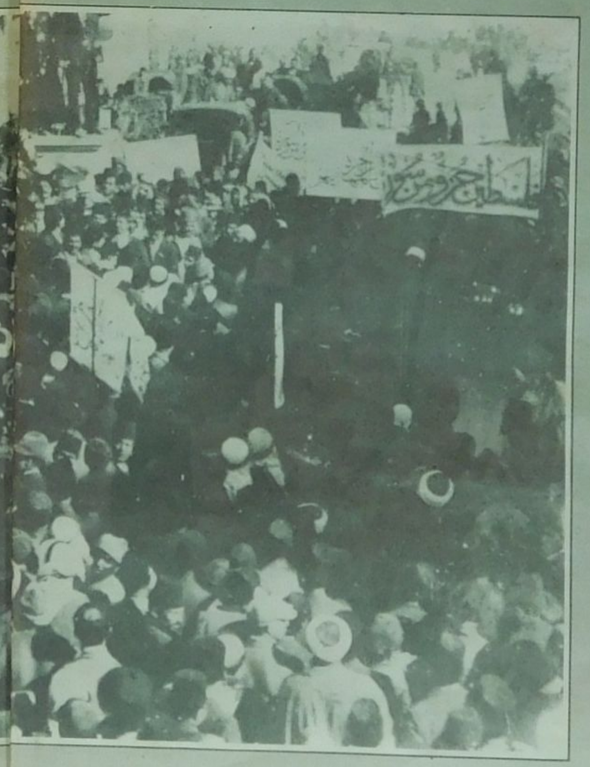

وتحديد اقامتهم فيها . لا يجوز استبعاد احتمالات لجوء العدو لهذه الاجراءات ، بل هو يلجأ اليها بالفعل ولكن ذلك قد زاد من خبرة النضال ضده ووسع رقعته . ولقد شهدت الاعوام الاخيرة نشاطا سياسيا كبيرا بين عرب ١٩٤٨ « وتعاظم شعور الوعي والانتماء القومي لديهم ، وتصاعد نضالهم لتأكيد هويتهم القومية وانتمائهم العربي الفلسطيني ، وانعكس ذلك في اصرارهم على التعامل مع السلطة كجزء من الشعب الفلسطيني وفي صراعهم المتواصل من أجل الارض والعمل والتعليم والاسكان وغير ذلك من القضايا المثارة يوميا . وقد وجد هذا الصراع تعبيرا له في انتخابات الكنيست الاخيرة في أيار (مايو) ١٩٧٧ ، وفي انتخابات السلطات المحلية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ كما تعبر عنه نشاطات وبيانات الهيئات التمثيلية والشعبية كلجنة رؤساء المجالس المحلية العربية ، واللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي وحركة « أبناء البلد » ولجان الطلاب العرب في الجامعات ، وغيرهـــا من المنظمـات والتجمعات » (ن.م.د. ٦-١٩٧٩) .

واعترفت بديعوت احرونوت في ١٩٧٩/١/٢٥ بحقيقة نهوض عرب ١٩٤٨ وهي تقول « ولكننا ــ نحن والواقع ــ فرضنا عليهم أن يعتبروا انفسهم جزءا لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني كله ، لا من ناحية المنشأ والهوية فقط بل **أيضا من ناحية النضال السياسي** » (التشديد من عندنا) .

وقد تحقق هذا التطور كله في ظل أشد انواع القمع والارهاب والتمييز التي مارستها السلطات الصهيونية طوال ثلاثين عاما .

٣ ــ احتمالات الاحتواء والاذابة والتماثل

يقول موشيه شاريت مستشار رئيس حكومة العدو للشؤون العربية « اننا خلال ٣٠ عاما لم ننجح في خلق قاعدة مشتركة لليهود والعرب » وهو يتحدث طبعا عن الكيان الصهيوني أي عن الاوضاع في فلسطين المحتلة قبل ١٩٦٧ .

هذا ما يشهد به « مسؤول » . ولا يتوقع ان تكون الحال في الاعوام القادمة على غير ما كانت عليه في الماضي . فطبيعة الكيان الصهيوني تمنع أي قاعدة مشتركة بين المستوطنين الصهاينة وبين العرب الفلسطينيين على ارض فلسطين ، لان الكيان الصهيوني يقوم على مبدأ « عبرنة » الارض والعمل والسكان . وفي عقيدة الصهاينة انه بدون المحافظة على ذلك لن تكون هناك « دولة » وهو قول صحيح تماما من وجهة نظرهم .

فان افترضنا ان استعاد السكان العرب ملكية الارض او حتى ملكية قسم كبير منها ، أو حتى ملكية نصفها فان ذلك سينعكس فورا في التشكيلات المؤسسية العليا ولا يعقل ابدا أن تستمر المؤسسة الحاكمة على ارض فلسطين المحتلة على ما هي عليه الان . وان افترضنا اننا بلغنا زمنا يكون فيه السكان العرب اكثر عددا من السكان الصهاينة فما الذي سيمنعهم عندئذ من الثورة على الاقلية الحاكمة الاوروبية الغربية (أي الاقلية البيضاء بمقياس الدول المشابهة في افريقيا) ؟. ستكون المسألة مسألة وقت وبنهار الكيان الصهيوني كله .

وان افترضنا كذلك ان قوة العمل في داخل الكيان الصهيوني قد تكونت في اغلبها من العرب فان مصير « الاقتصاد الاسرائيلي » سيكون في يد العرب، ويمكن تصور كيف سيعملون على انهياره .

كل ما سبق ليس مجرد افتراضات نظرية فهي تتحقق الان فعلا ، والمسألة مسألة وقت فحسب .

كذلك ليس ما سبق خافيا على العدو الصهيوني، لذا نسمع صيحات التحذير من ازدياد معدل تكاثر العرب ، ومن ازدياد دور العمال العرب ومن محاولة العرب شراء الاراضي « والاستيلاء عليها » . ان الامر يتعدى صراعا بين جماعات أو فئات، انه صراع حول الوجود . وقد تعالت اصوات انه عندما تتم « تسوية » مشكلة النزاع العربي الاسرائيلي، وينم عقد الصلح بين (اسرائيل) وجاراتها فان الظروف ستسمح باستيعاب وتمثل «الاقلية» العربية داخل التجمع الصهيوني .

وقد تبين لنا سابقا انه من المستحيل عمليا ابادة او تهجير عرب ١٩٤٨ وهذا ما يطرح للنقاش ، ولو من الناحية الافتراضية النظرية ، احتمال لجوء العدو الصهيوني الى محاولة التمثل والاستيعاب هذه ، فهل هذا ممكن ؟!

Digitized by Birzeit University Library

لو كان ذلك ممكنا لفعلوه في الماضي . ولكن موشيه شارون يعترف بان ذلك لم يحدث ، وانما حدث العكس .

يعترف كينج في تقريره المشهور عن عرب الجليل بعد انتفاضة يوم الارض في ١٩٧٦/٣/٣٠ ، بان العرب لم يتم استيعابهم سواء من حيث العادات والانفتاح وسواء من حيث اسلوب التفكير ، كما يقر بان « هناك دلائل واضحة تشير الى انه قد نفذت كل الاجراءات للمحافظ على خاصيتهم وانعزالهم » .

لم يكن ذلك ممكنا في الماضي ، ولن يكون ممكنا في المستقبل ايضا . ومهما كانت قدرة العدو الصهيوني على تحييد القوى الضاغطة الموجودة « خارجه » (بما في ذلك افتراضا عرب الضفة وغزة واللاجئين والامة العربية كلها وهو امر مستحيل طبعا) فانه لا يملك امكانية لتحييد القوى العربية الموجودة « داخله » .

ان لصراع عرب ١٩٤٨ مع العدو الصهيوني : بُعد قومي وبعد معيشي وهما بعدان متداخلان . وكل محاولة يمكن ان يقوم بها العدو الصهيوني لتحييد هذا البعد او ذاك ستنعكس سلبا على البعد الاخر . ذلك ان محاولة رفع مستوى المعيشة ولو ظاهريا (وهو امر حدث بالفعل عندما تحول ٧٠ بالمئة من السكان العرب من سكان ريف الى سكان حضر) ستزيد من شعور العرب بالاجحاف والقهر القومي وستزود المجتمع العربي بعدد كبير لا يستهان به من القيادات الاجتماعية الشابة المدربة والمؤهلة والقادرة على خوض الصدام وتنظيمه ، وكذلك فان اي محاولة لتحسين شروط التعليم العربي بهدف استيعاب وارضاء «الاقلية» العربية ستؤدي الى ازدياد عدد المثقفين والمتعلمين الذين لن يجدوا عملا مناسبا لمؤهلاتهم لان مثل هذه الاعمال قصر على اليهود بل على الاشكنازيم من بينهم . يقول كينج في تقريره السالف الذكر محذرا :

« ان عدم وجود امكانية استيعاب تام في الاعمال بالنسبة للبالغين ادى الى خلق طبقة كبيرة من المثقفين تشعر بخيبة الامل ... وتم التعبير عن ذلك بالقيام باعمال مضادة للمؤسسة الاسرائيلية وللدولة ، ان حجم المشكلة خطير جدا » .

ويضيف في موقع آخر من التقرير وهو يتحدث عن الاحتمالات المتزايدة لصدام العرب مع السلطات الصهيونية :

« سيلقى معظم عبء امتصاص هذا النشاط (الصدام مع السلطة) على عاتق المتطرفين العرب ... خاصة الطبقات المثقفة المنلهفة المنشاط كي تثبت عروبتها واستعدادها لمقاومة نظام الحكم الاسرائيلي » . والاحداث بدورها اكدت ما تنبأ به كينج . ففي العامين الاخيرين نصدت مجموعات من المثقفين للعدو الصهيوني واصدرت بيانات عدة عبرت فيها عن عروبتها وتمسكها ب م.ت.ف. ورفضها لدولة (اسرائيل) وجاء في بيان مجموعة من ٥٦ مثقفا عربيا انه « بما اننا جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني .. نؤكد ان اي حل للمشكلة الفلسطينية لا بد وان يتضمن اعترافا رسميا وضمانات دولية لهوية الفلسطينيين القومية من سكان اسرائيل ، ولحقهم في البقاء في وطنهم ، وان تعاد اليهم اراضيهم وممتلكاتهم وقراهم واماكنهم المقدسة التي صودرت منهم وان يتمتعوا بكامل حقوقهم السياسية والمدنية » .

فان افترضنا جدلا ان العدو الصهيوني سيحاول تخفيف حدة الشعور بالقهر القومي وذلك بالسماح بدرجة من التغيير المؤسسي للهوية العربية الفلسطينية (وهو امر مستحيل على صهيوني ان يفعله) فان هذه الخطوة من شانها تعميق الشعور بالغبن الاجتماعي ، اذ سيقارن العرب بين احوالهم واحوال اليهود المستوطنين ، وسترتبط اكثر فاكثر المشكلة المعيشية مع المشكلة القومية ، « وسيزداد التناحر بين اليهود والعرب » على حد توقع كينج الذي اضاف محذرا « يجب عدم تجاهل نسبة السكان العرب ـ ١٤ بالمئة ـ (وهي الان ١٦ بالمئة في ١٩٨٠) الذين قد يأخذ خرقهم للقانون شكل التمرد » .

ففي كلتا الحالتين لا يتصور ان يتجه العدو الصهيوني هذه الوجهة، فالاولى مستحيلة وان تحققت فهي قاتلة، والثانية مستحيلة وان تحققت فهي قاتلة ايضا ولا مفر امام العدو الصهيوني من ان يستمر كما هو ، كيانا عنصريا استيطانيا استعماريا في حالة صدام مستمر مع الشعب العربي الفلسطيني .

لقد سئل احد الاساتذة الصهاينة المشتركين في ندوة « اسرائيلية ـ فلسطينية » عقدت في باريس في ١٩٧٩ واسمه ايلي بن جال ، سئل عما اذا كان يتوقع ان يتغير موقف السلطات الصهيونية من عرب ١٩٤٨ ، فقال « ان الذي يمنعني نمرا يخشى ان يضع قدمه على الارض؟». وفي نفس الندوة اجاب هافيتشاي مارجليت وهو اسرائيلي ولد في فلسطين وعضو في مجلس السلام الاسرائيلي الفلسطيني وفي حركة السلام الان ، ويدرس الفلسفة في الجامعة العبرية ويعتبر نفسه مناصرا للقضية الفلسطينية ، اجاب على سؤال عن حق اللاجئين في العودة قائلا :

« لا اظن ان الامر يتعلق بخيار سياسي مقبول لانه اذا تدفقت جموع كبيرة من العرب إلى « اسرائيل » فلن تكون امامنا فرصة لحياة حقيقية . ان ما حدث لا يمكن التراجع عنه » . وهو قول صحيح تماما . ولكن لا يمكن ايضا وقف الزحف العربي بشريا واقتصاديا وتاريخيا . وذلك ما يجعل الصدام امرا محتوما .

من الان ، وحتى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني ، سيقاتل العدو الصهيوني متراجعا، وسيستخدم كل الوسائل لتفتيت صفوف المهاجمين ومن بينها بلا شك تقديم تنازلات هنا او تنازلات هناك بغرض وقف تقدم الهجوم عليه .

قوة واحدة لا يمكن ان يقدم لها اي تنازل والا كان تنازلا عن وجوده او اسس وجوده ، تلك هي قوة عرب الـ ٤٨ . وهي قوة مستمدة من وجودهم في الارض وفي داخل كيانه ومن ان هؤلاء العرب لا يمكن اذابتهم او ابادتهم او الاتفاق معهم على حل وسط . ان عرب ١٩٤٨ هم جزء من الامة العربية ذات الحضارة والتاريخ، وهم جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني الذي يقاتل في سبيل تحرير ارضه ويحرز اليوم انتصارات جديدة وتثبت بالدماء وجوده الوطني في وجدان العالم كله . ثم ان المجابهة اليومية مع العدو الصهيوني لا تترك مجالا حتى لامراض الاغتراب الشائعة في الاماكن الاخرى من البلاد العربية وبلدان العالم الثالث .

يقول واحد منهم في حديث بمناسبة نهاية السبعينات وبداية العقد الجديد :

« اني اشعر ان عرب ١٩٤٨ اذا نظروا للفترة التي مروا بها فان لديهم مجالا كبيرا للفخر والاعتزاز. انهم مروا بتجارب وظروف عصيبة وقاسية وصمدوا ووقفوا وتقدموا الى الامام في شتى المجالات » .

وهم يتقدمون ، قوتهم تكمن في انهم بالسلاح الذي ليس له سلاح مضاد والعدو الصهيوني في مواجهتهم كمن ابتلع منجلا لا هو قادر على ابتلاعه ولا هو قادر على لفظهم وهم يتقدمون .

■

الأمانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي

قرارات وتوصيات

اصدرت الامانه الدائمه بعد اختتام دورتها الرابعة ، التي عقدت في الفتره الواقعه بين الاول والثالث من تموز بيانا ، استعرضت فيه الاوضاع السياسيه في المنطقه العربية ، ونوقفت امام المستجدات الجديدة في الموقف السياسي واهمها .

ا ـ عجز العدو الصهيوني بعد فشل مشروع الحكم الذاتي ، الى تكثيف هجومي تمثل في : ـ

ا ـ استمرار عمليات الاستيطان الصهيوني ، وشن حملة ارهابية ضد الجماهير الفلسطينية في الارض المحتلة ، وكانت جريمة محاولة اغتيال بسام الشكعة ، وكريم خلف ، بعد طرد الاخوة محمود ملحم ، وفهد القواسمة ، والشيخ رجب التميمي ، ذرة الجريمة التي استهدفت ارغام الشعب العربي في الارض المحتلة، على قبول الحكم الذاتي .

ب تصعيد الحرب العدوانية ضد لبنان ، خاصة جنوبه ، في نطاق حرب استنزاف مستمرة .

ج ـ تكثيف الاعمال الاجرامية ، ضد سوريا ، في محاولة لتركيعها ، وكسر صمودها ضد مخططات كامب ديفيد .

د ـ الاعداد لعدوان عسكري يعد له السادات ، ضد الجماهيرية العربية الليبية ، بهدف شل الدعم القومي الذي تقدمه لجبهة المواجهة .

٢ ـ ان الولايات المتحدة الامريكية تبذل جهدا مركزا سواء بشكل مباشر ، او غير مباشر ، او من خلال اوروبا الغربية ، او رومانيا ، من اجل تقديم مشروعات بديلة ، لجر اطراف عربية للدخول في مفاوضات الاستسلام .

وقد لاحظت الامانة الدائمة ، ان دولا عربية ، ومسؤولين عرب قد ادلوا بتصريحات خطيرة ، تلتقي عمليا ، مع المخطط الامريكي ، لتحويل كمب ديفيد ، من كمب ديفيد مصرية ، الى كمب ديفيد عربي ، ولهذا فقد طالبت الامانة الدائمة ، دول قمة بغداد ، بالالتزام بتلك القرارات التي تقضي بمقاطعة السادات، ورفض سياسة كمب ديفيد ، والا فان الامانة الدائمة ، سوف تكشف للجماهير موقف الدول التي خرجت عن ذلك .

٣ ـ ان النظام الساداتي الحاكم في مصر ، يمارس سياسة اكثر خطورة ، لتعميق عزلة مصر ، عن امتها العربية ، وتحويلها الى قاعدة للامبريالية الامريكية ، سواء بمنحها القواعد والتسهيلات العسكرية ، او بالمناورات المشتركة ، او بالعمل المشترك ضد الثورة الايرانية ، او بالاعداد لعدوان جديد ضد ليبيا ، وتفتيت الشعب العربي المصري عن طريق محاولات تستهدف اثارة النعرات ، والفتن الطائفية ، وقهره بالمزيد من القوانين ، والاجراءات القمعية ، والتي آخرها قانون العيب ، لضرب نضال الشعب العربي في مصر .

وقد دعت الامانة الدائمة في بيانها السياسي الى :

ا ـ مواجهة الحلف المعادي ، ببرنامج جماهيري عملي يتمثل في : ـ

ا ـ اعتبار يوم ٢٣ تموز يوما قوميا ، للغضب الجماهيري ، والزحف سلميا ، على سفارات الولايات المتحدة الامريكية ، ونظام السادات ، في الخارج ، لتقديم مذكرات الاحتجاج والاستنكار .

ب ـ شن حملة ضد جرائم ، العدو الصهيوني ، الموجهة ضد جماهير شعبنا العربي الفلسطيني داخل الوطن المحتل ، وضد الجنوب اللبناني .

ج ـ البدء بمقاطعة شعبية ضد البضائع الامريكية .

٢ ـ دعم الثورة الفلسطينية عسكريا ، وماديا ، وفتح الحدود امامها لمواجهة العدو الصهيوني ، وتعزيز صمود جماهير الوطن المحتل .

٣ ـ دعم صمود سوريا ، والتضامن معها ، ضد المؤامرات التي تتعرض لها ، وفضح الجهات العربية التي تغذي هذه المؤامرات .

٤ ـ تنفيذ البرنامج العالمي للتضامن مع الشعب اللبناني ، وحركته الوطنية .

٥ ـ دعم واسناد الجبهة القومية للصمود والتصدي، وتاكيد التضامن مع الجزائر ضد التحرشات الملكية المغربية ، والمؤامرات الاستعمارية ، ومع اليمن الديمقراطية ضد الضغوط والتهديدات الامريكية الرجعية .

٦ ـ التضامن مع الجماهيرية الليبية ضد عدوان السادات ، وتحويل المعركة الى جانب الجماهير الليبية الى معركة قومية شاملة ، ومطالبة جامعة الدول العربية ، والمنظمات الدولية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، ودول عدم الانحياز الى تحمل مسؤولياتها .

٧ ـ النضال من اجل اطلاق الحريات السياسية ، والنقابية ، والافراج عن المناضلين المعتقلين في السجون والمعتقلات الرجعية .

٨ ـ دعم واسناد نضال الشعب الصحراوي ، بقيادة الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ، ووادي الذهب « البوليزاريو » ضد حرب الابادة التي يشنها النظام الملكي المغربي ، ونضال الشعب الارتيري ، من اجل تقرير المصير ، في اطار وحدة شعوب القرن الافريقي ، ضد الامبريالية والرجعية .

٩ ـ دعم نضال الشعب العربي ، في الخليج والجزيرة العربية ، ضد الامبرياليين والرجعيين ، من اجل الاستقلال الكامل والديمقراطية ، والتمتع بثرواتها الطبيعية ، وتصفية القواعد العسكرية الامبريالية ..

عرب

كما ادانت الامانة الدائمة ، الاتفاقية الامريكية ـ القابوسية التي حولت عمان ، الى قاعدة عسكرية امريكية ، تهدد الامة العربية والشعوب المجاورة ، وطالبت الدول العربية ، بالعمل لطرد نظام قابوس من جامعة الدول العربية ، والغاء عضويته فيها ، كونه لا يختلف في خياناته الوطنية والقومية ، عن نظام السادات .

وطالبت ، بتقديم الدعم ، والاسناد للجبهة الشعبية لتحرير عمان ، لتتولى مهمة الاطاحة بنظام قابوس الخائن . كما دعت الامانة الدائمة ، الى تعزيز التحالفات مع حركة التحرر العالمية ، والقوى الديمقراطية في اوروبا الغربية ، وامريكا ، ودول المنظومة الاشتراكية ، وفي طليعتها الاتحاد السوفييتي.

وجاء في البيان الختامي : ان الامانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي ، وهي تدعو الجماهير العربية ، وقواها الوطنية والتقدمية ، الى المزيد من اليقظة ، والمزيد من الكفاح ضد الهجمة الجديدة ، للحلف الامبريالي الصهيوني الرجعي ، فانها تسجل باعتزاز وتقدير نضال جماهيرنا العربية في كل ساحات الوطن العربي ، ان الامانة الدائمة ، تحيي نضال الشعب العربي الفلسطيني ـ هذا النضال الذي يشكل السد المنيع في مواجهة مخطط كمب ديفيد ، كما تحيي نضال الشعب العربي في لبنان بقيادة حركته الوطنية ، الذي يتحمل بصموده ، تكاليف المعركة القومية على ترابه ، بدم شهدائه وشهداء الثورة الفلسطينية ، كما تحيي نضال الشعب المصري بقيادة قواه الوطنية والتقدمية وفي مقدمتها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي .

القرارات التنظيمية

اما على الصعيد التنظيمي فقد اتخذت الامانة المنعقدة في طرابلس ، مجموعة من القرارات هي : ـ

١ ـ اقرت مشروع ميثاق الجبهة القومية والتقدمية بعد مناقشته وادخال التعديلات عليه ، وقررت احالته الى اعضاء مؤتمر الشعب العربي من اجل مناقشته واغنائه ، تمهيدا لعرضه على المؤتمر في دورته الثانية خلال نهاية هذا العام .

٢ ـ اقرت برنامج تنفيذي للتضامن ضد اطراف مؤامرة كمب ديفيد .

٣ ـ دعوة جمعيات الصداقة العربية الاجنبية الى تبني أيام التضامن التي اقرتها الامانة الدائمة ، والاحتفال بها في مجالات نشاطها .

٤ ـ ترجمة البرنامج العالمي للتضامن مع الشعب اللبناني وحركته الوطنية .

٥ ـ اقرت الامانة الدائمة مقترحا تنفيذيا بشان صندوق دعم النضال القومي .

٦ ـ اقرت الامانة الدائمة، ضرورة التزام اعضائها، بتقديم بحث ، لندوة الحربات السياسية ، في الوطن العربي ، والتي ستعقد في شهر تشرين الاول المقبل ، على ان يتم فرز مسؤول متخصص من جانب كل من هذه الاطراف حتى تتكون لجنة تحضيرية للندوة ، وتتم تسمية هؤلاء الاعضاء في مدة اقصاها يوم ٢٣ تموز الحالي .

٧ ـ عقد ندوة فكرية مع بعض المفكرين العرب من اجل مناقشة مشروع الميثاق الخاص بالجبهة القومية التقدمية .

■

Digitized by Birzeit University Library

العلاقات الاقتصادية الألمانية الاتحادية ـ السعودية :

سبيل التطور المستعار

من المعروف ان المانيا الاتحادية تدير اليوم ماكنة القيادة داخل السوق الاوروبية المشتركة ، نظرا لقوة اقتصادها النسبي ، واوضاعها المالية والتجارية قياسا ببقية البلدان الصناعية الاخرى التي تعاني من مصاعب عجز موازناتها التجارية الخارجية . ولكن على الرغم من ذلك ، فقد ظهرت أولى بوادر التغير نحو المستقبل الاقتصادي الكئيب على جبينها ، واضح القسمات .

فبعد ١٤ عاما من الزيادات المتتالية في موازين مدفوعاتها ، تواجه حكومة بون أول عجز قياسي بلغ ١.٤٥ مليار مارك في العام الماضي فقط . هذا العجز ناتج في جزء كبير منه عن انخفاض مستوى صادراتها من السلع والمواد المصنعة وارتفاع حجم وارداتها وبالاخص النفطية ، وفقدان المارك الالماني قاعدته الراسخة في الاسواق المالية العالمية ، مما جعل وارداتها النفطية اكثر ثمنا بعد ان كانت قد نجحت في فترات سابقة على استيعاب ارتفاع أسعار النفط بسرعة دون الوقوع في مشاكل مماثلة للتي وقعت فيها البلدان الصناعية الاخرى ، وجعل التضخم فيها أشد الما .

لقد دل الميزان التجاري للعام ١٩٧٩ الماضي على أن فاتورة الواردات الالمانية استمرت في الارتفاع مطلقا الى ٣١٦٠٧ مليار مارك ونسبيا الى ٢٠ بالمئة عن العام الذي سبقه ، في الوقت الذي استقرت صادراتها على ٢٩٢٠٩ مليار مارك للعام ذاته .

ولم يكن فرق العجز في الميزان التجاري البالغ ٢٤ مليار مارك ، الا ان يضيف عجزا لسائر أبواب ميزان المدفوعات الاخرى . والسبب الذي يكمن خلف هذا العجز ـ تعلله حكومة بون ـ بانه نتيجة محتومة لارتفاع اسعار النفط في الاسواق العالمية ، التي عليها دفع « فاتورته » .

وفي خضم الازمة الاقتصادية الالمانية ، وتتويجا لسياسة الانفتاح الالماني الاتحادي على أسواق الخليج الحبوبة ، قام الملك خالد عاهل السعودية بزيارة المانيا الاتحادية للتباحث على معالجة القضايا الاقتصادية المشتركة ، التي كانت على راس لائحة جدول أعماله في منتصف الشهر الماضي ، بعيدا عن « اية خلافات في وجهات النظر السياسية » !

وعلى اثر الزيارة ، انبثقت لجنة عمل المانية ـ سعودية مشتركة من أجل ابرام عقود جديدة للتعاون الاقتصادي والفني بين البلدين . كانت اقتراحات وزير المالية والاقتصاد السعودية محمد أبا الخيل خلال لقائه بزميله الالماني اونوغراف لابسدورف تتلخص في « ضرورة حث ارباب العمل ورجال الصناعة الالمان على تكثيف جهودهم للعمل في العربية السعودية ، بعد أن خصصت المملكة مبلغا قدره (٣٠٠) مليار دولار لتصنيعها » . وجاء تصريح وزير الاقتصاد الالماني بعد اللقاء بان السعودية قد « أصبحت منذ اليوم أحد أهم الشركاء الاقتصاديين والتجاريين لجمهورية المانيا الاتحادية، ومن ناحية أخرى فهي أقوى شريك اقتصادي وتجاري بين كافة البلدان العربية الاخرى » .

ومن النتائج الملموسة لهذه الزيارة أيضا ، اتفاق البلدين على امكانية زيادة السعودية من كميات نفطها المصدرة الى المانيا ، التي تقوم باستيراد أكثر من ربع احتياجاتها النفطية الحالية ، من أصل حاجتها الاجمالية البالغة ٩٤،٣ مليون طن سنويا ، لتلبية متطلبات صناعاتها المتطورة من هذه المادة ، اضافة الى تلبية احتياجاتها من المنتجات الضرورية الاخرى كزيوت التشحيم والوقود .. الخ . ومن المعلوم ، ان السعودية قامت بتزويد المانيا من النفط عام ١٩٧٨ بحدود ١٤،٦ مليون طن بنسبة ١٥،٥ بالمئة من حاجتها الاجمالية لذلك العام ، وقد ارتفعت هذه النسبة في العام ١٩٧٩ لتصل الى ١٧،٦ مليون طن بنسبة ٢١،١ بالمئة . ومن المتوقع أن ترتفع اعتماداتها على النفط السعودي هذا العام الى أكثر من هذه النسبة بكثير ، خاصة بعد أن بلغت حتى نهاية نيسان (ابريل) الماضي ٢٤ بالمئة من حاجتها للنفط فقط .

الحد من الخسائر :

لقد كانت العربية السعودية حتى عام ١٩٧٥ المصدر الاول لمشتريات المانيا النفطية ، التي ادت بدورها الى انتفاخ عجز الميزان التجاري الالماني تجاه السعودية وارتفاعه من ١٠٦ مليار مارك عام ١٩٧٣ الى ٢،٥ مليار مارك عام ١٩٧٤ ، وبلغ ذروته عام ١٩٧٥ ليصل الى ٤،٥٢ مليار مارك . وكان من المحتم أن يكون العجز الالماني خلال الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ أكبر بما لا يقاس لولا ارتفاع الصادرات الالمانية في الفترة ذاتها التي ارتفعت بدورها من ٣٣٣ مليون مارك عام ١٩٧٣ الى ١،٣٩ مليار مارك عام ١٩٧٥ الى ٣،٩٥٧ مليار مارك عام ١٩٧٧ لتبلغ ٤،١٥٩ مليار مارك عام ١٩٧٨ . وبذلك ضمنت المانيا الحد من خسائرها في ميزانها التجاري تجاه السوق السعودية ، بل توصلت تقريبا الى المحافظة على تطوير وتوسيع استثماراتها وتوظيفاتها المالية والتجارية في هذه السوق باستمرار . وعلى سبيل المثال ، تم انشاء واقامة (٥٥) مشروعا استثماريا المانيا بمساهمات سعودية محلية منذ عام ١٩٧٤ ، في القطاعات الاقتصادية المختلفة من بناء الشوارع والبناء العالي جاهز الصنع والمواد المستعملة في البناء الى صناعة السيارات وغيرها ، حققت هذه الاستثمارات والتوظيفات خلال الفترة بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨ اكثر من ١٤ مليار مارك .

تصر الحكومة السعودية على تصنيع البلاد وتطوير حضارتها العمرانية ، وذلك عبر صفقات النفط لالمانيا وغيرها من البلدان الرأسمالية الاخرى ، وعبر استثمارات رؤوس أموالها هناك ، والسعي الى تحويل مجتمع الجزيرة الى مجتمع استهلاكي صرف على صورة هذه البلدان .

لذلك كله ، فقد ارتدت الزيارة الاخيرة لالمانيا ، معاني جديدة ذات مزايا أبعد من تركيزها على النواحي الاقتصادية وقضايا التعاون التقني بين البلدين ، كما شاء للاعلام الغربي أن يصورها ، على انها علاقات متكافئة ، لان حاجة المانيا الى النفط السعودي بمثابة الشريان الحيوي لصناعاتها المتطورة ، أما حاجة السعودية فتتدرج باعتمادها على « التكنولوجيا والخبرات الالمانية » .

ولكن التعاون الالماني ـ السعودي في المجال النفطي يتجاوز ذلك بكثير الى العائدات النفطية ذاتها ، حيث تودع السعودية جزءا كبيرا من أموالها في المصارف الالمانية على هيئة ودائع ، وفي برامج الاستثمارات أيضا ، كما ان المانيا تجد في المملكة سوقا مفتوحة الابواب على مصاريعها لتسويق سلعها ومنتجاتها المصنعة المختلفة ، بالاضافة الى استثماراتها المالية والتجارية في هذه السوق الحيوية لها ، ولازالة أي التباس حول ضرورة التعاون الاقتصادي بين البلدين أكد محمد أبا الخيل على أن « كل ثالث تفويض يعهد للخارج سنقوم الحكومة السعودية باعطاءه الى شركات المانية » .

■

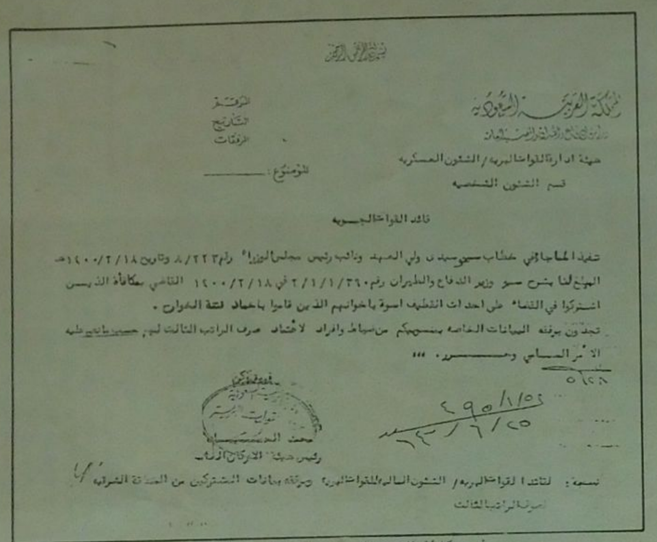

أمر مكافأة الجنود الذين شاركوا في قمع الانتفاضة

اتساع ساحة النضال ضد النظام السعودي

منظمة انصار الحركة الديمقراطية في الجزيرة العربية تطالب بفضح وتعرية النظام السعودي

وجهت منظمة أنصار الحركة الديمقراطية في الجزيرة العربية نداء الى الضمير العربي والعالمي اوضحت فيه حقيقة جريمة اختطاف المناضل العربي ناصر السعيد التي جاءت كحلقة في سلسلة الجرائم التي يرتكبها النظام السعودي ضد الاحرار المناضلين من ابناء شعب الجزيرة العربية .

وقد طالبت المنظمة بالعمل على ايصال خبر الاختطاف الى جميع الافراد والمجموعات والتنظيمات الشعبية العربية والصديقة .

ودعت التنظيمات والتجمعات العربية والعالمية الى مبنى قضية اختطاف المناضل ناصر السعيد من أجل فضح النظام السعودي والاتصال عن طريق تنظيماتها بالهيئات العربية والدولية المهتمة بحقوق الانسان .

كما دعت منظمة الطلبة العرب في أمريكا وكندا الى تبني هذه القضية وذلك بايجاد لجنة مركزية تعمل على انشاء لجان فرعية من أجل خلق رأي عام لفضح الارهاب السعودي وتعرية النظام الرجعي .

وفي ختام ندائها أهابت المنظمة بكل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية بفضح الطريقة التي اقدم عليها النظام السعودي فيما يتعلق بمواجهة حركة الاعتصام في مسجد الحرم وجريمة اغتيال ٦٣ مواطنا دون أية محاكمة .

على اثر تصاعد الانتفاضة الجماهيرية ضد نظام آل سعود العشائري العميل ، هذه الانتفاضة التي حطمت حواجز الرعب التي حاول النظام الاختباء وراءها طوال سنوات حكمه السلطوي المطلق . فقد اخذت قطاعات واسعة من الجماهير والعمال تنضم الى ساحة النضال متحدية كل اساليب الارهاب والقمع الوحشي الذي تمارسه سلطات نظام آل سعود .

وفي الفترة الاخيرة ، انضمت قطاعات من الجيش الى ساحة النضال الجماهيري ، مما افقد النظام صوابه حيث لجأ الى اسلوب الترغيب والترهيب لابعاد الجنود عن ساحة النضال الجماهيري ، فاقدم على اعدام العديد من جنود وضباط الجيش في نفس الوقت امر ولي العهد فهد بن عبد العزيز بصرف رواتب ثلاثة اشهر لكل جندي اشترك في قمع الجماهير اثناء انتفاضة الجزيرة في مكة المكرمة والمنطقة الشرقية في نوفمبر عام ١٩٧٩ .

القاهرة ــ خاص بالهدف :

أدى احساس النظام السادات بالمأزق الذي وصلت اليه مباحثات الحكم الذاتي وازدياد عزلته على الصعيدين العربي والدولي كتعبير طبيعي عن فشل سياسته الخارجية الى الالتفات المحسوب الى الداخل حيث الجماهير المصرية التي طال انتظارها للرخاء ، هادفا تغطية الفشل على الصعيد السياسي الخارجي وذلك بالهاء الجماهير بمجموعة من المواقف الجديدة والقديمة والمرافقة مع تشديد عمية القمع والاضطهاد للجماهير، وفي سبيل ذلك بدأ النظام الحركة على ثلاثة محاور ذات دلالة مهمة وهي (١) اثارة النعرة الطائفية . (٢) المرونة الصلبة تجاه المثقفين والمعارضة البرجوازية (٣) محاولة امتصاص المعارضة الشعبية وذلك بتخفيض أسعار بعض السلع .

١ ــ اثارة النعرة الطائفية : عندما تزداد درجة الغليان الجماهيري المبشر بالانفجار فان الانظمة الرجعية تلجأ عادة بهدف امتصاص النقمة الجماهيرية ــ الى تقديم كبش فداء يصل أحيانا الى حد تفجير الحروب الخارجية وتبدأ حملة القمع الداخلي تحت شعار الوحدة الوطنية والدفاع عن الوطن المهدد بالخطر الخارجي .. الخ ولكن السادات اختار كبش فدائه من الداخل وذلك باثارة النعرة الطائفية « فالشعب القبطي » حسب تعبير السادات يريد الانفصال وتشكيل دولة مستقلة في الصعيد عاصمتها اسيوط ، ورغم أن السادات يدرك مقدما خطورة هذه اللعبة الا أنه يغامر ويلعبها متوخيا فيها بعض المحاسن حيث انها تساعد على تمزيق قاعدة الرفض الجماهيري لمجمل سياسته وتحرفه عن هدفه الاساسي بحيث يبقى النظام يلعب دور الحكم بين الطوائف المتصارعة ، كما أن النظام بتشديد هجومه على مسيحيي مصر يرضي بعض الجماعات الاسلامية المغرقة في رجعيتها ويحاول جرها مرة أخرى الى داخل دائرته ، فالنظام الذي سبق ويسر كل الامور لحسن التهامي لتشكيل مجموعة من المجموعات الاسلامية العلنية بهدف استعمالها كبديل للجماعات الاسلامية السرية (جند الله ــ تكفير وهجرة ــ الجهاد) الاكثر عداء للنظام من جانب وكاداة تستعمل للقضاء على اليسار المصري من جانب آخر ، أصبح الان في موقف لا يحتمل تطاول الجماعات الاسلامية العلنية عن الحدود التي رسمت لها حتى وصل الامر بالنظام الى التهديد العلني لرموز هذه الجماعات في لقائه مع أساتذة الجامعات اكثر من مرة ، كما أن بعض هذه الجماعات (جماعات السنة المحمدية) (أصبحت تدرك الدور المنوط بها والذي لا نريد انجازه حيث انها تعتقد أنه اذا ما تم القضاء على اليسار فان النظام سيستغني عد خدماتها تمهيدا لتصفيتها ولذا اقتصر موقفها من قوى اليسار في الفترة الاخيرة (أحيانا) على المقاطعة السلبية دون محاولة الصدام معه ، مع استمرارها في عملها الملحوظ في الشارع المصري من جمع تبرعات وبناء مساجد وعقد ندوات ومؤتمرات للتنديد باستضافة الشاه مثلا أو « بالغزو السوفياتي لافغانستان » ثم تنتهي هذه المؤتمرات بالمناداة بسقوط السادات (أحداث أسيوط بور سعيد والمنصورة هذا التصعيد الديني الذي لم يخل على أية حال من محاولة الاحتكاك بالاقباط حتى وصل الامر الى القاء القنابل على بعض الكنائس (كنيسة الابراهيمية بالاسكندرية) والقاء طالب مسيحي من الدور الرابع بالمدينة الجامعية بالاسكندرية ايضا .. الخ استنار بعض زعماء الاقباط الدينيين الذين عبروا عن استيائهم بالاعتصام في الاديرة وعدم اقامة الصلوات في المناسبات الدينية « اعتصام الانبا شنوده وعدم اقامة الصلوات في عيد الفصح » ، ولجوء الرهبان خلال نفس الفترة للاديرة والانحاء لمجموعات من المهاجرين الاقباط بالتظاهر ضد السادات في الخارج (مظاهرة كاليب ديفيد والامم المتحدة) ، فما كان من النظام الا أن تلقن الكرة مختارا الطرف الاضعف من القوى الرجعية « الدينية » شانا حملته المسعورة على الاقباط هادفا خلق خطرا وهميا أمام الجماهير الكادحة ممثلا بالقبط ، ولكن النظام وهو يلعب بالنار نسي أن النبيت المصري الذي طالما تغنى بالوئام المسيطر عليه ممزق من الداخل وأن كبير العائلة المصرية يساهم في خلق الصراع داخل العائلة حتى يتمكن من حكمها بشكل أفضل ونسي أن جماهير مصر المسحوقة بالغلاء والتي تحلم في منامها ويقظتها برغيف الخبز تدرك أن ابعاد لعبته التي لم تنطل عليها لان تاريخ نضالها كان تاريخ نضال الجماهير المسحوقة قبطها ومسلميها ونسي أيضا ان من يلعب بالنار لا بد وأن يحترق بها في نهاية الامر.

٢ ــ أما المحور الثاني الذي اختاره النظام لسياسته الداخلية فهو التوجه للمثقفين ورموز المعارضة الديمقراطية والبرجوازية اذ أنه من الواضح أن المعارضة بدأت تتشكل في هذه القطاعات حول قضية الديمقراطية والتي عبرت عن نفسها بشكل واضح في التصدي لقانون العيب الذي يعتقل على النوايا « مما شكل احراجا واضحا للنظام ، ولذا تم التوجه الى هذا القطاع أساس ما يمكن تسمية تنازل مقابل آخر ، مما أن عقدت جماعة المصريين مؤتمرها الصحفي في مقر التجمع ١٣ مايو مطالبة بالغاء الاحكام العرفية

الأوضاع الداخلية في مصر:

النظام يلعب لعبة الفتنة الطائفية والجماهير لا تجد رغيف الخبز

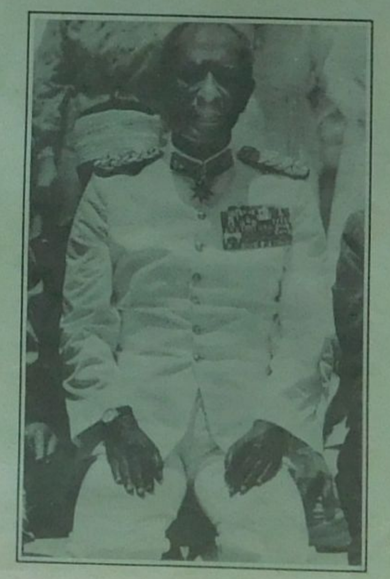

مليارا دولار في البنوك المصرية

كشف وزير الاقتصاد والمال السعودي محمد أبا الخيل النقاب عن قيمة الاموال المودعة في البنوك والمصارف المصرية لكل من السعودية والكويت التي تبلغ ملياري دولار . وهكذا تترجم المواقف الرسمية العربية مقاطعة نظام السادات اقتصاديا وفقا لمقررات الحد الادنى للقمم العربية !!

استمرار حملات الارهاب في العراق

حملات الاعتقال النفسي والارهاب والاغتيال لم تتوقف في العراق ، ولم تقتصر هذه الحملات على قوة محلية او عربية دون أخرى ، بل امتدت لتشمل ابناء شعبنا الفلسطيني في العراق وفصائل الثورة الفلسطينية التقدمية ، التي وبعد أن أقفل مكاتبها وابعد عناصرها بالجملة لجأ في الآونة الاخيرة الى اسلوب الابعاد الفردي حتى استمرار حملات الاستنكار والسخط على ممارسات النظام العراقي .

وفي الفترة الاخيرة شهدت مناطق العاصمة بغداد ، وبعض المدن العراقية ، تصعيدا كبيرا لعمليات الارهاب ضد المناضلين من الحزب الشيوعي العراقي ، ومختلف الاتجاهات الوطنية .

وفي هذا الصدد أصدر الحزب الشيوعي العراقي بيانا أوضح فيه انه مع سعار الدعاية الحكومية المحمومة لهزلة الانتخابات ، بلغت الحملة الارهابية ذروة جديدة ، شملت المئات من المواطنين في بغداد ــ الكاظمية ــ ديالى ــ البصرة ــ بغداد الجديدة وغيرها .

وقد تعرض المعتقلون الى أساليب تعذيب وحشية ، أدت الى استشهاد عدد من المناضلين بينهم عبد علي عبيد من بغداد منطقة الفضيلية ، وعصام صاحب خليفة الصفار طالب في الكاظمية كما انعدمت أخبار مجموعات بكاملها مما يبعث القلق على حياتها كما هو حال الدكتور صفاء الحافظ والدكتور صباح الدرة والمناضل النقابي هندال جادر .

وفي الحملة الاخيرة اعتقلت ليلى يوسف وأم نضال حيث جرى اختطافهما واخفاءهما .

وقد أهاب البيان بكل الخيرين وكل الديمقراطيين بانهم عبد علي عبيد من بغداد منطقة الفضيلية ، وعصام صاحب خليفة الصفار طالب في الكاظمية كما انعدمت أخبار مجموعات بكاملها مما يبعث القلق على حياتها كما هو حال الدكتور صفاء الحافظ والدكتور صباح الدرة والمناضل النقابي هندال جادر .

وفي الحملة الاخيرة اعتقلت ليلى يوسف وأم نضال حيث جرى اختطافهما واخفاءهما .

وقد أهاب البيان بكل الخيرين وكل الديمقراطيين بان تعز عليهم حرية الانسان وحقه في الحياة أن يرفعوا صوت الاحتجاج ضد هذا الاستهتار وأن يطالبوا بوقف اعمال التعذيب والتصفيات وباطلاق سراح المعتقلين السياسيين في العراق .

(قوانين الطوارئ) التي بقيت مصر ترزح تحت وطأتها منذ عام ١٩٤٤ حتى بادر السادات بعدها بيومين بالغاء هذه القوانين مما خلق نوعا من الارتياح في صفوف هذه القوى ولكن هذا الارتياح لم يطل اذا اعقب الالغاء تشكيل محاكم أمن الدولة التي تضم في عضويتها مجموعة العسكريين وهذه المحاكم بالطبع لن تتيح لمن يمثل أمامها أن يحصل على حكم براءة أو مع وقف التنفيذ كما حصل بعض أعضاء حزب العمال الشيوعي عندما مثلوا أمام القضاء المدني وقبل ان يفيق مثقفي البرجوازية من دهشتهم صدر قانون اعادة تشكيل المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب حيث أصبح المجلس الاعلى للثقافة والذي قام على جثة وزارة الثقافة والارشاد القومي وللمجلس الاعلى هذا فرع في كل محافظة يرأسه المحافظ مباشرة الذي أصبحت سلطاته تعادل سلطات رئيس الجمهورية (في المحافظة) وبالذات صلاحيات استعمال أجهزة القمع ضد الجماهير. وهذا القانون ليس له الا تفسير واحد وهو أن كل من يمارس الابداع الثقافي والفني عليه أن يقول ما يريده النظام والا فليصمت الى الابد ، أي أن النظام يكم أفواه المثقفين وينطقها بالذي يريد وفي تقديرنا أن هذا القانون سينعكس سلبا على صحف المعارضة الرسمية خاصة حزب العمل .

٣ ــ أما المحور الثالث الذي يتحرك عليه النظام في الداخل فيتمثل في اصدار مجموعة من القرارات حول تخفيض أسعار السلع بحجة تخفيف المعاناة عن الجماهير وحتى يعيد التفافها حوله كما كان الوضع في عام المبادرة ولكن الواضح أن هذه القرارات قد جاءت عشية الاستفتاء على حق الرئيس في البقاء في السلطة مدى الحياة ، كما انها حقيقة لا تمس حياة الجماهير من قريب أو بعيد ، فالمجموعة الاولى من السلع والتي خفض الحد الاعلى للضريبة المدفوعة عليها متمثلة في أجهزة التلفزيون والكاسيت والسيارات ومجموعة من السلع الكمالية ، واضح أن المستفيد من هذه التخفيضات شريحة طبقية محددة ممثلة في العاملين في الدول العربية كذلك تهدف الى ارضاء النهم الشرائي عند الشرائح البرجوازية في الداخل . اما بالنسبة للسلع الاخرى والتي قدرت بحوالي ١١٤ سلعة خفضت اثمانها فان أغلبها لم يعد ينتج وغير موجود في السوق اطلاقا هذا من جانب ومن جانب اخر فان من بينها عشرون نوعا من الاقمشة (الكستور) وحوالي خمسة أنواع من الزيوت بالاضافة الى مجموعات مختلفة من الاحذية ، هذا في الوقت الذي تمثل فيه ماساة المواطن المصري في رغيف العيش الذي لم يعد الحصول عليه سهلا من ناحية توفره في الاسواق بالاضافة الى أن ثمنه الذي أصبح ١٠ ملم في ظل كبر حجم العائلة المصرية في الاوساط الشعبية الذي لا يقل عن سبعة أفراد في أغلب الاحيان ومحدودية الدخل الذي يبلغ في المتوسط ٢٠ جنيه (قدرته الاهرام بثلاثين جنيه) مطلوب من رب الاسرة ان يسدد منها الايجار والسكن والكهرباء والماء والمدرس الخصوصي وتغطية كافة احتياجات الاسرة فان رغيف الخبز أصبح يمثل بالفعل مشكلة حقيقية للمواطن المصري وقد رافق هذه القرارات حملة مكثفة من رجال مباحث التموين بحجة البحث عن المتلاعبين بالاسعار وبقوت الشعب وقد انصبت هذه الحملة على تجار القطاعي (المفرق) بحجة انهم السبب في هذا الغلاء الفاحش بينما تجار الجملة والذين أصبحوا بشكلون سياج أمن للنظام وأصحاب المخازن المكدسة أو ضحاياهم تجار المفرق منهم فوق الشبهات ، والملاحظ أن هذه القرارات ورغم كل التطبيل والتزمير لها في أجهزة الاعلام والتي أصبحت تعقد حولها الندوات بين المسؤولين في التلفزيون والاذاعة ، قد استقبلها الجمهور بلا مبالاة حقيقية انعكست بشكل ملحوظ على الاستفتاء الذي أراد النظام أن يكون مظاهرة تاييد جماهيرية له حيث كان عدد المشاركين محدود للغاية .

والنقطة المهمة في الاوضاع الداخلية هنا هي انقضاض الجماهير من حول النظام بشكل ملحوظ وازدياد الانتقاد لسياسته الداخلية والخارجية في كافة الاوساط الشعبية وفي أوساط البرجوازية الصغيرة أيضا ، كما يلاحظ أن ثقل الحركة الجماهيرية المناهض للنظام قد أخذ يتمركز وبشكل ملفت للنظر في الاقاليم خاصة (الصعيد) مما يجعل امكانية ممارسة العمل المسلح في هذه المنطقة امكانية واردة اذا وضعنا في الاعتبار صلابة جماهير هذه المنطقة وأوضاعهم الطبقية وخروجهم على النظام « العداء القطري للحكومة » باستمرار والدليل على ذلك أطنان الاسلحة التي سبق وصادرها النظام من هذه المنطقة والتي لا زال الكثير منها موجودين بين أيدي الاهالي حتى انها المنطقة الوحيدة التي أوصلت مرشحها لمجلس الشعب « ممتاز نصار » رغما عن أنف النظام وذلك بالحراسة لصناديق الاقتراع ، كما أنها المنطقة الوحيدة التي لم يجرؤ النظام على انزال قوات القمع المركزي اليها اثناء انتفاضة ١٨ ، ١٩ يناير ، ولكن الخلل الواضح يتمثل في الغياب الفاضح للحركة الوطنية عن الشارع المصري هي عاجزة حتى الآن عن استقطاب هذه القطاعات حولها كما أن برنامجها ما زالت دون المطلوب أي لم تطرح الكفاح المسلح كوسيلة نضالية أساسية لاسقاط النظام في برامج أي من فصائل الحركة الوطنية واذا طرح هذا الموضوع عند « المؤتمر » مثلا فلا بد وأن تستبقه مجموعة من الطقوس التي تجعل منه صنما للعبادة وليس وسيلة نضالية لاسقاط نظام يزداد في كل لحظة قمعا وارهابا واعرافا في الخيانة الوطنية والقومية.

■

Digitized by Birzeit University Library

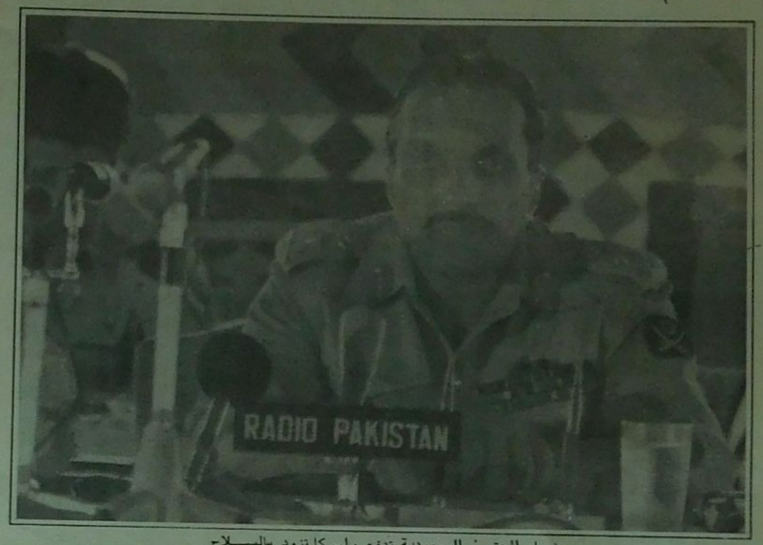

ضياء الحق : السعودية تدفع وأميركا تزود بالسلاح

الجنرال ضياء الحق في السعودية
يبحث عن ممول لحل مشاكله العسكرية والمالية

الزيارة التي قام بها حاكم باكستان الجنرال ضياء الحق للسعودية والتي ذكر انها لم تكن مقررة من قبل تبدو الطريق ليس فقط الى خروج الرئيس الباكستاني من مأزقه مع الولايات المتحدة ، بل ايضا الطريق الى خروج ادارة كارتر من مأزقها مع ضياء الحق . ومما لا شك فيه ان الضيف الباكستاني قد لقي اذانا صاغية في الرياض لانه يحمل معه مطلبا اساسيا واحدا مبرراته مقبولة تماما من السعودية .

ان انضمام رئيس لجنة الاركان المشتركة الجنرال محمد اقبال خان ، للوفد الرسمي المرافق للجنرال ضياء الحق يؤكد حقيقة ان هدف الزيارة التي تقررت فجاة الى احدى اغنى الدول النفطية واكثرها ارتباطا بالولايات المتحدة ، هو الحصول على المزيد من المساعدات السعودية لتمويل صفقات تسليح القوات المسلحة الباكستانية من الاسلحة الاميركية .

فالمطالب التي تقدم بها ضياء الحق الى واشنطن لم تجد قبولا هناك « لان الثمن باهظ جدا » بحسب راي الاميركيين ، على الرغم من حاجتهم الى باكستان خصوصا في هذه المرحلة بالذات .. ففي اثر اسراع الاتحاد السوفياتي الى مساعدة الثورة الافغانية قدمت واشنطن لباكستان عرضا بمساعدة اقتصادية وعسكرية بقيمة ٤٠٠ مليون دولار . ولكن ضياء الحق الذي راهن على ازدياد حاجة واشنطن الى بقاء واستمرار نظام حكمه في ضوء التطورات الافغانية رفض ذلك العرض واصفا المبلغ بحفنة من الفستق. واعلن من ثم عن مطلبين : الاول ، ان جيشه يحتاج الى مساعدات عسكرية لا تقل قيمتها عن ثلاثة بلايين دولار لاعادة بنائه وتحديث تسلحه لان قواته المسلحة المؤلفة من ٤٠٠ الف جندي ذات كفاءة عسكرية عالية ولكن اسلحتها قديمة وتكاد تكون عديمة الجدوى . والمطلب الثاني ، ان توقع الولايات المتحدة مع باكستان معاهدة دفاعية تلزم الولايات المتحدة بالتدخل عسكريا الى جانب باكستان في حالة حرب — حتى ولو كانت هذه الحرب مع الهند .

وقد رفضت الولايات المتحدة المطلب الثاني لاعتبارات تتعلق بعلاقاتها مع الهند وفضلت استمرار المعاهدة العسكرية الموقعة سنة ١٩٥٤ التي لا تورطها الى هذا الحد . ورفضت المطلب الاول باعتبار ان المبلغ باهظ جدا . ولكن رغم بقاء الامور معلقة بهذا الشكل فان ثمة جهودا كانت تبذل لدى السعودية على ما يبدو . وكانت مجلة « يو. اس. نيوز » الاميركية قد ذكرت قبل اسبوعين من زيارة ضياء الحق المفاجئة الى السعودية ، بان الولايات المتحدة ستكون سعيدة جدا لو اخذت عنها الدول الاسلامية — والمقصود السعودية بالدرجة الاولى — الاعباء المالية لاعادة تسليح باكستان بالاسلحة الاميركية (!) — اذ لم يكن ضياء الحق وحده يراهن على استحصال مساعدات من البلدان العربية المنتجة للنفط لتمويل مشترياته العسكرية الاميركية وللتخفيف من مشاكل الحكم المالية، عندما استضاف المؤتمرين الاسلاميين ، بل كانت واشنطن تشاركه هذا الطموح ولا تزال تفعل، خصوصا وان من شان تاخر هذه المساعدات وبالتالي عملية التسليح ، من شانها ان تزيد في اضعاف موقف ضياء الحق في اوساط القوات المسلحة ، سنده الوحيد ازاء عزلة حكمه المتزايدة واتساع رقعة اشكال المعارضة له .

فعلى الرغم من ان مطالب زعماء الشيعة قد اخذت طابعا دينيا الا ان هذا التحرك الذي استقطب ٢٠٠ الف نسمة حاصروا المكاتب الحكومية في اسلام اباد ، في الاسبوع الماضي ، استجابة لدعوة الى التظاهر، كان تحركا ذو طابع الانتفاضة ضد نظام حكم ضياء الحق الذي وصف فلاقات وشعارات المسيرة بالطائفية ادانة لسياسته الداخلية . ولم تكن صدفة تعيين موعد التظاهرة في الذكرى الثالثة لاستيلاء ضياء الحق على السلطة .

وقد جاء هذا التحرك في وقت اشتدت فيه ازمة النظام السياسية والى الدرجة التي دفعت ضياء الحق الى اتخاذ المزيد من الاجراءات القمعية التي يحاول ان يضمن من خلالها كم آخر صوت يمكن ان يتصدى لنظام حكم « الاحكام العرفية التي حول باكستان الى مقبرة » حسب قول احد السياسيين المعارضين . فقد اقدم ضياء الحق على الغاء سلطة المحاكم المدنية التي كانت المؤسسة الوحيدة المستقلة (الى حد ما) المتبقية في البلاد .

هذه المحاكم طالما اعتبرتها المعارضة السلاح القانوني الوحيد المتبقي لها ضد نظام الاحكام العرفية. ومنذ ان اجل ضياء الحق الانتخابات العامة في الخريف الماضي وفرض الرقابة الصحافية وغيرها من القيود السياسية وهذه المحاكم المدنية تنقض الكثير من قرارات واحكام المحاكم العسكرية . فقد دأب القضاء على التشكيك باحكام الحكم العسكري، وعلى تأجيل احكام الجلد وعلى الافراج عن المتهمين بكفالة وما الى ذلك ، الامر الذي دفع ضياء الحق الى الغاء سلطة هذه المحاكم وتعديل الدستور بالشكل الذي يوسع صلاحيات المحاكم العسكرية، ويلغي حق المحاكم المدنية في اعادة النظر بقرار المحاكم العسكرية .

لقد عزز ضياء الحق سلطانه كديكتاتور في محاولة لابقاء زمام السلطة في يديه ازاء التنامي السريع للقوى المناوئة لحكمه . وتوجه نحو السعودية لاقناعها بزيادة مساعدتها المالية ليس فقط في محاولة لحل مشكلته مع واشنطن بايجاد ممول لمشترياته العسكرية منها ، بل ايضا في محاولة لحل مشاكله الاقتصادية الداخلية التي تسهم مساهمة رئيسية في التعبئة الشعبية ضده وفي ظل القمع المتزايد . وبالطبع لن يعود ضياء الحق خال الوفاض من الرياض لان باكستان في ظل نظام حكمه بالنسبة للرياض هي نفسها باكستان بالنسبة للولايات المتحدة — موطىء القدم المناسب الذي يحد ايران وافغانستان والهند ، البلدان المثلاثة التي اجتاحتها تطورات معادية للامبريالية الاميركية وقلبت الموازين لغير صالحها .

■

مرة اخرى يعاود حزب العمل الوطني الفاشي وميليشياته العسكرية ((الذئب الاغبر)) و ((الشباب المثالي)) نهج بث الرعب ومهاجمه الابرياء والقيام بمجازر جماعيه . فبعد ان قام الحزب المذكور بمذبحته الشهيره في الشهر الاخير من عام ١٩٧٨ في مرعش قهرمان الواقعه جنوب تشرمي انفره (٣٦٠ كيلو مترا) .. والتي ذهب ضحيتها ٥٥٠ قتيلا (رجال واطفال ونساء) .. عاود الحزب هذا الاسبوع سلسله مذابحه ، مرتكبا جريمه اخرى في صفوف الطائفه ذاتها ، وهي الطائفه العلويه . فقد هاجمت عناصره المسلحة مدينة قورم الشمالية ، حيث قتلت ١٨ شخصا خلال ثلاثه ايام على الرغم من فرض حظر التجول في المنطقة .

فضلا عن اعمال العنف المذكورة فقد شهدت تركيا في يوم الثلاثاء الماضي سقوط ٩ قتلى لاسباب سياسية .. وهكذا يصبح عدد القتلى في اسبوع واحد فقط اكثر من مئة قتيل ، وهو ما وصفته الشرطة التركية باسوأ اسبوع منذ ١٨ شهرا .

ماذا وراء تصاعد العنف السياسي ؟

كيف يمكن تفسير تصاعد العنف الفاشي بهذا الشكل وفي ظل حكومة يمينية تسعى جهدها لترميم اوضاعها الداخلية .. للوهلة الاولى يبدو الامر محيرا ، ولا سيما وان حزب العدالة كان قد وعد الجمهور التركي حين تولى سليمان ديميريل رئاسة الوزارة باوقاف الارهاب السياسي ، وتحسين الحالة الاقتصادية ، والغاء القوانين العرفية في البلاد ، وتثبيت الديمقراطية !! ذلك البرنامج الذي رفعه حزب العدالة بزعامة ديميريل ووضع كمرحلة اولى لتطبيقه ثلاثة اشهر ، او كما يسميه المعلقين السياسيين مشروع المائة يوم !!

ما الذي حدث اذن بعد هذا البرنامج السحري ؟ العنف تزايد عشرات المرات ، الحالة الاقتصادية التي كان مفترضا ان تنتشل من الحلفاء الغربيين بقيت كما هي برغم بعض المساعدات الغربية التي لا تغني ولا تسمن الاقتصاد التركي المنهار .. وبالتالي حوصر القطاع العام وانسحبت الشركات الخاصة وتدفق القليل من الاستثمارات الاجنبية بشكل حذر .. الا ان ذلك لم يمتص التضخم ولم يقلص البطالة .. وعلى الجانب الآخر فالقوانين العرفية التي وعد ديميريل وحزبه الى الغائها انسحبت لتشمل ٢٩ اقليما بعد ان كانت مطبقة في ٢٣ اقليم فقط .. أما الديمقراطية الموعودة فهي الحلم الغائب في وسط كل الفوضى والحرب الاهلية .

اذن برنامج المائة يوم لاقى فشله الذريع الذي اضيف الى الفشل الذي سجله برلند اجاويد من قبل .. الى هذا الحد والامر لا يزال محيرا وغامضا ! .. ما الذي يريده حزب العمل الفاشي الذي يتزعمه الكولونيل المتقاعد بارسلان توركش ؟ هل انيطت به مهمة اسقاط الحكومة اليمينية الوحيدة التي يمكنها ان تكسب اغلبية ضئيلة ؟ واذ افترض وتمكن من اسقاطها ، كيف يمكن معالجة وتسوية المنزل التركي المضطرب على كل المستويات ؟ هل حزبا فاشيا يبني دعواه على اقامة دولة طورانية كبرى تجمع كل المتحدثين باللغة التركية ، وتسخر من الديمقراطية البرلمانية ، وتنادي بالتركي السوبرمان .. هل يمكن ان يحقق هذا الحزب مصالح الغرب احسن من اليمين الكلاسيكي الرأسمالي ؟ انه وبالتأكيد لا الحلف الاطلسي ولا المخابرات الاميركية بودان حكومة منيلة .. انما الامر لا يعدو اللعب في كل الاوراق التركية ، واستنزاف القوى المسلحة للاطراف السياسية الداخلية وبالذات قوى اليسار للتمكن من ضربها بقسوة مما يترك اليمين ليعزز سلطته دون انفجارات طبقية ..

عودة لسياسة فرق تسد

وعلى الجانب الآخر فهناك اللعبة القديمة التي يبرع الغرب في ممارستها حاليا .. لعبة الاستعمار البريطاني القائمة على سياسة ((فرق تسد)) حيث يتم التركيز على تأجيج النعرات الطائفية والعرقية وحقن النضالات السياسية باحقاد لا تجد لها طريق سوى المعالجة بالانفجار .. هذه السياسة تضعف الاطراف الوطنية وتقوي العدو الخارجي الذي هو بامس الحاجة لتدمير اية مقاومة وطنية أمامه .

اذا ما اشتعل البيت التركي من الداخل فالغرب بقواه وقواعده الـ ٢٦ قاعدة في تركيا وعملائه ، والجيش التركي الذي ما انفك عن التهديد في حالة اضطرام الاوضاع الداخلية .. الغرب اذن قادر على التدخل المباشر وتنصيب حكومة حليفة تتبع حركة أوسع وأضمن للامبرياليين ان هي اذن سوى تمهيد للمرحلة القادمة .. تمهيد افترض ان يلعب فيه حزب الميليشيات الفاشية بكل أسلحته الدموية تقتيلا ابنيا تمكن في الجسم السياسي والطائفي والعرقي لتركيا .. وأمر كهذا يسهل لولوج المرحلة القادمة والحاسمة ..

لماذا الطائفة العلوية ؟

يبقى ان الكثير يتساءل لماذا ينصب جم غضب وحقد الحزب الفاشي على الطائفة العلوية بالذات والتي خصها باوسع مذابحه ((قهرمان وقورم)) .. في الواقع ان هذه الطائفة التركية أصبحت هدف الفاشيين لثلاث أسباب هامة : أولها لكونها غذت اليسار التركي باحسن قياداته ومثقفيه ، وثانيها لانها طائفة اقلية ، والاقليات القومية والدينية والطائفية هدف من الفاشيين ، وثالث هذه الاسباب هو ان جانبا كبيرا من الطائفة يرى في الثورة الايرانية نصرا له وأداة انقاذ ويقظة اسلامية ، وفي احياء المدن العلوية ترتفع صور قادة الثورة الايرانية كالخميني وبني صدر ، فضلا عن الدعوات التحريضية لقيام ثورة تركية مماثلة .. ان دعوات مماثلة تثير احقاد اليمين العنصري الفاشي فيصب جم غضبه وحقده على هذه الاقلية بالذات .

وأخيرا كيف يمكن رؤية الآفاق المستقبلية على الساحة التركية السياسية .. حكومة ديميريل عاجزة عن وضع حلول حاسمة على كل المستويات .. حتى انها عاجزة عن اي تحالفات سياسية كالسابق والبديل السياسي لحزب العدالة وهو الحزب الجمهوري عاجز هو الآخر منفردا عن حسم الاوضاع وتخلى عن حلفائه ايضا ، الاحزاب الاخرى لا علامة على اتفاقها في اسلوب جيهوي أو عمل مشترك .. والاوضاع يوما بعد يوم تتأزم .. ولا حل سوى حلف واسع للقوى اليسارية والديمقراطية لمجابهة المد اليميني الفاشي المتصاعد .

■

مجازر أخرى يرتكبها حزب العمل الفاشي التركي أكثر من مئة قتيل في اسبوع واحد

الحلف الاطلسي يساوم مع تركيا

● اعلن جوزف لونز امين عام منظمة حلف شمال الاطلسي ، بان على الغرب ان يزيد مساعداته العسكرية والاقتصادية والمالية لتركيا لانها تحتاج المزيد من المساعدات هذه. وقد ارفق لونز دعوته هذه بالاشارة الى تاكيدات حصل عليها من وزير الخارجية التركي خير الدين اركان ، بان تركيا لن تعرقل عوده اليونان الى الجناح العسكري للحلف الذي خرجت منه في سنة ١٩٧٤ احتجاجا على احتلال تركيا جزءا من جزيرة قبرص .

وكانت مسالة عودة اليونان الى الجناح العسكري للحلف مسالة رئيسية في جدول اجتماع المجلس الوزاري للحلف الذي انعقد في تركيا في الاسبوع الاخير من شهر حزيران الماضي . فعلى الرغم من استعداد اليونان العلني بالعودة الا ان المسالة كانت موضوعا رئيسيا في الاجتماع بسبب اصرار تركيا على ان تكون هي الركيزة الاساسية للحلف في المنطقة وليس اليونان ، ومعارضتها منح اليونان مما تعتبره انفره مكانة مميزة داخل الهيكلية القيادية في الحلف كثمن لعودتها . ولكن يبدو من كلام لونز ان ثمة مساومات ستضطر انفره فيها الى تنازل في هذه المسالة مقابل مساعدات غربية اضافية .

Digitized by Birzeit University Library

يتحرك الوضع في غواتيمالا بسرعه نحو ان يصبح في صداره احداث اميركا الوسطى الى جانب السلفادور . فقد بلغ مستوى العنف القمعي الدموي درجه خطيره ، كما تصاعدت العمليات الثوريه المسلحه لمواجهه النشاط الفاشي الذي يحصد اليساريين والوطنيين المعتدلين ايضا ، من اساتذة جامعيين وطلاب وعمال .

غواتيمالا على ابواب انتفاضة شعبية

المنظمات اليسارية الثورية تتحد في جبهة واسعة وتعمل لتحالف واسع من القوى الديمقراطية

ففي السنة ما قبل الماضية ، جرت في غواتيمالا انتخابات رئاسية « انتصر » فيها احد الجنرالات الذي وعد (كغيره من الحكام الفاشيين المصاعدين) باجراء اصلاح اجتماعي ، وحتى بالعوده بالبلاد الى الحكم المدني . وفي السنة الماضية وقبل تنفيذ هذين الوعدين ، اغتيل زعيما المعارضة الرئيسيين على يد قتلة من جماعات اليمين الفاشي . وزالت اوهام المعتدلين المراهنين ، وخطت غواتيمالا في المسار المتوقع ، حيث تجري فيها حرب اهلية سرية ستكون نوطئة لثورة تقودها المجموعات اليسارية.

وقد لعب انتصار الثورة الساندينية في نيكاراغوا دورا محفزا هاما ، وكذلك تصاعد النضال المسلح للقوى اليسارية في السلفادور ، بالنسبة لثوار غواتيمالا . كذلك لعب القمع الرسمي والفاشي دورا في استعداء القوى التي تقف على يمين اليسار الثوري ودفعها الى مواقع اقرب الى الثوار .

فقد فشلت السلطة كما فشلت جماعات اليمين الفاشي في توجيه ضربات قاصمة للمنظمات الماركسية التي تخوض كفاحا مسلحا ضد النظام القائم . وهذا الفشل ادى كما في غيرهم من ديكتاتوريات اميركا اللاتينية ، الى تصعيد القمع واتساع دائرة مناهضي النظام . لانه ادى ايضا الى تحول اجهزة السلطة القمعية نحو الاهداف الاكثر سهولة من الثوار الذين نشطون تحت الارض ويتحركون باستمرار . وقد كانت الاهداف السهلة هي قوى المعارضة الوسطية ، مثل السياسيين الذين ينتمون الى الحزب الديمقراطي الاجتماعي ومثل النقابيين من قادة ومن منظمين للاتحادات ونشاطاتها ، والنشيطين في اوساط الفلاحين في الريف ، الى الاساتذة الجامعيين والاطلاب .

فقبل اسبوعين اغتيل استاذ في جامعة سان كارلوس وكان الاستاذ الجامعي الخامس عشر الذي اغتيل منذ شهر شباط الماضي . وقد اضطرت قيادة حزب الديمقراطيين المسيحيين الى اعلان اغلاق مكاتبها بسبب ما وصفته بحالة الطوارىء في البلاد .

ان القمع اليميني الفاشي قد ادى الى تجذير مواقف العديد من الجماعات ذات الخط السياسي الليبرالي المعتدل والمجموعات الوطنية غير الماركسية التي تطالب بالديمقراطية . كذلك فان المعاملة الوحشية والسلوك البربري الذي يصدر عن قوات الجيش في الريف قد ادت الى نشوء تعاطف وتاكيد للثوار في اوساط الفلاحين .

وكانت منظمة العفو الدولية قد نشرت تقريرا في اخر السنة الماضية ، تقول فيه بان اكثر من ٢٠٠٠ شخص قد قتلوا في اعمال العنف السياسي في غواتيمالا خلال الثمانية عشر شهرا الاخيرة .

وتسعى المجموعات اليسارية الثورية في غواتيمالا للاستفادة من التجربة الساندينية المنتصرة في نيكاراغوا بتجنب اخطاء المجموعات اليسارية المناضلة في السلفادور . لذا فهم يعملون اليوم من اجل توحيد انفسهم في جبهة واحدة ويسعون في الوقت نفسه الى بناء تحالف واسع مع المجموعات الديمقراطية المعارضة النظام . وكانت اول بشائر هذا العمل الجدي في ساحة القتال حرص المنظمات اليسارية الثورية الاربع على بعث رسالة تضامن مشتركة واحده الى اجتماع « الجبهة الديمقراطية ضد القمع » الذي رعته الاشتراكية الدولية في كوستاريكا، في شهر ايار الماضي.

وبينما كان العمل الجبهوي ينشط كانت السلطة تتغذق مع ارباب القطاع الخاص وعناة المحافظين من الاحزاب السياسية الرجعية ، وانطلقت في حملة شراء الاسلحة وحملة تجنيد لتعزيز قواتها المسلحة . ولا يخفي ديبلوماسيون اجانب اعتقادهم بان الحكم بغض النظر عن المنظمات الفاشية المسلحة ان لم يكن يرعاها ايضا كما هو الحال في ديكتاتوريات عائلة اخرى في ذلك الجزء من القارة الاميركية .

ان العنف السياسي في غواتيمالا سمة مميزة للحياة السياسية فيها منذ الاطاحة بالرئيس جاكوبو ارينز غوزمان التقدمي في انقلاب عسكري في سنة ١٩٥٤ بمساعدة الاستخبارات الاميركية المباشرة . وقد ظهرت بضعة مجموعات يسارية ثورية هناك في اوائل الستينات ولكنها قمعت وصفيت ، في ما وصف انذاك بحمامات دم ، وبحسب تقديرات منظمة العفو الدولية فان ضحايا حمامات الدم تلك التي استمرت من سنة ١٩٦١ وحتى ١٩٧٤ ، بلغ اكثر من ٢٠ الف قتيل .

ولكن عادت فظهرت في سنة ١٩٧٥ ، حركات ثورية جديدة لكنها لم تستطع توسيع نفوذها الا في اوائل السنة الماضية في اثر اغتيال الفاشست لاثنين من قادة الحزب الديمقراطي الاجتماعي . فقد اطفات تلك العملية آمال المعتدلين بامكان احداث تغيرات جذرية في المجتمع بالسبل السلمية لان الطبقة الحاكمة تلجا الى اقصى اشكال العنف للدفاع عن سلطتها ومصالحها، ولا بد من مواجهة هذا العنف بالعنف الثوري . ولا شك بان سعي الجبهة الثورية اليوم لتشكيل التحالف العريض لقوى المعارضة الديمقراطية سيعزز قوة الثورة وسيمكنها من نقل نضالها الى مستوى اعلى .

ويبدو ان الادارة الاميركية تعرضت لانتقادات لتلكؤها في التحرك ازاء غواتيمالا وانها لذلك قد سارعت الى ارسال مسؤول كبير في وزارة الخارجية الى غواتيمالا في الشهر الماضي للقيام بجهد مماثل لما فعلته وتفعله واشنطن في السلفادور : محاولة تجميل صورة الحكم الفاشي القائم واقناعه بالتخفيف من نشاط قوى اليمين الفاشي الذي اعطى نتائج معاكسة وعكسيا للثوار . كذلك فانها سارعت الى اصدار قرار يقضي بنقل السفير الاميركي الحالي في غواتيمالا الذي تعتبره المعارضة المعتدلة صديقا لحكم الجنرال لوكاس غارسيا ، واستبداله بسفيرها في تشيلي . ومع ذلك فان المراقبين السياسيين يعتقدون بان واشنطن قد بدات تلعب لعبتها الفاشلة نفسها التي تلعبها في السلفادور حيث سقطت الاقنعة عن وجوه الذين ارادت واشنطن طرحهم كبديل ديكتاتورية روميرو السابقة ، وانبؤا بانهم يستحقون لقب الخلف عن جدارة بفاشيتهم الجديدة . ■

العالم الثالث بدون طاقة

البلدان النامية التي يعيش فيها ٧٠ ٪ تقريبا من سكان العالم ، لا تستهلك سوى ١٥ ٪ من استهلاك الطاقة العالمي ويستهلك ثلثي هذه النسبة من قبل ستة عشر دولة . اما افريقيا فلا تستهلك سوى ٥ ٪ فقط من الطاقة العالمية .

وللبلدان النامية متوسط استهلاكي للطاقة الاولية يقدر بـ ٠,٢ كيلو واط للفرد الواحد يوميا .. في حين ان المتوسط العالمي هو ٢ كيلو واط ، وفي اوروبا يستهلك الفرد ما يقرب من ٥ كيلو واط ، وفي بعض مدن الولايات المتحدة نصل نسبة الاستهلاك الى ١١ كيلو واط.

يبقى ان نؤكد بان الفقر والجوع لا يمكن القضاء عليهما دون زيادة استهلاك الطاقة .. وان الخطوة الهامة والعاجلة لاية استراتيجية للتنمية في دول العالم الثالث دون الالتفات الى خلق مصادر جديدة للطاقة .

(جرن افريك ٢ تموز ١٩٨٠)

قرار حظر الحبوب عن الاتحاد السوفياتي يرتد على كارتر

● الحظر الاميركي على شحن الحبوب الى الاتحاد السوفياتي لم يكن له اي تاثير تقريبا، بل وكانت له اثار مدمرة على المزارعين الاميركيين . هذا ما اورده هارولد جاكسون في تقرير له من واشنطن الى صحيفة «الفاردیان» اللندنية .

ويشير جاكسون الى آخر الارقام الصادرة عن وزارة الزراعة الاميركية التي تظهر انخفاض مداخيل المزارع الاميركية بنسبة ٤٠ بالمائة خلال الربع الثاني من هذا العام ، والتي لا تتوقع اي تحسن في المستقبل القريب .

هذه النتيجة التي جاءت عكس ما توخته ادارة كارتر عندما سارعت الى اتخاذ هذا القرار المعادي للاتحاد السوفياتي اضطرها الى الرضوخ لضغط كبار المزارعين الاميركيين بقرار ترضية اثار صغار المزارعين . فقد سمح كارتر لكبار المزارعين بلعب دور المسمسرة في مبيعات الحبوب الى الاتحاد السوفياتي اذا كانت هذه السلعة من دولة ثالثة ، من استراليا او الارجنتين على سبيل المثال. فقد اعتبر صغار المزارعين هذا القرار بمثابة مساعدة تمنح لكبار المزارعين فحسب ، وتستثنيهم هم من اية مساعدة نتيجة للاضرار التي لحقت بهم من جراء قرار الحظر هذا .

وعلى الرغم من محاولات الادارة الاميركية تغطية هذا التراجع المحلي بتمويهات وتصريحات نافية ، الا ان ناطقا باسم تجار الحبوب الرئيسيين قال بان كارتر اتخذ قرار الترضية هذا بعدما ثبت عدم فعالية قرار الحظر. ولكن الناطق اعترف ايضا بان قرار الادارة باعطاء الضوء الاخضر لتزويد الاتحاد السوفياتي بـ ٨ ملايين طن من الحبوب المفروض تسليمها بموجب الاتفاق الاميركي ـ السوفياتي قد اضعف موقف الادارة السياسي المعلن .

ويظهر التراجع الاميركي المحلي في قرار السماح لكبار تجار الحبوب الاميركيين بالسمسرة لمبيعات حبوب للاتحاد السوفياتي من دولة ثالثة او اكثر ، عندما نعرف بان صادرات الحبوب الاميركية الى بلدان مثل البرازيل، اسبانيا ، ايطاليا وبلدان الكوميكون (السوق المشتركة لبلدان المنظومة الاشتراكية) قد ضربت ارقاما قياسية منذ فرض الحظر على شحن الحبوب الى الاتحاد السوفياتي في كانون الثاني الماضي . ويقول جاكسون في تقريره من واشنطن ، بان احدا لا يشك في ان جزءا كبيرا من هذه الصادرات قد حط رحاله في اهراءات الحبوب السوفياتية . ■

تقرير من السلفادور:

المساعدات الاميركية لتصعيد الارهاب اليميني

المساعده للسلفادور هي دعم للارهاب . كان هذا هو عنوان تقرير وضعته بيتي نيوت مع وليام نيوت . الاولى تمثل جمعيه «الفريندز» الاميركيه التبشيريه ، والثاني طبيب من نيويورك ، وكانا قد ذهبا الى السلفادور في رحلة تقصي حقائق . وعلى الرغم من ان كاتبي التقرير لا يدعيان التعاطف مع القوى اليساريه الثوريه هناك ، بل ويفترضان بان الحكومه الاميركية متشبثة باسطورة حكومه معتدلة في السلفادور ، الا انه تضمن معلومات شهود عيان او مستنطقي شهود عيان على سياسه الاباده والارهاب التي ينتهجها الحكم اليميني الفاشي القائم هناك ، ويشكل ادانة للسياسة الاميركية هناك من طرف غير منحاز الى قوى اليسار الثوري ، ويتهم ادارة كارتر بدعم الارهاب في السلفادور للمحافظة على نظام حكم يخدم مصالح اميركية .

يقول التقرير ان ما يسمى في الولايات المتحدة بالحكم المعتدل في السلفادور والذي اقرت له احدى لجان الكونغرس مساعدة عسكرية مؤخرا ، يقوم بذبح الفلاحين تحت ستار من دخان اسمه « الاصلاح الزراعي » . وان عملية الذبح التي يشنها الحكم القائم هي سياسة مدروسة لقوى اليمين تنفذ في كافة انحاء البلاد ، وانه مقابل كل ٣ عمليات تصفية تقوم بها القوات اليسارية تقوم قوى اليمين الفاشي بـ ١٦ عملية تصفية . وفي خلال الخمسة اشهر الاخيرة قتل في عمليات التصفية ٦٨٢ شخص ، واعتقل ٢٢١ شخص واختفى ١٧٦ آخرين . وان الجيش وقوات الحرس الوطني قد تعاونوا في ارتكاب هذه المجازر مع منظمة « اوردن » اليمينية المتطرفة .

ويشير الكاتبان الى ان الاكثرية الكبيرة من الضحايا لا تنتمي الى المنظمات اليسارية الثورية ، وان مجرد اللقاء مع الاصدقاء او مع الجيران وحتى مجرد اللقاء لدراسة الانجيل ، يكفي لاستفزاز قوات السلطة وعناصر منظمة « اوردن » الفاشية للقيام بهجوم على المجتمعين بهدف القتل او التعذيب او التشويه بحجة الاشتباه باحدهم كعنصر « تخريبي » . وكمثال على ذلك يرويان حادثة جرت في ٣ آذار الماضي عندما اقتحمت عناصر من الحرس الوطني ومن منظمة « اوردن » ، اجتماعا لدراسة الانجيل وقتلت ١٢ شخصا . ويرويان اكثر : في كانون اوخو دي اغوا ، ذبح رجلان وقطعت ايديهما وارجلهما ، وقطعت ايدي فتاتين وتركوا لينزفوا حتى الموت . وفي ٢١ شباط الماضي قامت قوات الجيش بحرق حقول لمنع اختباء من تلاحقهم ، ودمرت جسرين لمنع هروب آخرين !

ويؤكد الكاتبان ان هذه الامثلة مستقاة من اعداد من تقارير شهود عيان ادلوا بها وهم يرتعدون خوفا ، ومن بينهم صبي في الثانية عشرة من العمر روى كيف تمت عملية قتل امه . وفي كل واحد من تقارير شهود العيان هذه تم التعرف على عناصر القوات المسلحة من بزاتهم العسكرية ، وعلى افراد منظمة « اوردن » المعروفون شخصيا ، من الذين استطاعوا النفاذ من بين ايديهم او الذين كانوا شهودا لعمليات نفذت ضد غيرهم .

وقد جمعت هذه الشهادات من ست مناطق من البلاد . وقد ذكر كافة الشهود بانهم هوجموا لمجرد انتمائهم الى تنظيم غير مسلح ، رابطة فلاحية مسيحية عادية . ويقول الكاتبان ان الطابع المتفلت لهذه الوحشية ينبع من سلسلة عريضة من العناصر اليمينية ، وبعضها من داخل الحكومة التي تعززها ، وهما يعتبران ان انسحاب الاعضاء الديمقراطيين المسيحيين الواحد تلو الآخر ، من الطغمة الحاكمة ، قد حقق عمليا الانقلاب اليميني في الحكم الذي ارادت الادارة الاميركية تجنبه واعطاء الحكم العسكري ملامح مدنية ايضا .

ويعتبر الريف المنطقة التي تشهد اقطع المجازر التي لا يميز مرتكبوها الفاشيون بين الكبار والاطفال والنساء . يقول الكاتبان ان اسوأ المجازر تقع في المناطق الريفية التي لم يصل اليها ما يسمى بالاصلاح الزراعي . اما في المناطق التي وصل اليها هذا « الشعار » فان المزارعين الذين صدقوا وراحوا يقدمون طلبات للانضمام الى التعاونيات الزراعية الموعودة ، ما لبثوا ان ذبحوا مع اولادهم . وان هذه العملية مستمرة وبصورة منتظمة . اذ في معظم الحالات يكون مدير « التعاونية الجديدة » هو المدير السابق لهذه المزرعة وعضو في منظمة « اوردن » الفاشية !

ويدين الكاتبان اقرار لجنة الكونغرس مبلغ ٥٠٧ مليون دولار كمساعدة عسكرية للطغمة الحاكمة والتي اقرت بحجة انها ذات طابع دفاعي ـ صداري وقائية ، مقابل غاز وما شابه ـ لمساعدة الحكم في السيطرة (على العنف المستشري في البلاد . ويرفض الكاتبان هذه الحجة ويشيران الى التعاون النشيط بين قوات السلطة ومنظمة « اوردن » الفاشية ، ويتساءلان عن الضمانة بالا تسهم هذه المساعدة في جعل المجازر اكثر بشاعة . ويشير الكاتبان الى تاريخ الولايات المتحدة الطويل في اميركا اللاتينية ، المتميز بدعم اي نظام مهما بلغت درجة قمعيته طالما انه يحافظ على وضع قائم ملائم لمصالح اميركية ، ويتساءلان عن فضيلة « الاستقرار » القائم على الارهاب . ■

Digitized by Birzeit University Library

شعوب العالم تتضامن مع شعب افغانستان

بدعوة من منظمة التضامن الافرو آسيوي ، عقد في كابول عاصمة جمهورية افغانستان الديمقراطية، في الفترة الواقعة ما بين ٢٥ — ٦ — ١٩٨٠ الى ٢٩ — ٦ — ١٩٨٠ مؤتمر حاشد للتضامن مع الشعب الافغاني ، تشاركت فيه العديد من الوفود من اسيا وافريقيا واوروبا وامريكا ، الى جانب العديد من الشخصيات السياسية البارزة وعدد من رجال الدين والصحفيين .

افتتح المؤتمر بتاريخ ٢٥ — ٦ — ١٩٨٠ بكلمة الرفيق « بارين راي » مساعد السكرتير العام لمنظمة التضامن الافرو آسيوي ، اكد فيها على دعم وتاييد منظمة التضامن للشعب الافغاني وثورة ٢٧ نيسان ١٩٧٨ ..

وقال في كلمته : « جئنا الى افغانستان نحمل رسالة التضامن والصداقة مع الشعب الافغاني ، ولكي نطلع عن كثب على حقيقة الموقف القائم في هذه البلاد التي كانت ضحية لمؤامرات الامبريالية والرجعية وعملائها ... جئنا لنعلن تاييدنا وتضامننا مع شعب افغانستان وثورته » . واضاف : « ان منظمة التضامن كانت اول منظمة دولية تعلن تاييدها لثورة نيسان ، ومنذ ذلك الوقت تنتهز منظمة التضامن كل فرصة من اجل تقديم كل العون والمساعدة لافغانستان من اجل رفع كافة المحاولات المضادة للثورة عنها » .. واكد في كلمته على مجموعة الانجازات التي حققتها الثورة في مرحلتها الثانية التي بدات في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ .

كما القى الرفيق سلطان علي كشمند نائب رئيس مجلس الوزراء نائب رئيس المجلس الثوري لحزب الشعب الديمقراطي الافغاني كلمة رحب فيها باسم الحزب والحكومة والشعب بكافة الوفود المشاركة في المؤتمر ، وشكر منظمة التضامن التي بادرت الى عقد مثل هذا المؤتمر ، واشاد بدورها في دعم ومساندة كل ثورات العالم .. وتناول في كلمته الجهود الثورية التي تبذل للدفاع عن الثورة وعن المكاسب التي حققها الشعب الافغاني ضد الامبريالية والرجعية وعملائهما في الداخل والخارج .. ثم تحدث عن المؤامرات التي تتعرض لها ثورة الشعب الافغاني واكد على ان كافة هذه المؤامرات ستزيد من صلابة الثورة وقوتها ..

كما تناول الرفيق كشمند في كلمته الانجازات التي تم تحقيقها في المرحلة التالية للثورة بعد الاطاحة بحكم حفيظ الله امين ، واشار الى الاخطار التي احدقت بها في فترة حكم امين نتيجة لتعاونه مع القوى الامبريالية والرجعية ، وبسبب اساءته للجماهير حرفه للثورة عن اهدافها ، وقال : « انه نتيجة لكل ذلك لم يعد امامنا بديلا الا اتخاذ قرار يضع حدا لكل هذه التدخلات ، ومن اجل ذلك طلبنا المساعدة من الدولة الصديقة في الاتحاد السوفييتي التي استجابت لطلبنا وقدمت المعونات الاقتصادية والعسكرية وغيرها » واكد على حق الثورة وشرعية طلبها هذا في مواجهة الخطر الخارجي . وقال ان الامبريالية الامريكية والتحريفية الصينية والرجعية الباكستانية وعملاؤهم يريدون زيادة حدة التوتر من خلال تجاهلهم الحقائق القائمة واستمرارهم في شن حرب غير معلنة ضد افغانستان وتدخلهم في شؤونها الداخلية . واشار الى الاعمال التخريبية التي تقوم بها القوى الرجعية والمرتزقة على حدود افغانستان مع باكستان بدعم من هؤلاء . ثم استعرض المقترحات التي تقدمت بها حكومة الثورة لحل المسالة الافغانية ، واشار الى انسحاب قسم من القوات السوفييتية وعودتها الى بلادها مؤكدا على اهمية هذه الخطوة باعتبار ان القوات السوفييتية ستعود الى بلادها فور انتهاء التدخلات الخارجية في الشؤون الداخلية لافغانستان .

وفي نهاية كلمته اكد على ان الوضع في افغانستان يسير نحو الافضل وان شعب افغانستان سوف يرفض كل المؤامرات ويحاربها بكل عزيمة . وسيساعد الثورة الوطنية وسيقيم افغانستان جديدة وسينابع نضاله العادل للدفاع عن مكاسب الشعب والثورة .

وقال : ان مصير افغانستان تقرره السلطة الثورية فيها ولن نسمح لاي كان ان يقرر هذا المصير ..

وقد القى الرفيق عبد الوهاب الدواريسي كلمة باسم الوفد الفلسطيني قال فيها :

كلمة الوفد الفلسطيني

السيد الرئيس

ايها الرفاق والاصدقاء

انقل لكم باسم منظمة التحرير الفلسطينية اعمق المشاعر التضامنية الصادقة مع الشعب الافغاني البطل وقيادته حزب الشعب الديمقراطي الافغاني وامينه العام الرفيق بابراك كارمال . وان اعرب عن شجبنا وادانتنا لكافة المؤامرات والتدخلات الامبريالية وحلفاؤها في الصين والدول الرجعية في الشؤون الداخلية لهذا البلد المناضل .

ان شعبنا الفلسطيني ليدرك جيدا حقيقة المعاناة والاضطهاد التي واجهها الشعب الافغاني على ايدي شتى الانظمة الرجعية والديكتاتورية التي تحكمت بمقدراته في فترات سابقة كما اننا لعلى ثقة تامة بان مسيرة الشعب الافغاني البطل ستعزز باضطراد وسيتمكن من الحاق الهزيمة الكاملة بالمخططات الامبريالية والرجعية التي تعمل بائسة من اجل عرقلة تحرره وتقدمه الاجتماعي .. انه سيتمكن من ذلك بفضل نضاله والتفافه حول قيادته الثورية بفعل دعم وتضامن كافة القوى الوطنية والتقدمية في هذا العالم.

اننا ندرك ايها الاخوة بان كافة قوى الشر التي تبشر بالدين وتدعي زورا الحرص عليه انما تضطلع بمحاولة مفضوحة لعرقلة تحرر وتقدم هذا البلد ومن اجل خدمة الاهداف الامبريالية في هذه المنطقة . وانها لمفارقة حقا ان نجد كارتر وعملاؤه يبدون الحرص المزعوم على الاسلام والحريات في افغانستان في ذات الوقت الذي يباركون فيه كل اشكال التدنيس والاستيلاء للمقدسات الاسلامية في فلسطين كما يباركون ويبررون عمليات الغزو لايران الى جانب التهديدات العدوانية المتكررة لشعوب وبلدان منطقة الخليج وغيرها .. انهم يحاولون ان يخلطوا الاوراق بين الصديق والعدو لكن الشعب الافغاني البطل وكل شعوب منطقتنا يدركون بالملموس بان الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية هم الاصدقاء الحقيقيون الاوفياء والحلفاء الثابتين بينما لا يأتي الشر والعدوان الا من الامبريالية الامريكية وحلفائها واعوانها الرجعيين هنا وهناك . وكم هي مفضوحة في بلادنا صرخات ودعوات السادات وعناة الرجعيين العرب الذين انتفضوا من اجل دعم الاسلام هنا بينما نجدهم ضد الاسلام والمثل المقدسة والاسلامية في فلسطين وغيرها .

ايها الرفاق ..

لا شك انكم تواكبون نضال شعبنا الفلسطيني وتصديه لقوى الاحتلال الصهيوني ولحلف كامب ديفيد الاسود الذي يسعى من اجل تصفية القضية وحقوقنا الوطنية المقدسة الى جانب كافة المخططات الصدامية على الدول الوطنية والتقدمية العربية بل وعلى شعوب الشرق الاوسط وافريقيا . لقد رفض شعبنا ومعه كافة القوى الشريفة عربيا وعالميا مؤامرة كامب ديفيد وملاحقها ونتائجها . وهو يتصدى اليوم وبحزم لكافة المخططات الاسرائيلية التي تعمن بسياسة الضم والاستيطان الصهيونية وفي قمع واقتلاع شعبنا من على ارضه في محاولة بائسة لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي التصفوية كما يؤكد شعبنا يوما بعد يوم بانه يقف صفا متراصا خلف قيادته الوطنية وممثله الشرعي الوحيد م. ت. ف.

ايها الرفاق ..

ان نضال شعبنا الفلسطيني ليس معزولا عن نضالات كافة القوى والشعوب المناضلة من اجل استقلالها وتحررها وتقدمها الاجتماعي بل ان تعبد ان نضالنا يكتبل ويتعزز عبر الانتصارات التي تحققها هذه الفيتنامي البطل وكافة شعوب جنوب شرق آسيا في وجه القوى من هنا فاننا نقف بحزم الى جانب الشعب كل اشكال العدوان والتهديدات التي تواجهها ، كما نقف بحزم الى جانب كافة شعوب امريكا اللاتينية المناضلة من اجل كنس الديكتاتورية الفاشية من بلادها.

كما اننا نحيي كافة البلدان التي عملت على تكريس تقدمها الاجتماعي لا سيما في افغانستان . مرة اخرى نود ان نعرب لكم عن تضامننا الحار مع الشعب الافغاني البطل معتبرين انتصاراته بمثابة انتصارات لشعبنا وساحقين التدخلات الرجعية والامبريالية في شؤونه الداخلية .

عاش الشعب الافغاني البطل وعاشت قيادته الثورية

عاش التضامن بين شعوبه المناضلة من اجل حريتها وتقدمها الاجتماعي .

بعد الانتهاء من جلسة الافتتاح اعلن الرفيق بارين برنامج المؤتمر والذي تضمن :

— زيارة بعض المدن الافغانية والتجوال فيها والتحدث الى الشعب والاستماع له .
— زيارة المصانع والمدارس والمساجد .
— اللقاء مع منظمة الشبيبة واتحاد المراة الافغانية.
— اللقاء مع علماء الدين .
— زيارة روضة للاطفال .
— مشاهدة الاسلحة التي تم الاستيلاء عليها .

الرفيق كشمند نائب رئيس مجلس الوزراء الأفغاني

رسالة إلى الشعب الأفغاني

اصدقاؤنا الاعزاء

نحن المشاركين في المؤتمر التضامني الدولي المنعقد في كابول من ٢٥ — ٢٩ / ٦ / ١٩٨٠ نعلن عن تمنياتنا القلبية وتضامننا مع نضالكم من اجل بناء حياة جديدة وتحقيق خطط واهداف ثورتكم (ثورة نيسان) .

لقد تكونت لدينا القناعة من خلال زيارتنا لبلدكم الجميل بان خطوات التغيير التقدمية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتي بدات قبل سنتين لن تتقهقر . وهذه هي سياسة حزب الشعب الديمقراطي التي تهدف الى انهاء استغلال الانسان للانسان ، ونلقى الدعم والتاييد الكبيرين من الشعب الافغاني . وقد لمسنا ان هذه السياسة تواجه بمعارضة محمومة من قبل الامبريالية وعملائها المحليين . ولمواصلة مخططاتها الماكرة تستخدم القوى الرجعية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية شبكات التخريب ومجموعات الحقد والاجرام للقيام باعمال تخريبية وارهاب المواطنين الآمنين ولا تتورع عن قتل النساء والاطفال والشيوخ . اننا نعبر عن سخطنا على مثل هذه الاعمال الاجرامية التي تمارس تحت غطاء الاسلام وتستغل اسم الدين . ان قيادة الثورة الافغانية هي التي تحترم المبادىء الاسلامية بالفعل .

أما المستغلين والمضطهدين السابقين للشعب الافغاني وعملائهم فهم يحاولون اعادة نظام الاستغلال والاضطهاد الوطني والطبقي ، كما يحاولون دفع الشعب الافغاني ليقف ضد اصدقائه المخلصين شعوب الدول الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفييتي ..

الا ان عجلة التاريخ لن تعود الى الوراء والثورة لن تتراجع . ونود أن نؤكد لكم بهذه المناسبة .. ان كل القوى التقدمية تدعم حقوقكم ، ان الوقت قد تغير وهناك الآن قوى عالمية ذات علاقة وثيقة تقف الى جانب الشعوب . ولم تعد الامبريالية قادرة لتفرض مواقفها على القوى المحبة للسلام في العالم . ونحن واثقون ان الشعب الافغاني البطل سيقف بحزم في مواجهة الصعاب والمشاكل وسيتغلب عليها تحت راية ثورة نيسان معتمدا في ذلك على دعم اصدقائه لبناء افغانستان جديدة على طريق السعادة والرفاه .

وعندما نعود الى اوطاننا سوف نبلغ مواطنينا الحقيقة عن افغانستان وسوف نخبرهم عن الظروف المصعبة التي تعيشونها . اعملوا وناضلوا بثبات وجلد على طريق ثورة نيسان .

كما اننا سنكشف للعالم كله طبيعة اعدائكم ومن يدعون انهم (أصدقاء الاسلام) ويقتلون المسلمين الحقيقيين ويدمرون بيوتهم ويحرقون اراضيهم .

اصدقاؤنا الاعزاء

نكرر تاييدنا لكم انكم لستم وحدكم في نضالكم ضد الرجعية والامبريالية ونحن متاكدون أن ابناء الشعب الافغاني البطل سيقفون صفا واحدا في سبيل بناء مجتمع عادل حقيقي ويوطدون الاستقلال والسيادة الوطنيين ليسود السلام والتضامن والتعاون .

عاش الشعب الافغاني محبا للسلام .

وقامت الوفود المشاركة في المؤتمر بالاطلاع على منجزات الثورة التي تم تحقيقها .

واجرت لقاءات عديدة مع جماهير الشعب الافغاني بفئاته المختلفة : عمال .. طلاب .. رجال دين .. حرفيين .. الخ .

واستمعت لآرائهم وتقييمهم للوضع القائم في افغانستان .

وبعد الانتهاء من كل هذه اللقاءات والزيارات وفي الجلسة الختامية سجلت كافة الوفود المشاركة انطباعاتها عن حقيقة الوضع القائم في افغانستان كما شاهدته عبر الكلمات التي القيت في الجلسة الختامية ومن خلال الرسالة التي وجهها المؤتمر الى الشعب الافغاني ومن خلال البيان الذي صدر عن المؤتمر .

ويقول مندوب « الهدف » :

ان ما لمسناه وشاهدناه خلال الخمسة ايام في كابول وخوستا ومزار الشريف يشير بشكل واضح الى ان الحياة عادية جدا وطبيعية .

لقد تجولنا في كافة شوارع وضواحي هذه المدن والتقينا مع العمال في المصانع ومع الشبيبة والطلبة في الجامعات ومع رجال الدين في اماكن العبادة ومع الناس العاديين ولم نرى اية شواهد او دلائل تشير الى ان البلد يعيش حالة غليان واضطراب ضد النظام كما تدعي ذلك يوميا اجهزة الدعاية الامبريالية ..

ان الحقائق الموضوعية اقوى بكثير من اجهزة الاعلام الغربية ، فالحياة تسير بشكل طبيعي كالمعتاد .

وشاهدنا ايضا المنجزات التي استطاعت ان تحققها الثورة في مرحلتها الثانية حيث اصبح الشعب الافغاني سيد نفسه ويقوم يوميا بعملية تحرير نفسه من تبعية التخلف والاستغلال ويشارك فعليا في بناء وتاسيس المجتمع الجديد . لقد لمسنا تصميم الشعب الافغاني على الغاء اسس العلاقات الاقطاعية في المجتمع حتى يضمن تطوره الاقتصادي .

ويميز الشعب نفسه بوضوح بين فترة حكم حفيظ الله امين الذي كان يمارس عمليات الارهاب والقمع ضد المواطنين ورجال الدين باسم الاشتراكية وبين المنجزات التي تم تحقيقها في المرحلة الثانية للثورة حيث الحريات الديمقراطية والتي يعبر عنها افضل تعبير باطلاق سراح ١٥٠٠٠ سجين من معتقلات حفيظ الله امين .. الى جانب المساواة والاصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي على الفلاحين .. الخ . من المنجزات الثورية التي يلمسها الشعب يوميا بالملموس .

ويمكن للمرء ان يتجول في كابول لعدة ساعات دون ان يرى جنديا سوفييتيا واحدا ، فالتواجد السوفييتي في افغانستان انما هو لصد العدوان الخارجي عليها ، وليس تدخلا في شؤونها الداخلية ، فكافة الدوائر الرسمية والمؤسسات تعمل بشكل طبيعي وبادارة الافغانيين انفسهم وتحت اشرافهم .

لا شك ان هناك بعض المشاكل التي تواجهها الثورة وهي مشاكل عادية لا تخلوا من مجابهتها اية ثورة في العالم .. وهي التي يثيرها العملاء والمرتزقة واتباع حفيظ الله امين حين يحاولون القيام بعمليات تخريبية بين فترة واخرى ضد المدارس والمصانع وضد التجمعات الشعبية ، الا ان الثورة مصممة على احباط كافة المؤامرات والدسائس الامبريالية والرجعية .

■

Digitized by Birzeit University Library

بمبادرة من منظمة التضامن الافرو – آسيوية لمناصرة الثورة الافغانية وللتضامن مع شعب افغانستان عقد في كابول عاصمة جمهورية افغانستان الديمقراطية في الفترة أواقعة ما بين الخامس والعشرون والتاسع والعشرون من حزيران عام ١٩٨٠ مؤتمر دولي شاركت فيه وفود من آسيا وأفريقيا وأوروبا وشخصيات سياسية معروفة ورجال الدين وصحفيين .

نحن المشتركون في هذا المؤتمر نؤكد انه كانت لدينا الفرصة لندرس عن قرب وبدون أي تحيز أوضاع الحياة والعمل والنضال للشعب الافغاني في سبيل بناء حياة جديدة . فمنا بزيارة المنشآت والمصانع والمؤسسات والمساجد المختلفة في كابول ومقاطعتين غيرها في البلاد، والتقينا وتحدثنا مع شخصيات وممثلين عن رجال الدين والعمال والفلاحين والمعلمين والاطباء وبعض الممثلين عن الاقليات .

ونحن مقتنعون ان عمل السلطات الافغانية ، أي البرنامج والخط السياسي العام لحكومة جمهورية افغانستان الديمقراطية وحزب الشعب الافغاني الديمقراطي يحظيان على الدعم الواسع من مختلف فئات الشعب في البلاد ، وبناء على ما رأيناه وسمعناه

بيان منظمة تضامن الشعوب الأفرو - آسيوية عن المؤتمر الدولي لمناصرة الثورة الأفغانية

خلال وجودنا في افغانستان استطعنا التوصل الى النتائج التالية :

١ – ان الثورة الافغانية التي بدأت تقريبا قبل سنتين ، دخلت الآن مرحلة جديدة من تطورها .

الشعب أصبح سيد نفسه ويقوم بعملية تحرير نفسه من التخلف (القديم) والاستغلال ويشارك فعليا في بناء وتأسيس المجتمع الجديد .

(ان الشعب الافغاني) مصمم على الغاء اسس العلاقات الاقطاعية في المجتمع حتى يضمن تطور الاقتصاد الوطني برفع مستوى المعيشة المادي والثقافي الى كان وتحقيق الديمقراطية والاشتراك الشعبي في الشؤون العامة والسياسية .

لقد تمت تغييرات عديدة مهمة سياسية واجتماعية واقتصادية وما زالت هذه العملية قائمة ولمصلحة الشعب العامل في البلاد .

٢ – ولكن عملية التغييرات التقدمية تواجه عقبات سببها عمليات التخريب من قبل القوى الرجعية الافغانية التي خسرت مواقعها الاستغلالية نتيجة الثورة.

هذه القوى تحظى بدعم وتسلم أسلحة وتوجيه من قبل الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ولا شك ان الذين يطلق عليهم اسم « الثوار الافغان » ما كانوا ليتمكنوا من الاستمرار في أعمالهم الاجرامية ضد الشعب الافغاني بدون الدعم المالي والمادي من واشنطن ، بكين ، واسلام اباد . وهناك حرب غير معلنة ضد جمهورية افغانستان الديمقراطية من حدود باكستان . ولهذا السبب فان الحكومة الافغانية اضطرت أن تلجأ الى الاتحاد السوفييتي لمساعدتها على دحر العدوان الخارجي .

وبالتالي ، فان الحيلة المسعورة تحت شعار « الاحتلال العسكري السوفييتي في افغانستان » والآتية من الغرب ، ما هو الا دعاية لتغطية العدوان الحقيقي الذي اشعلته الامبريالية الامريكية ضد شعوب افغانستان وايران وبلدان اخرى في الخليج العربي ، بالاضافة الى منطقة المحيط الهندي .

أما الولايات المتحدة فهي تلعب دور المحرض في هذه الهستيريا العسكرية ليس فقط في هذه المنطقة بل في جميع أنحاء العالم .

ان زعماء الولايات المتحدة يصرحون علنا انهم سوف يرسخون وجودهم العسكري في الشرق الاوسط وبشكل دائم . وهذا هو السبب الذي يجعلهم لا يستطيعوا الا ان يلجأوا لأساليب عسكرية وان يثيروا المسالة الافغانية ، كما نسمى ، عوضا عن ايجاد حل سياسي سلمي مع الفرقاء المعنيين .

٣ – كل الدعايات الكاذبة للامبريالية تكشف عن نفسها في المسالة الاسلامية . الثورة الافغانية مبنية على احترام عميق للعادات الوطنية والتاريخية والثقافية والدينية للشعب ومراعاة متشددة لمبادىء الاسلام كديانة مقدسة . والحكومة الافغانية تضمن لجميع المسلمين الحرية الكاملة في ممارسة الديانة والحماية من القانون .

خلال وجودنا في افغانستان رأينا ان الشعب الافغاني ليس مضطهدا أو مقيدا بالقانون . فجميع المساجد مفتوحة ، ويتمتع المؤمنون بحرية ممارسة (طقوسهم) الدينية . وجميع تلك الشخصيات السياسية في الغرب التي تدعي انها تدافع عن الاسلام من ناحية بينما هي تزود المجرمين المرتدين بالمتفجرات والمواد السامة لتستخدم ضد الاطفال الافغان ، والطلبة والمعلمين وضد الامة الافغانية ، فهي مفضوحة تماما .

نحن نعرف المعنى الحقيقي وراء محبة الامبريالية للقيم الاسلامية . الامبرياليون الامريكيون يدعمون اسرائيل بكل وسيلة ، وهي الدولة التي أثارت غضب المسلمين في العالم وهدمت الاماكن المقدسة للمسلمين وضمت القدس كلها لها بالاضافة الى الاعتداءات البربرية ضد العرب .

٤ – الرضع في افغانستان معقد وخطير . هناك خطر جديد يهدد افغانستان بسبب مؤامرات الولايات المتحدة بالتنسيق مع وكلائها والتي تهدف الى تنفيذ أهداف بعيدة المدى في جميع أنحاء الشرق الاوسط والادنى وبأساليب عسكرية .

ان ايجاد حل في المنطقة وخاصة للمسالة الافغانية يمكن الوصول اليه ليس عن طريق العمل العسكري والتدخل المسلح ولكن باجراءات سياسية ومفاوضات سلمية .

ان الاسس المتوفرة لحل من هذا النوع هي الاقتراحات المعروفة والتي تضمنها تصريح الحكومة الافغانية في ١٤ أيار ، ١٩٨٠ .

يجب ان يكون الحل مبنيا على الضمانة بانهاء الهجوم العسكري الذي تقوم به القوى المعادية للثورة ضد افغانستان من الدول المجاورة لحدود افغانستان . هذا شرط ضروري لانهاء جميع المشاكل الاخرى المتعلقة بعلاقات افغانستان مع جيرانها .

ان الانسحاب الحالي للوحدات السوفييتية العسكرية وبناء على طلب حكومة افغانستان يلاقي الترحيب والتأييد .

لا شك ان هذه العملية ستخلق تأثيرا ايجابيا بالنسبة للحل السياسي في جنوب غرب آسيا .

ان القوى الديمقراطية العالمية تستطيع ان تلعب دورا هاما نحو ايجاد حل في افغانستان وللوضع في جنوب – غرب آسيا بشكل عام .

وبهذا الصدد نعبر نحن دعمنا لمبادرة منظمة تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية بارسال وفد الى افغانستان وباكستان بهدف تشجيع حل مقبول لدى الطرفين وعلى اساس علاقات جيدة بين الدول المجاورة والتعايش السلمي .

نحن المشاركون في (مؤتمر) التضامن الدولي مع الشعب الافغاني ، ندعم الاقتراحات البناءة للحكومة الافغانية وندعو المجتمع الدولي ان يشن حملة فعالة لايجاد حل سياسي في جنوب – غرب آسيا .

■

الثورة
سياسية عربية
صدر العدد الخمسون للجماهير

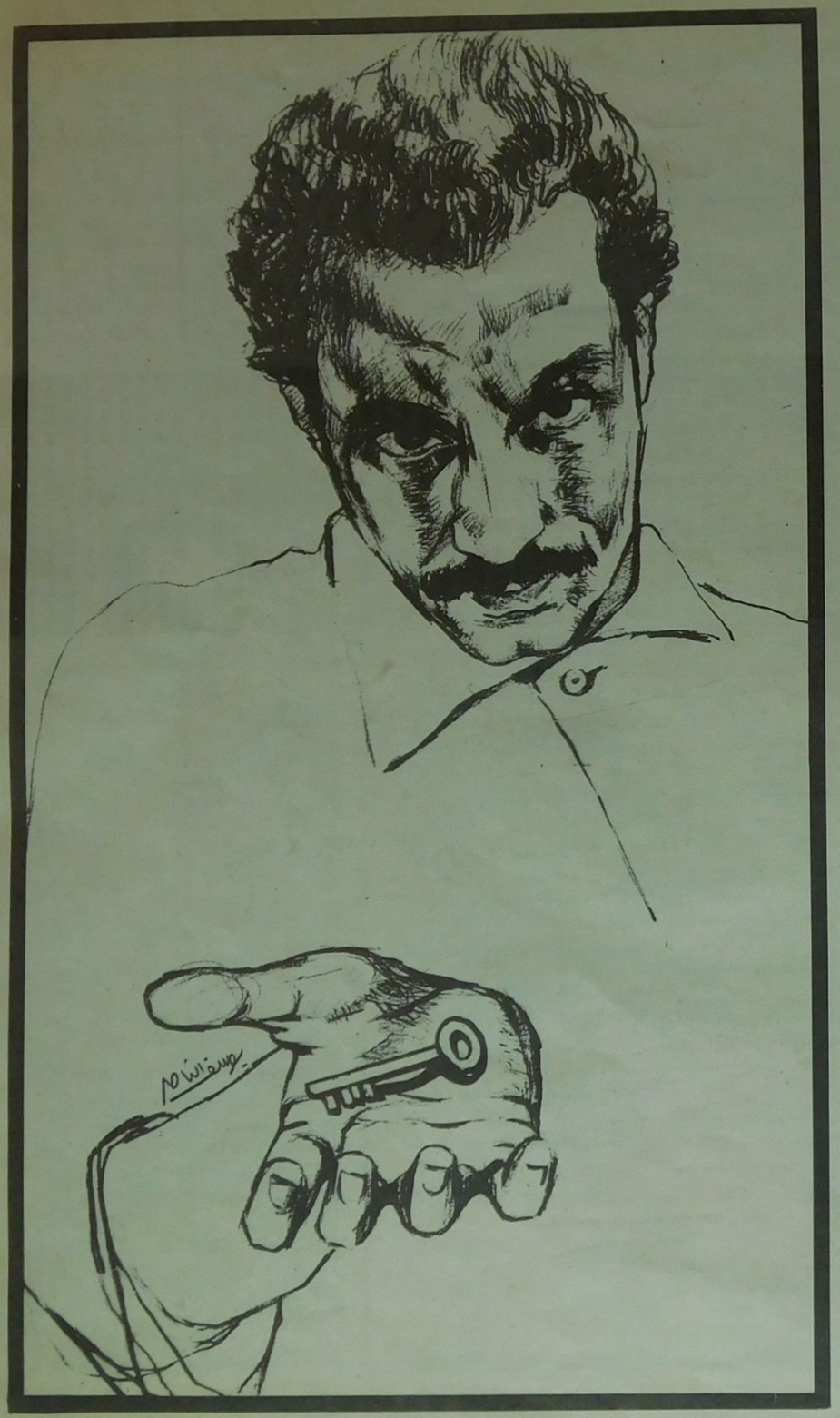

عدد خاص
لمناسبة الذكرى الثامنة
لاستشهاد غسان كنفاني

Digitized by Birzeit University Library

عدد خاص لمناسبة
الذكرى الثانية
لاستشهاد الرفيق
غسان كنفاني

أعدّ هذا العدد الخاص

أمجد ناصر
حسين نصر الله
محيي الأشيقر

الغلاف والإخراج الداخلي

الفنان
يوسف الناصر

في هذا العدد

١	الافتتاحية	
٢	حديث مع الرفيق جورج حبش	
٣	حديث مع الرفيق بسام أبو شريف	
٤	غسان معلما	فيصل دراج
٥	من الموت الفلسطيني الى الموت العربي	حيدر حيدر
٦	قراءة في « الطريق الى الخيمه الاخرى »	خيري منصور
٧	في روايتي « رجال في الشمس » و « ما تبقى لكم »	حسين نصر الله
٨	انا اموت اذن انا موجود	نزيه ابو نضال
٩	مسرحية القنديل الصغير	محيي الاشيقر ومحمد زمان
١٠	تقديم غسان اغناء لذاكرة الشعوب	سامي ذبيان
١١	غسان ذكرى لا تنتهي	مقابلة مع رفيق طفولة غسان
١٢	ضياء ذلك النجم القريب	مقابلة مع الذين عملوا مع غسان في « الهدف »
١٣	قراءة في « ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ »	سميح شبيب
١٤	غسان الاعلامي ، وآخر كتاباته	
١٥	مراثي متأخرة / شعر	امجد ناصر
١٦	ليلة الميلاد / شعر	علي الجندي
١٧	الشمس بوابتي / شعر	خ . م
١٨	ميراثنا دم الشهداء / شعر	زهير غانم
١٩	غسان والسينما	قاسم حول
٢٠	القضية تجرى بدمك	ابو احمد الزعتر
٢١	حكايه الرجل الذي اسمه غسان	عبد الله احمد ابو راشد
٢٢	الطريق التي جئتها لم تمل ، انها السالكون (تخطيطات)	يوسف الناصر

الصراع اخترق حياة غسان في رحلتي الرحيل والعودة

بسام ابو شريف

في العام ١٩٦٢ دخل غسان كنفاني لبنان بدون اوراق ثبوتية . فقد رمى خلفه كل الاوراق عندما بدا رحلته الاخيرة ، رحلة العودة الى فلسطين .

من حيث قادته رحلة « الرحيل » التي ابتدات عام ١٩٤٨ عاد غسان بحث الخطى نحو فلسطين . كانت تلك بداية رحلة العودة التي انتهت عام ١٩٧٢ .

لقد امضى غسان في الرحلتين .. رحلة الرحيل ورحلة العودة ربع قرن من الزمان صارع فيه الحياة والذات صراعا حيويا خلق تجديدا مستمرا ونتاجا متجددا لم ينته الا عندما انتهى العقل المبدع وتمزق الجسد .

الصراع في حياة غسان

بدا الصراع في حياة غسان منذ نعومة اظافره . فقد كان في الثانية عشرة من عمره عندما اكره على الرحيل من عكا فغرست تلك التجربة المرة وذلك الالم العميق آثارهما بقسوة وعنف في الخلايا التي كانت تحاول ايجاد طريقها نحو التكوين والبلورة . فجاء التكوين ملوحا بشمس الهجرة وسياط الرحيل وتصميم الثائر .

اول صراع بدا في عام ١٩٤٨ وهو الصراع الذي بقي حتى عام ١٩٧٢ حين عاد غسان الى عكا . لقد كان الصراع بين غسان الحق والعدل وبين العدو المغتصب ولقد انغرست معالم وآفاق هذا الصراع في حياة غسان انغراس الزيتون في ارض فلسطين وفتح في غسان المرهف آفاق للفن عديدة وغنية فجعل من غسان ذي الاثنتي عشرة سنة الذي سار مع من سار نحو دمشق فنانا صلب العود مرهف الحس قادرا على الخلق والابداع فاعطى في ربع قرن من حياته القصيرة ما لم يعطه اديب او فنان في امتنا .

وعلى هامش هذا الصراع ، الذي اخترق حياة غسان منذ ان وعي وحتى عودته الى عكا ، خاض غسان صراعات عديدة ومختلفة وعاشها بكل تفاصيلها وجوارحها وجمالها وحزنها . عاشها مصارعا عنيدا ومنتصرا دائما .

الصراع من اجل الحياة

قلائل هم الذين يعرفون كم كان يتالم غسان كي يتمكن من البقاء على قيد الحياة . فقد عانى من الم امراض عديدة اخطرها تلك التي ورثها ونمت معه فصراعه ضد العدو على مدى ربع قرن لازمه صراع آخر ضد عدو داخل الجسد يشتد فيزيد غسان اصرارا على مواجهة التحدي . كانت ارادة الحياة في غسان اقوى ولكنها تركت حياته مخلوطة بآلام جسدية تفوق احيانا طاقة احتمال البشر . ولكنه تفوق وتفوقت عنده ارادة الحياة فراح يخوض صراعاته الاخرى بنهم كبير يصل الى الشراسة الناعمة احيانا .

وكان غسان يسابق الزمن كي لا تاتي ليلة تفقده لذة الاستمتاع بتسجيل تفوق جديد في صراعه .

لذلك احب الحياة واحب الحب واحب الطبيعة واحب النضال من اجلها كلها .

كنت تجد غسان منكبا على كتابة اكثر من رواية في آن واحد ثم تجده بعد أيام يرتاح بالانهماك في النحت ويفاجئك بعد ظهر يوم أحد بأنه يرسم ...

عندما يكتب ، ريشته الدقيقة تدلك على سباته مع الزمن ... فقد كان الزمن دائم اللهاث خلفها وما استراح الا عندما تطايرت اشلاء تلك الريشة من حقيبته نحو عكا . عندها استراح الزمن من لهاثه وبدا حبر كلمات غسان يجف لتتحول الكلمات الى تماثيل كبيرة تدل على الطريق الى فلسطين .

الحب في الصراع

ان تعيش الحياة بدون حب لا يعني انك تعيش . فالحياة هي الحب ومن لا يحب يعادي الحياة .

الحب كان زاد غسان في رحلة الصراع الطويله . الحب كان ذخيرة حياة غسان التي لم تشح يوما .

كان الحب حبر قلم غسان . وما توقف قلمه عن الكتابة الا عندما جف دمه .

ودوما كان الكمال عند غسان في الحب . عكا حبيبته كما هي شجرة الصبير في حديقة بيته . ليلى ابنته حبيبته كما هي « ام حسين » في « البرج » حبيبته ايضا .

وعندما يشعر غسان ان الحب قد تغرب قليلا عن وطنه يشعر ان الجفاف يهدد عالمه ... ويبدا التحدي ... ويبدا البحث عن الحب الذي تغرب كي يعود الى موطنه .

في الزهرة ... في المراة الجميلة في الكتاب الجيد في الشعر المبدع .. في .. في .. كان يجد الحب ويحوله الى ذخيرة للقلم تفرغ كلمات جميلة وقادة .. يحوله الى جمال منحوت على حجر .. يحوله الى الوان متمايلة في لوحة .

لقد حول ، خلال رحلة العودة التي دامت عشر سنوات ، كل شيء الى جمال وحب .

لقد سبقنا غسان في رحلة العودة وحرمنا من اشياء جميلة عديدة كان من الممكن ان تخلق على يديه .

■

Digitized by Birzeit University Library

في حديث مع الرفيق جورج حبش :

من الصعب وصف غسان فقد كان كبيراً

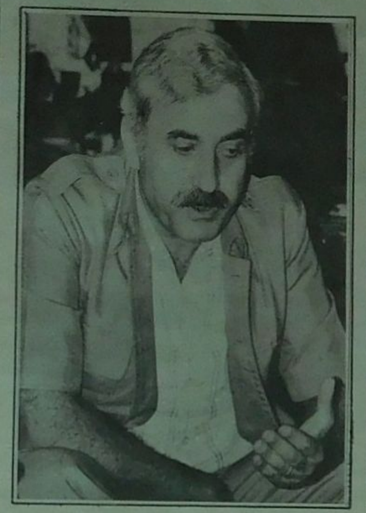

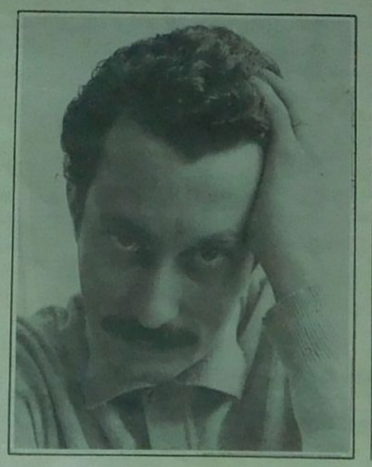

عندما تتقدم من هذا الرجل الذي اوغل في التعب ، وانخرط في حركته اليومية منذ ٣٠ عاما ، تطالعك خبرة السنوات ، بحركة اليد ، باطراقة الراس الذاهبه ، الى البعيد .. الى سنوات النضال الفتي، والى «الحركة» الصاعدة في ذلك الوقت .. الى الرفاق الذين تحلقوا حولها .. تجربة الاردن .. مقاومه «الملك» والمشاريع الاستعمارية .. الخروج من الاردن .. اصدار مجلة « الراي » وتهريبها مرة اخرى الى الاردن .

عندما تقترب من « الحكيم » تكف عن الاسئلة ، تغادرك الاسئلة ، وتصغي . يغادرك الحماس ، والاعتداد بالنفس ، والزهو بمعرفة اشياء متناثره عن الادب والثورة ، والثقافه والطبقات ... تتحول الى تلميذ يلملم اطرافه المبعثرة ... تستمع وتستمع .

يقترب « الحكيم » من الشعر ، ويمسك زمام الامور ، باليد التي دربتها السنوات الـ ٣٠ .. وعندما يداهمك الارتباك ، يربت على كتفك . ويبتسم .. ذهبنا اليه من اجل « غسان » .. قلنا للحكيم ، غسان كبير ، اكبر من الاسئلة .. وهذا هو « العدد الخاص » على اهبه الطباعة ، وغسان اقرب الينا من حبل الوريد .. فدعنا نذهب الى اول التجربه، اول الممر المشترك بينكما .. دعنا نقلب تلك الصفحات المبتلة بماء الذهب .. صمتنا .. وتكلم « الحكيم » :

براعم في ذلك الوقت :

● معرفتي بغسان تعود الى منتصف الخمسينات ، كانت حركة القوميين العرب، تصدر مجلة « الراي » في الاردن .. وقد اتخذت السلطات الاردنية ، قرارا بايقافها بسبب التفاف قطاعات واسعة من الجماهير في الاردن حولها .. فقررنا اصدارها في دمشق ، وتهريبها ثانية الى الساحة الاردنيه ، كان ذلك في عام ١٩٥٤ او ١٩٥٥ .. لم اعد اذكر الآن بالضبط ..

وفي دمشق كان من الطبيعي ان يلتف حول المجلة ، مجموعة من الشباب الفلسطيني والعربي .. واذكر من هذه المجموعه الشابة .. غسان كنفاني ، وبلال الحسن ، وفضل النقيب ، وعصام النقيب ، واحمد خليفة .. وبدا واضحا ان هذه المجموعة من الشباب تتميز بالنباهة ، وتمتلك حدا معينا من القدرات والطاقات ، ولديها ارتباط وثيق بالقضية الوطنيه .. كانت هذه المجموعة من الشباب ، براعم في ذلك الوقت ، لم تتفتح بعد ..

وغسان كان من ابرز وجوه المجموعه .. ومنذ ذلك الوقت كان متميزا ، شاب حيوي ، نضر ، يتوفر على روح من السخرية اللاذعه والمرح .. واضح فيه العطاء .. واغر المشاعر .. اعتقد أن عمره في ذلك الوقت كان بحدود ١٩ سنة .. أحيانا كانت تجمعنا معا لحظات ود صافية .. طبعا عدا اوقات العمل .. وفي تلك اللحظات كان يحدثني عن فلسطين .. عن الهجرة .. الايام الاولى القاسية التي عاشها في دمشق .. لم اعد اذكر كل تلك القصص بشكل دقيق .. وفي ذلك الوقت كان يعمل — على ما اعتقد — ببيع الصحف .. او شيء آخر مشابه ..

طبعا حديث غسان عن نفسه ، كان يأخذ شكل الحديث عن الجيل الذي ينتمي اليه .. بعد ذلك عمل مدرّسًا في أحد المخيمات الفلسطينية في دمشق .. وعلى الصعيد الادبي ، لا ادري ان كان له في ذلك الوقت انتاج ما .. ولكنني اذكر تماما مساهمته في مجلة « الراي » .. حيث لم تكن تقتصر هذه المساهمه على الادب فقط .. بعد ذلك حدثت فترة انقطاع في العلاقه بيننا ، بسبب عودتي الى الاردن عام ١٩٥٦ ، بعد طرد « كلوب » .. ظل اسم غسان كنفاني من ضمن مجموعة من اسماء الرفاق ، المتميزين في الذاكره ، بسبب حضورهم الخاص ..

عادت علاقتنا ، بعد فترة الانقطاع التي قضيتها بالاردن ، مرة اخرى ، اثناء عودتي الى دمشق عام ١٩٥٩ ، وفي هذا الوقت — على ما اعتقد — كان غسان قد عين مدرسا في الكويت ..

جاء التزامه بحركة القوميين العرب ، بعد فترة من عمله في مجلة « الراي » .. سافر الى الكويت ، ليعمل هناك ، وعندما يعود الى دمشق في العطله الصيفية .. كنا نلتقي ، فيحدثني عن حالة الملل التي تصيبه من جراء عمله في الكويت .. كان يقول ان الكويت ليست المكان المناسب له ، وانه يقوم بهذه المهمة مضطرا .. وايضا كعادته ، كانت له قصص عن المعلمين .. عن « الشيوخ » والامراء .. لقد كان

ظريفا .. وقصصه ، دائما كانت لها معاني .. منذ ذلك الوقت كان حسه بالصراع الطبقي حادا ، وقصصه الصغيرة ، وحكاياته التي كان يحدثني بها عن الوضع في الكويت ، كانت تعبر عن فهمه للصراع الطبقي ..

ايضا لا يخلو الامر من حديث عن الادب .. فكان يحدثني، ويضعني في جو مشاريعه الادبية .. واول عمل قصصي ، حدثني عنه قصته التي تحمل عنوان « موت سرير رقم ١٢ » .. انني لا ازال اذكر ذلك ..

الحرية .. ومحطة جديده من العلاقة

.. المحطة الجديدة على صعيد العلاقة بيننا ، عندما قررت « الحركة » اصدار مجلة « الحرية » .. كان من الطبيعي جدا ان افكر بغسان .. حدثته انا عن التفرغ بالحرية .. ومع مجيئه الى بيروت ، انفتحت امامه آفاق العمل الصحفي والادبي .. وفي لبنان تبلورت شخصيته وتفجرت طاقاته الادبية .. وعلى ما اعتقد انه في عام ١٩٦٤، قررنا اصدار نشرة « فلسطين » التي صدرت كملحق لجريدة « المحرر » اللبنانية ، فتولى مسؤوليتها غسان .. وفي هذه الفترة بالذات ، بدات المس ميوله الدراسية ، والنظرية ، المتعلقه باسرائيل ومشاريعها .. كانت رغبته واضحة في تتبع ذلك ..

وبعد فترة .. تأسست الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولما كانت حاجتنا ماسة في اصدار مجلة .. اتجهت الانظار الى غسان .. والحقيقة ان غسان بادر الى ذلك .. فجاء الى الاردن — حيث كانت قيادة الجبهة — ، وطرح علينا مشروع المجلة .. وكلف باصدارها .. فكانت مجلة « الهدف » .. ظل غسان يحضر الينا في الاردن بمعدل مرة او مرتين في الشهر .. وطبعا كنا نناقش وضع المجلة .. خطها السياسي .. توجهاتها .. وهو — كما هو معروف عنه — كان يلتقط بذكاء ونباهة كل ذلك .. ويترجمه عمليا ..

وفي هذه الفترة لعب غسان دورا بارزا في التعريف بالجبهة على الصعيد العربي ، ام العالمي ، فهو بالاضافة الى كونه رئيس تحرير « الهدف » ، كان الناطق الرسمي باسم الجبهة .. لقد لعب دورا في ابراز خط الجبهة في اوساط العالم التقدمي ، ووثق علاقاتنا مع قوى طليعية وتحررية عالمية اخرى .. لم تكن المبادرة تنقص غسان ..

علاقة حميمة في لبنان

.. علاقتنا الحميمه والقريبه ، توطدت ، عندما حضرت الى لبنان ، كان ذلك في العام ١٩٧١ .. وتوفرت فرص مكثفة للقاء ، والحوار ، عدا تلك اللقاءات والاجتماعات التي كانت تنصب لمناقشة خط المجلة .. ومواضيع العمل السياسي والاعلامي المختلفة .. اذكر ، تلك الاحاد — ايام الاحد — التي كنت اقضيها مع غسان ، ضمن جو عائلي.. كان يسكن في الحازمية، وكنت اذهب وعائلتي الى بيته .. وهنا يحضرني مرح وتعليقات غسان التي كانت تبدا عن « صحن السطحه » وتنتهي بآخر كتاب طالعه .. من الصعوبة بمكان وصف غسان .. كان يمتلك جانبا انسانيا كبيرا.. يمازح مايز وليلى ، ويتحدث .. لا ينقطع عن الحديث .. واذكر في تلك الفترة كان يقرا بكثافة .. واذكر مكتبته .. فقد عملها بشكل فني .. مدهونه بالابيض .. كانت مكتظة بالكتب .. وكان يقرا بنهم وغزارة.. حتى لاستغرب كيف كان يجد الوقت الكافي لهذه القراءات .. وبالنسبة لي ، كنت مشغولا في ذلك الوقت ، بحيث لا اجد الوقت للقراءة ، لذا كنت استفيد كثيرا من لقاءاتي بغسان .. بالاضافة الى ذلك كان يحدثني ويعرفني بالكتب الجديده الصادرة .. اما اهتمامه في تلك الفترة ، فقد انصب على دراسة ، تاريخ النضال الفلسطيني ، والعربي ، دراسة معمقة .. كان يلتقط ، لقطات جميلة ، وذكيه من خلال هذه القراءات .. وكان يتابع بالاضافة الى ما يصدر من كتب على الصعيد العربي والعالمي ، ما يصدر من ادبيات ونشرات عن الثورة الفلسطينية ، متابعه دقيقه ، ويضعني في جو هذه المتابعات.. كان يسد فراغا كبيرا بالنسبة لي ...

يقرا لي ، ويحدثني عن مشاريعه الادبية .. كنت اعطيه انطباعي العام ، الشخصي ، عن قصصه ومشاريعه .. وقبل استشهاده بفترة ليست طويله ، جمعنا ، جو عمل مزدحم ومكثف ، كان من ضمن اللجنة المكلفة بصياغة التقرير السياسي ، الصادر عن المؤتمر الثالث للجبهه .. فترة عمل مزدحمة ومكثفه .. ناتي صباحا ، نقرا ، ونكتب ، نحذف هنا ، نشطب هناك ، نتوسع .. اعتقد حدث ذلك في نيسان من عام استشهاده .. وهذه الفترة كانت آخر فترة عمل من نوعها ...

كان ديمقراطيا ... وبالاجتماعات كان يرسم ...

.. من الصفات المعروفة عن غسان انه كان ديمقراطيا ، فهو لا ينفعل عندما تاتي انتقادات الفروع على « الهدف » .. قد يبدو منفعلا ولكنه في الحقيقة ، يلتزم بالموقف الديمقراطي.. كان ملتزما .. ولهذه الكلمة معناها الخاص ، خاصة في تلك الفترة ، وصفة الالتزام ، صفة لا تنفي بغسان ، ومن كان يتسم بالانضباط والالتزام ، كان يعد ذلك امرا هاما .. لقد كان التزامه حادا فيما يخص القضايا المركزيه .. القضايا الحاسمة ..

.. في الاجتماعات، كان احيانا ، يرسم ، واذكر لوحة الحصان التي رسمها في احدى الاجتماعات ، ومررها علي .. لم يكن يعتبر غسان الرسم ، فعالية هامة بالنسبة اليه .. كان يرسم ، لمجرد الرسم ..

ويوم وفاته .. اذكر .. لا تزال بخاطري .. كنت مريضا ، ومقيم خارج بيروت .. وقدر « الشباب » : خبر مثل خبر استشهاد غسان لا يمكن له ان يخفى .. فارسلوا « ابو ماهر » الي ، قال لي ، « صار حادث مع غسان وهو الآن بالمستشفى » ..

طبعا ادركت ... (يصمت الحكيم ، وبحزن يستانف) : كان اول شيء فعلته ، انني كتبت رسالة الى « آني » ، ولا يزال يحز في نفسي ، ان اوضاعي الصحية في تلك الفترة لم تسمح لي بالمشاركة في جنازته .. لقد كان غسان ، كبيرا قبل استشهاده ، واستشهاده زاده كبرا ...

غسان .. الرفيق الظريف

.. احب غسان عائلته كثيرا ، وخصوصا اخته « فايزة » ام « لميس » ، التي هي ايضا منحها الكثير من حبه ، ووقته ، فقد كان يرسم لها ، صورا ، ويكتب لها الرسائل .. كان يحب اخوته كثيرا .. ومن نفسه كان يسخر كثيرا ، وخصوصا من مرض السكري الذي كان يعانيه .. كثيرا ما كان يحدثني ساخرا عن الابر التي يتعاطيها ، ضد السكري ..

وقبل استشهاده ، كان ثمة تخوف من محاولة اغتياله ، ولكن غسان من النوع الذي يحب عمله الى درجة لا يمكن ان تحول بينه اية اجراءات امنيه ..

.. الظرف ، والمرح ، والسخرية ، كانت مزايا خاصة بشخصية غسان ، وكثيرا ما كانت تطال تكاته ، الرفاق في المكتب السياسي ، وخاصة الرفيق الشهيد وديع (حداد) ، الذي كان معروفا بكثرة نسيانه ، فكان غسان ، يدبج النكات عليه ويعطيها من خياله ، مستمدا هذه النكات من بعض الوقائع الصغيرة ...

المفارقة التي يتحدثون عنها ، بين شخصيه غسان الوادعة ، والمرحة ، وجسمه الناحل ، وبين التزامه الشديد بالقضية ، وايمانه بالعنف الثوري طريقا لحلها .. انا اعتقد انها ليست مفارقة .. فقد كان ثمة انسجام شديد بين هذين الوجهين ...

الى هنا ، توقفنا ... فالحديث عن غسان ومع « الحكيم » يبدا ، ولكنه لا ينتهي .. ذهب « الحكيم » الى عمله ، ضاج بالذكريات ، وذهبنا الى غسان كنفاني الذي ينتظرنا في « الهدف » .

أمجد ناصر

Digitized by Birzeit University Library

بسّام أبو شريف، يروي بعضاً من ذكرياته مع غسّان

أجرى اللقاء: حسين نصر الله

غسّان كان في لقاءاتنا المتألق نظراً لذكائه ودقة تعابيره

أول قصة كتبها لم تنشر حتى الآن

أحب الأشجار لديه كان "الصبار"

غسّان كان حازماً، وغضبه غير عادي

ماذا يمكن ان تلتقطه الذاكرة عن غسان كنفاني ، وماذا يمكن ان تحيط به الاسئلة من ذلك العالم الواسع مثل الرؤى ، والمنتشر مثل الضوء ، وهل يمكن للكلمات ان تجمعه ... ؟ كلماتنا التي تحاول ان تعيد صياغة ماضيه الموزع . بين خلايا التراب ، وانفاس الماء ورائحة البرتقال ، واعشاش العصافير ، ودهشة الاطفال ، — قلنا ماضيه الموزع — لكن غسان كنفاني لا زال هنا في ادق تفاصيل الحاضر ، يرى ، ويكتب ، ويعلق ، وبوتن كيف يمكن للرصاصة ان تساهم في زيادة كميه الحليب في اثداء الامهات .. الرصاصة الثورة . وكيف يمكن للكلمات ان تصنع جيلا . وكيف يمكن للفلسطيني ان لا ينسى مصطبة داره ، وكميه الحصى فوق الشارع المؤدي لمنزله . غسان لا زال في احداق رفاقه ومعاصريه ، وفي حركاتهم ، يرسم لهم الجياد التي لا تنحني ، ويسالهم عن عرق الزيتون وخصبه ، في حوافرهم . يسالهم ويضيف ان النسيان هو الموت ، والهروب هو الالغاء ، والتنوع هو الخيانه . غسان نراه الآن في مكتبه القديم عاليا مثل السنابل وواسعا مثل البذار ... ومثمرا مثل الدوالي . انه هنا في حركة رفيقه « بسام ابو شريف » الذي التقينا معه في محاولة منا للاطلال نحن والقارىء على بعض ذكرياتهما المشتركه ، لا سيما وان غسان ، وبسام ، قد عاشا معا فترة فيها من الالم والفرح والحب ...

عاشا ، في الثورة ، والنضال ، وفي الحياة العادية . ذهبنا الى بسام في محاولة منا لالتقاط تلك التفاصيل الدقيقة عنه ، غير اننا ايقنا ان الذاكرة التي تحمل بين مسامها ملامح غسان وحركات ايامه ، تنشب بسرعة كما الطلقة ، وتترك آثارها على الوجه ، وعلى حركة اليدين . وتجيء لحظة الصمت لتقول كل شيء ، تجيء لحظة الصمت مرفقة بابتسامة حنونة الى ماض لا زال جاثما في الصدر وفي نبضات القلب . تجيء فتلامس الواقع بقساوة . وهكذا تبقى الذاكرة ، ونرحل نحن لكن الورده تبقى هنا ، بجانب ، القبر — الجسد — تبقى الشاهد الصباحي على لحظة الانفجار . سألنا « بسام » . قال كلاما قصيرا بانتظار ان يسمح الزمن لذكرياته ان تطلع الى الضوء ، قال كلاما قصيرا . غير انه يلقي بعض الاضواء على جانب ، يطال شجرة الصنبر في حديقة منزل غسان ، ويطال بعضا هاما من حياة غسان الانسان ... لكن هل يفيد ان نقول وهنا في هذه المقدمه .. اننا في الثامن من هذا الشهر كنا نزور « غسان » متشنا عنه في المنزل فوجدناه في الحديقة ، فوجدناه ! بين رفاقه الاحياء . فوجدناه ! واخيرا ذهبنا اليه الى مقبره الشهداء فكان هناك . ولم يكن بمقدورنا ان نعرف ، ان كان غسان يشبه الورد ، ام ان القبر ، هو وردة غسان التي بقيت لنا . الشاهد الذي يدق دائما في ذاكرتنا ، ويقول لنا حذاري ان لا تدقوا جدران الخزان . واخيرا رايناه بعضه في كلمات بسام ، الذي سألناه ...

كان وقتها يعيش بدون هويه

— كيف بدأت علاقتك مع غسان كنفاني . ومنذ متى تعرفت عليه ؟ حدثنا عن علاقتكما ؟

● أول مرة التقيت مع غسان . كان ذلك سنة ١٩٦٤ ، كان وقتها يصدر « ملحق فلسطين » . في ذلك العام بدأت معرفتي الشخصية به . وكنت قبلها أعرفه من خلال

كتاباته في الحرية ، والمحرر ، وغيرها من الصحف التي كان ينشر فيها . يومها كان يعيش بدون هوية ، لانه دخل لبنان بطريقة التهريب . الملقاء الاول به ، كان سريعا . في هذا اللقاء بحثنا معا ضرورة الكتابة في « ملحق فلسطين » حول القضايا الطلابية ، والجامعات . غير ان علاقتي تعمقت اكثر معه ، عندما انتقل الى جريدة « الانوار » . وكانت لقاءاتي به تتم كل اسبوع مرة . كنت اما ازوره في الصحيفة . او ادعيه الى الجامعة . او الى مقهى . كان باستمرار يحيط به مجموعة من الصحفيين والادباء ، وكانت جلساتنا غنية . والذي اغناها اكثر جلسات صباح الاحد في مطعم فيصل ، حيث كان يتجمع في هذا المطعم عدد من السياسيين من حركة القوميين العرب — والشيوعيين — وحزب البعث . في هذا اللقاء الاسبوعي كنا نتحاور في امور السياسة، وواقع المرحلة . اي انها كانت تتناول اهم التطورات السياسية . لكن اهم ما يميز تلك الجلسات . ان النقاش الذي كان يدور ، كان نقاشا راقيا ، ولا يخلو من الطرافة والذكاء . حتى عندما تتناقض وجهات النظر ، وكانت هذه اللقاءات تستمر اكثر من ساعتين .

لذا فقد اطلق على اسم مطعم فيصل اسم المطعم السياسي . وكان غسان باستمرار نجم هذه اللقاءات . نظرا لذكائه ودقة تعابيره ، وقدرته على الربط والتحليل .

في عام ١٩٦٩ . وهذا هو الجزء الثاني من علاقتنا . بدأت العلاقة تاخذ لها ابعادا انسانية وغدت ليس فقط سياسية ، بقدر ما اصبح لها ايقاعها التفصيلي ، وحينها بدأت اكتشف في غسان نقاطا عديدة . جعلتنا خلال فترة وجيزة صديقين لا يفترقان ، وبالفعل ان كلمة لا يفترقان تنطبق تماما على علاقتنا . كنا نبدأ صباحا في العمل ، حتى المساء ، وفي المساء نرتب برامجنا سوية . كنا في معظم الاحيان نبدأ مساءاتنا في « الدولتشي فيتا » حيث نلتقي هناك سياسيين ومفكرين وصحافيين . ومن هناك ننطلق حتى آخر الليل ، اما لقضاء سهرة عند احد الاصدقاء ، او للقيام بجولة ، على الصحف ، او لقضاء سهرة في احدى النوادي . ودائما في كل هذه البرامج ، كان غسان هو النجم المتالق والوجه المميز . وان الذي يرافق غسان ، كان يشعر دائما برغبة لعدم تركه .

تحولت ايام الآحاد الى صباحات منزلية في الحازمية ، كنا نقضي ، نهار الاحد في الحديقة ، نراقب شجرات الصبير التي كان يعتني بها غسان عناية فائقة . او نستمع الى آخر الاغنيات السياسية العالمية . او يقرا لنا فصل من رواية يكتبها . كان لديه باستمرار الجديد ، والمتجدد كان واسع الاطلاع ، يقرا بنهم وكان قادرا على العطاء .

« كاكتوس » اي شجيرة الصبير هكذا كان يسميها غسان . اذ ان اعجابه بها ، كان يماثل اعجابه ، بالمقاتل الشجاع الذي تحيط به مجموعة كبيرة من عوامل التدمير ، والتصفية ، والذي نجح الى حد بعيد ، اي المقاتل في التحايل على هذه العوامل جميعها ، والانتصار عليها. هذه الشجيرات « الكاكتوس » كانت في عهود قديمة ، اشجارا وارفة ، لها اوراق كبيرة . وتعرضت لجفاف على مدى آلاف السنين . فتاقلمت وتحولت اوراقها مع الزمن ، الى اشواك ، كي تمنع عملية تبخر الماء التي تزداد كلما ازداد عرض الورقة . او كلما كان سطح الورقة معرضا للشمس . فاحتفظت بذلك بمائها ، واحتفظت هكذا بحيائها . اعتقد ان هذا هو مصدر الاعجاب « بالكاكتوس » عند غسان . او الاصح ان « الكاكتوس » هي غسان نفسه . فقد كان مقاتلا شجاعا يتحدى الموت في كل لحظة . وقد استطاع أن يحول عوامل التدمير والتصفية الى عوامل الحياة والتحدي . اذ ان حياته كانت صراعا مستمرا ، مع نفسه ، ومع محيطه ...

— من المعروف ان غسان كان مصابا بداء السكري ، والمعروف عنه ايضا انه كان مرحا، برايك هل مرحه هذا كان ردة فعل على مرضه، وهل كان يهجس بالموت ؟

● قلائل هم الذين يعرفون كم كان يعاني غسان من الالم والمرض ، ولكنني كنت اعرف . شاهدته مرارا عديدة يخطر نحو الموت ، ويعود منه . كان يتحداه . وكان عليه ان يحمل الجرح ، ويقاتل ضد عوامل التدمير الاخرى . ولذا كنت اجد غسان باستمرار ، امام الزمن — الزمن — باستمرار كان يلهث الزمن وراء غسان ، كان يستبق الحياة ، يغرف منها ، وكانه يودعها في كل لحظة. كان يعشق الحياة، ويرى فيها الحب .

الصراع الآخر الذي خاضه غسان ، حاملا جراحه . كان الصراع الذي اخترق حياته من اولها الى آخرها . صراعه مع الذين سرقوا عكا منه ، بداه منذ كان طفلا ، في الثانية عشر من عمره ، واستمر فيه الى ان عاد الى عكا عام ١٩٧٢ . لحظة استشهاده .

— ما هي اهم ذكرياتك عنه ، او لنقل ذكرياتكما المشتركة ؟

● بعد استشهاده ، احتفظت بمفكرته لعام ١٩٧٢ ، كانت ، آخر الكلمات التي سطرها في السابع من تموز ، قراتها ، وكانني اقرا مفكرتي . سأجمعه يوما لاكتب عن ابعاد كثيرة في غسان . لم تعرف بعد .. ان عظمة غسان تظهر يوما بعد يوم وهذا ناتج لان الباحثين ، والادباء ، والفنانين ، لم يتمكنوا حتى الآن من تغطيته . غسان انسانا ، وانتاجا . غسان والمراة . غسان والطفل. غسان واليساريين. غسان والاقلام الواعدة . غسان ومعركته ضد الصهيونية . غسان ومعركته ضد الفكر الصهيوني . غسان وقدرته على بناء الذات والتطور السريع . كلها عناوين حتى الآن لم توف حقها . اشعر ان الوقت لم يحن بعد ، كي أتحدث عن حياتنا المشتركة .

كان يجيء الى العمل هنا في المجلة ، واضعا في فمه سيجارة ، لم يكن ليشعلها . ويطلب فورا ابريق القهوة ، ويبدأ العمل باستمرار وتواصل دون ملل . كان حازما فيه من الغضب لدرجة مخيفة . لكنه هو الذي ارسى تقاليد العمل كاسرة . كان حاد العبارة ، بذكاء لاذع ، ومرونة .. كلماته قادرة على التحطيم بمنطق وتسلسل . ليس هذا فحسب بل انه اذا غضب كانت كلماته تتحول الى لهب .

أول قصة كتبها غسان لم تنشر حتى الآن ، كان عمره وقتها بحدود العشرين عاما ، كتبها حينها من باب التسلية ، قصة مثيرة ، يتحدث فيها عن الرجل والمراة ... ولشدة اثارتها فانه لم ينشرها . من هنا يمكن ان نفهم حدود علاقة غسان بالمراة ، تلك العلاقة التي ان كشف احدهم عن جوانبها سوف يرى غسان من مستوى آخر ومهم ، سوف يرى ان قصة واحدة كان بالامكان ان يحاكم عليها حزبيا . غير انها اي القصة بقيت مخطوطة تناقلها ايدي رفاقه سرا . فمن يستطيع الآن ان يمسك بذلك العالم الذي عاشه غسان مع المراة . انه عالم فعلا ...

كان غسان انسانا راقيا جدا . متحضرا ، بكل ما في هذه الكلمة من مضامين . مرضه لم يؤثر على علاقاته بالآخرين ، **ولكن الاهم من هذا ان مرضه لم يؤثر عليه شخصيا.**

وهذا هو السبب في عدم تاثير مرضه على علاقاته . كان يتوجع من مرضه باستمرار . ويحمل في سيارته . السكر . والشوكولاتة . لانه لم يكن يعرف في اية لحظة يمكن لحقن « الانسولين » ان تؤثر على كمية السكر اللازمة للجسد . ومرة قررنا ان نتغدى سويا في مقهى أبو داود ، ونحن داخلين ، فجاة سقط غسان . وقبل ان يغيب عن الوعي . ردد لي كلمة سكر . فلحقته بكمية منه ، وعاد لوعيه . هذا النمط من المعاناة اليومية . لم يؤثر عليه قطعا . وبالرغم من هذا نجده يلتهم الحياة التهاما .

— ما الذي كان يفرح غسان ، او يحزنه بشكل مباشر ؟

● أكثر ما كان يفرح غسان ، ويحزنه هو الحب .. الحب واستمراره هو ما كان يشغل غسان . وهذا ما كان يعني له الآلام . المعاناة. السعادة . لكن عندما كانت تقوم الجبهة بعمليات كنت أرى على وجه غسان سعادة لا توصف .

ملاحظات

غسان عمل في النحت ، وآخر فترة من حياته بدأ يتطلع نحو الموسيقى — العزف — وكان الى جانب هذا راسما جيدا . اي هداف . غسان كان دقيق الاصابة في الرصاصة ، والقلم .

■

Digitized by Birzeit University Library

غسان كنفاني معلماً :

الكاتب والقارئ والثورة

لا يكون الكاتب واقعياً في الكتابة إلا عندما يكون واقعياً خارج الكتابة

بقلم : فيصل دراج

لا يبدو الفعل واضحا الا بعد حين ، ولا تستجلي دلالته الا بعد مسافة ، وفي هذا « الحين » وتلك المسافة تأخذ الاعمال قراءة جديدة ، ويفرض الزمن التالي انارتها من جديد . وفي هذا الزمن تفرض أعمال غسان قراءتها من جديد ، فتشير الى معناها الحقيقي ، وتشير ايضا الى زائف الادب ، والى سراب الوهم الذي يقتل صاحبه .

كان غسان فاعلا في زمانه ، يحتضن الفعل والكلمة ، ويوحد بين النظرية والممارسة ، بين الادب واثره ، اي كان يربط الادب بدورة الواقع ، ويعود من الواقع ليعيد انتاج الادب . وفي حركة هذا الواقع المتجدد ، كان يتجدد غسان ، ويعطي أعماله اشكالا جديدة .

كتب غسان عن الثورة وهو يصنعها وتصنعه ، فتكاملت في اعماله الكلمة والممارسة ، **اي جعل من الممارسة الكتابية امتدادا لممارسته النضاليه .** وفي هذه الممارسة المادية الشاملة انتج ادبا وعاش الثورة من داخلها ، ووصل الى وعي الواقع ومعنى الكلمة ، ومن الواقع والكلمة دخل في « حلقه » المجيد مع القارىء — المقاتل .

لقد كانت أعمال غسان ، ولا تزال ، تمثل حالة خاصة في الارتياح الادبي الفلسطيني ، حالة ندعوها : « الواقعية المقاتلة — بريشت » ، ونعني بذلك الادب الذي يكتب من **وجهة نظر الثورة** ، والذي يتجدد في معناه ومبناه كي يبقى عنصرا فاعلا في العملية الثورية . والا ، فكيف ، نفسر هذا النوع الخصيب في الشكل الادبي عند غسان بدءا من « رجال تحت الشمس » وصولا الى « برقوق نيسان » ؟ . ان قراءة أعمال غسان في تنوعها وخصوبتها تشير الى حقائق — دروس :

١ — تكامل الممارسة الادبية والممارسة السياسيه الذي يجعل من الادب ممارسة نضالية .

٢ — البحث عن الشكل الادبي الذي يستطيع ان يحرك الفكر وينير الممارسة السياسية ، في هذا البحث أعطى غسان ادبا جديدا .

٣ — وحدة الكاتب والقارىء في حقل الممارسة النضاليه والتي تعيد باستمرار انتاج الكاتب والقارىء .

مضى غسان ولم يخصب ، بقي بيننا في هذا الادب — النموذج ، الذي يشرح ويعلم ويصون مقام الادب ، والذي يهتك متحديا هذه الاعمال الادبية الفلسطينية المراهنة والزائفة التي تحكي عن واقع لا تعرفه . لن نقارب هنا كل دروس غسان ، فممارسته أوسع من ذلك بكثير ، بل سنحاول أن نشرح دور الشكل ووظيفته لدى الكاتب — الشهيد .

اذا كان الادب المثالي يبحث عن الشكل وتجديده في خيال الاديب ، وفي مساحات « ابداعه » المقطوع عن الواقع ، فان غسان في بحثه عن الشكل كان ينطلق من الممارسة المادية الواعية لوظيفتها وغايتها . وفي هذا الانطلاق المفتوح على الحاضر والماضي والمستقبل كان ينطلق من علاقة الكاتب بالقارىء ، ومن علاقة العمل الادبي باثاره السياسية والايديولوجية . وهنا يمارس غسان قول بريشت الشهير : « **ايها الكاتب انك لا تقاتل وحيدا ، انك تقاتل مع قارئك** » . وفي ضوء هذا الصحو النازع الى توحد القارىء بالكاتب كتب غسان « أم سعد » ، وأمعن في الاقتراب من القارىء حتى كاد أن يبتعد عن صنعته الادبية . وكان غسان في هذه المخاطرة الباحثة عن الجديد يود أن يشير الى حقيقة خالدة لا يراها الكثيرون : **الشعب صانع التاريخ ، والفقراء هم خبز الثورة ، وسواعد البسطاء المجهولين هي التي تنسج انتصارات الشعوب ، والابتعاد عن صانعي الثورة الحقيقيين يعني بكل بساطه الابتعاد عن الثورة** . في « أم سعد » كان غسان يرسم وجوه البسطاء ويغني للثورة ، لذلك « البرعم » الذي ينمو ويتفتح في حقل البؤس والكدح والايادي الخشنة . وعندما يغني غسان للثورة والبسطاء فانه لا يلقي من ناحيته بالعواطف الاخلاقية المجردة ، بل يرصد حركة الوعي لدى هؤلاء البسطاء ، وتعرفهم على مصدر البؤس وشكل الغائه ، وقراءتهم الجديدة للماضي في ضوء وعي الحاضر .

في لغة بسيطة وجميلة ، وبصدق حقيقي ، رسم غسان « أم سعد » في سلسلة لوحات مترابطة ، ولم يكن في هذه اللوحات يكتب عن حالة انسانية أو شخص محدد جدير بالاحترام فحسب ، بل كان يحدد هذه الشخصية كعلاقة في جملة علاقات ، او ككيان يتحرك فوق مسرح فلسطيني واسع ، وكان يربط تطور وعي تلك الشخصية بتطور الوعي العام للانسان الفلسطيني في مسرح زمانه الجديد . لذلك لم تكن كتاباته كتابة طبيعية سكونية تشير الى قدر انساني تعيس ، بل كانت كتابة ترصد حركة

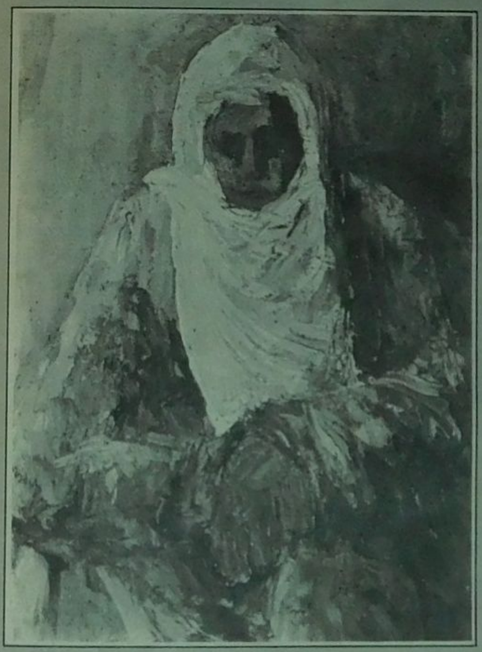

أم سعد بريشة غسان كنفاني

الاشياء ، وترابط الصور ، وأشكال الانتقال من حالة الى حالة ، ومن لوحة الى أخرى ، أي أن لوحات « أم سعد » هي سلسلة مترابطة وفق منطق ديالكتيكي يجعل من كل صورة مقدمة لأخرى . وهكذا فان ارتباط غسان الحقيقي بالجماهير المناضلة كان يمنحه موضوع الكتابة وشكلها ، بحيث يكون شكل الكتابة محددا في زمانه ومكانه .

ان أعمال غسان كنفاني المرتبطة بشكل وثيق بالعملية الثورية تطرح سؤالا هاما عن : مكانية وزمانية العمل الادبي ، أي عن وظيفة النص المباشرة في زمن

الثورة ، بحيث يصبح دور النص محددا بزمانه ومكانه المباشرين لا بالمتعة الجمالية المطلقة أو المستقبلية . وفي الزمان والمكان لم يكن غسان كاتبا دعاويا عاديا أو كاتبا محرضا بسيطا ، بل كان مبدعا وباحثا عن جديد الادب ، لذلك فان أعمال غسان لا تفهم الا في اطار التجريب الفني الباحث عن الثورة . وكما قلنا فان كاتبنا الشهيد لم يكن يلهو بالكلمات أو يبحث سادرا عن « اللعبة الفنية » بل كان يحاول أبدا أن يجد المعادل الفني لممارسته السياسية . وفي هذه المحاولة كان يكمل ويجسد قاعدة شهيرة : « **لا يمكن للاديب أن يكون واقعيا في الادب ان لم يكن واقعيا خارج الادب** » . اي أن كاتب « رجال تحت الشمس » كان يحمل صدق ممارسته ليمنحها معنى آخر وشكلا آخر في حقل صدق العمل الفني . والا فكيف نفهم ذلك الصدق المشرق في عمله الجميل المسمى : « الاعمى والاطرش » ؟

تمثل رواية « الاعمى والاطرش » ، التي لم ينه غسان كتابتها ، نموذج العمل الادبي الذي ينتج واقعا يعرفه ، ولأنه يعرف هذا الواقع فانه قادر على صياغة المعادل الفني له . يبدأ غسان هنا من شرط الفلسطيني في بؤس مخيمه ، رابطا بين بؤس الواقع وبؤس الوعي ، ثم يرصد تحولات الوعي في تحولات الممارسة . لنقرأ هذا الصدق المكتوب القابض على كل الحزن الفلسطيني ، والمدرك لكل المسافة التي قطعها الفلسطيني في البحث عن أرضه المفقودة ، وكرامته المهدرة ، وانسانيته المباحة :

— « ومنذ عشرين سنة وانا اجلس هنا ، أناول الاكياس لصفوف لا تنتهي من اللاجئين . منذ عشرين سنة يمتد أمام بصري هذا الصف الطويل من الرجال والنساء والاطفال ، يتحركون كالاشباح . يتدافعون بلا صوت ، وترتطم الصفائح التي يحملونها ببعضها دون ان يصدر عن ذلك الارتطام اي رنين . كان العالم كله يغطس في حوض ماء زجاجي أمام عيني . ص ٤٨٠ » .

— « وأمامي كان ملايين اللاجئين يعومون داخل حوض زجاجي كالاسماك الصغيرة المعاجزة ، دون صوت » .

— « وهذا الصف الطويل من البشر ، واقف مثل طريق مسفلت منعرج يمتد من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٧ ، ليس فيه نغرة واحدة . مثل الطرق الصحراوية في دول النفط ، كلما انفتحت فيها حفرة جاؤوا بالزفت ورقعوها . كلما سقط واحد من الصف . مبتا من الشل او فقر الدم او القهر او الشيخوخة او الهجرة او السجن جاؤوا بولد ولصقوه محله » .

ان صدق الكلمات وكثافتها ، لا تعبر هنا ، الا عن مساحة الممارسة النضالية لغسان في حقل النضال الوطني ، لأن هذه الممارسة هي التي جعلت غسان قادرا على رسم الشرط الفلسطيني وكتابته أدبيا . ونقول أدبيا لأن كاتبنا استطاع أن يبني عمله على جملة العلاقات التي تربط الاعمى بالاطرش ، والتي تربطهما ببؤس الحياة اليومية وبالشجرة المقدس على حدود المخيم . اذا كانت أشجار الوهم تنمو في حقول البؤس ، فان المخيم الفلسطيني من حيث هو تعبير حقيقي عن البؤس بعينه كان عليه أن يعطي أشجاره المقدسة أيضا ، اي أن بؤس الواقع كان ينتج بؤس الوعي ويدفع حامله للبحث عن سعادته وراحته في أغصان شجرة يتيمة ، قذف اليها الانسان البائس كل أشواقه وجعل منها كيانا مقدسا يمنح النعمة والبركة . نظير الشجرة هنا كراية للمخيم واشارة اليه أو وليد ضروري له . وما بين المخيم والشجرة يدور الفلسطيني مراوحا ، واهما ، منتظرا .

ان قراءة « الاعمى والاطرش » تشير من جديد الى هم غسان الاساسي وهو تحويل الادب الى أداة تنوير وتحريض وتربية ، لذلك فان رموزه الفنية تأخذ معادل المفاهيم التي تشرح حركة الواقع . فالاوهام اللاهوتية هي انعكاس لواقع به واحتجاج عليه ، لكن هذا الاحتجاج لا يتم الا بشكل بائس ، ونهديم هذا الوهم لا يتم في اطار حركة الافكار والتأمل النظري بل يتم في حقل الممارسة الاجتماعية المناهضة لكل ما يكبح حركة الانسان . لهذا فان غسان يرسم شرط البؤس الذي هو المخيم ، ويرسم ايضا انتاج هذا البؤس على مستوى الوعي والذي يتمثل بالشجرة المقدسة . ثم يعود ليكتب عن ظهور المقاومة الفلسطينية وبداية الثورة ضد هذا الركون العاجز الذي « يستلم الاعاشة ويحلم بالوطن » . وبعد هذا يطور تناقض الوعي حتى يكتشف الفلسطيني ان سيد الانسان هو الانسان ذاته ، وان تحرره هو نتيجة لنضاله ، وان التحرر الانساني لا يتم بعوامل خارجية عنه بل يصدر من « داخله » من صنع يديه ، من طلاقاته التي يرسلها ضد كل ما هو قاتم ولا انساني في هذا العالم .

ان من يرصد أعمال غسان منذ بدايتها الاولى ، يكتشف أن هم وطموح هذه الاعمال كان ينزع باستمرار الى تأكيد حقيقة واحدة هي : اظهار خط الفصل بين الوهم والحقيقة ، بين الوعي الواهم والوعي الصحيح ، بين الطريق الواهم الى فلسطين وبين الطريق الصحيح المؤدية اليها . فاذا كانت « رجال تحت الشمس » تقول : « **كان الخروج موتا** » ، فان « أم سعد » تلقي الضوء على الفرق بين » خيمة واخرى « ، خيمة المخيم رمز الذل والخروج والموت ، وخيمة المقاتل رمز الارادة الجديدة في القتال . وبنفس المنطق يرسم غسان في « الاعمى والاطرش » علاقة المخيم بالشجرة ، ويؤكد ان الطريق الصحيح يستلزم اجتثاث الشجرة ، والبحث عن « مخيم جديد » يرفع البندقية وينور ضد ذلك الاستسلام الصدىء الذي ينتظر « اعاشة آخر الشهر » بسكون ورضوخ .

تحمل كل هذه الاعمال فكرة التحرر ، وفي هذه الفكرة تجد أعمال غسان وحدتها الفكرية ، ووحدتها الفنية التي تبحث عن شكل الكتابة الملائم الذي يفصل بين الوهم والحقيقة . وهنا نلمس من جديد وحدة حركة الواقع وحركة الكتابة عند غسان ، وهي وحدة لا متكافئة ولا متوازية ، لان غسان كان يحاول أن يكون رائدا وطليعيا ومحرضا ، أي كان يحاول أن يتسيد على الواقع ويحكم حركته . أما كيف تتجلى هذه الوحدة ، فالبرهنة عليها لا تحتاج الى عناء شديد ، لسبب بسيط هو : فكرة البحث التي تحكم حركة الشعب الفلسطيني وتنعكس بدورها في أعمال غسان وتعود من جديد الى الواقع بعد أن تنتج صورة جديدة له تبرز حقيقته ومعناه الحقيقي . ففي « رجال تحت الشمس » كان الفلسطيني يبحث عن « الرغيف » وعن صورة فلسطين المنوارية وراء سراب الصحراء ، وفي « ما تبقى لكم » ، كان الفلسطيني يبحث في معنى « الربح والخسارة » ، يبحث عن ذاته . ويعيش تناقضاته الدائرية المعارضة لحركة الساعة الخطية . وفي البحث عن الذات كان يكتشف معنى الامور ويكتشف ايضا قدراته على المواجهة والتصدي . وبعد أن يكتشف الفلسطيني المهزوم — المنتصر معنى الهزيمة والانتصار ، يحمل وعيه الجديد ويرتد الى الوراء محاولا فهم الماضي . عندها « يعود الفلسطيني الى حيفا » ليكتشف ان استعادة الهوية والارض لا تتم بفعل مجاني ولا تتدرج في دائرة قيم الخير والعدالة بل تنهض في دائرة المواجهة والقتال .

اذا كان الفلسطيني يبحث في حركته عما أضاع ، فان كاتبنا الشهيد كان يرصد حركة البحث هذه في الكتابة ، ويبحث ككتاب عن الاشكال الادبية التي تقول ما يقوله الواقع وما يخفيه الواقع أيضا . لذلك فان كتابات غسان عرفت أشكالا كثيرة . والبحث عن الشكل لا ينم — كما قلنا — في جدران الفكر ومتاهات التأمل ، بل ينم في اطارة علاقة الكاتب بالقارىء ، علاقة المعبل الادبي بدوره في العملية الثورية . وبهذا المعنى ، لا تصبح الممارسة الادبية ممارسة معزولة ومتعالية تتبع منطقها الخاص ، بل تصبح جزءا من ممارسات أخرى أكثر اتساعا وتعقدا . وبسبب ارتباط هذه الممارسة بممارسات أخرى فاننا لا نستطيع ان نفهم أعمال غسان الا اذا نظرنا اليها في وحدتها المعقدة والتي تتداخل فيها الممارسة الادبية بالممارسة السياسية والممارسة الوطنية . واذا أردنا الوضوح نستطيع أن نقول : ان ممارسات غسان هي ممارسة واحدة وهي في وحدتها تتحدد كممارسة ثورية .

لكننا نعلم ان الممارسة هي سيرورة ، حركة نمو مستمرة ، تدفع العمل والنظر باستمرار من مستوى آخر أكثر ارتقاء ، أي أنها تترك باستمرار اثرها على الوعي النظري لدى الكاتب ، او تحدد ما يسمى بوعي العالم لديه . وهذا الوعي لا يحدد مفهومه للعالم فحسب بل يفعل بالضرورة في معنى الادب لديه ، في دلالة الشكل ، وفي شكل الاسلوب ، وفي المادة الكتابية التي يحاول انتاجها . انطلاقا من هنا نكتشف تنوع الشكل لدى غسان : الواقعية المقاتلة في « أم سعد » تيار الوعي في « ما تبقى لكم » ، « الواقعية الرمزية » في « رجال تحت الشمس » ، الرواية التاريخية في « العاشق » .....

ان هذا التنوع في الشكل الادبي يشير الى الوحدة العضوية القائمة في حركة الشعب الفلسطيني وفي شكل التطور الادبي لدى غسان ، وبسبب هذا التداخل بين الحركة التاريخية وحركة الكتابة نستطيع أن نقول : **ان اعمال غسان ستدخل في تاريخ شعبنا كعمل فني وكشهاده تاريخية وكرمز لتوحد الكاتب والقضيه .**

وعندما نرجع اليوم الى غسان ، ونستعيد ذكراه ، فاننا لا نقرأ فيه مستوى واحدا ، بل نقرأ فيه من جديد كل الدلالات القائمة في أعمال . نقرأ نموذجا للاديب الفلسطيني المبدع . ونقرأ فيه أيضا تاريخ شعبنا في أوهامه وحقائقه ، في هزائمه وانكساراته ، ونرى في السطور بوضوح مصدر النصر واصول الهزيمة . ليس هذا فقط ، فهناك في غسان درسا او دروس لممارسي الكتابة : **ان صدق غسان وارتباطه الحقيقي بالشعب لا بالمكاتب يهتك ركام زائف الكتابات الراهن ، الذي يكتب عن النضال وهو صاغر في أعتاب المكاتب حاجبا وسادنا** ، ويكتب عن الشعب دون أن يقربه في حياته اليومية ، ويكتب عن « الرجال والبنادق » وهو ضائع في حساباته اليومية الوضيعة . ان رفع شعار الكلمة المناضلة لا يستوي الا عندما يكون كاتبها مناضلا ومقاتلا عن كل القيم الوطنية والديمقراطية .

..... واخيرا ، يبقى غسان شاهد ، او شهيدا ، ورمزا لتكامل الفعل والقول ، ونموذجا رائدا للاديب المرتبط بقضية الشعب ، ويبقى أيضا منارة ساطعة تفضح وهم المساومات السياسية وانحطاط الكلمة .

Digitized by Birzeit University Library

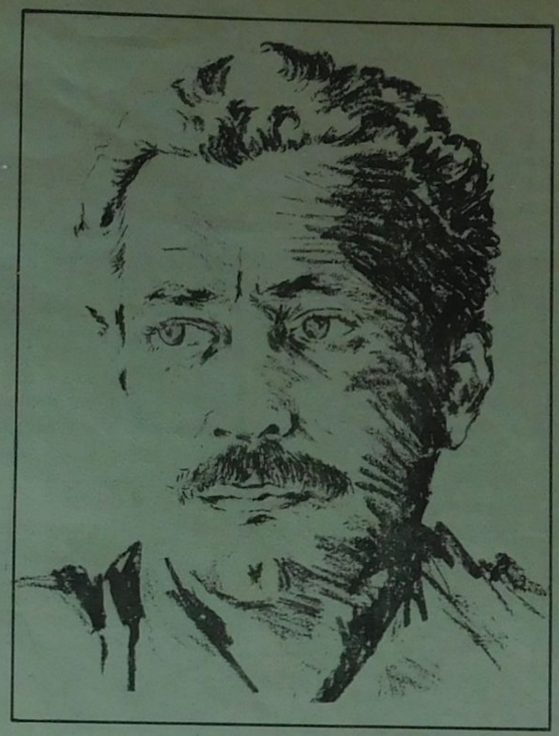

من الموت العدني إلى الموت الفلسطيني

حيدر حيدر

استهلال :

الليلة يتناثر الجسد نيزكا لامعا كالرمح ، وفي اعماق الارض يتلاشى . وفي الفجر تضيء سماء الله الارض بهذا الطيف الارجواني : الدم .

من كل جهات الارض يتالف هذا الجسد — الضوء بكل ابهته ، محمولا فوق الصخور والشجر والمعدن البارد ، هابطا من القمم البعيدة ومنبثقا من جوف الارض : بروميثيوس — النار .

هوذا الزمن الفلسطيني ، وحده الآن يضيء ليالي العرب الكالحة والغارقة في حدادها . الزمن الشبيه بنجمة بعيدة في سماء معتمة . انه يقدم شيئا واحدا في لحظة التيه والحصار : الضوء الدموي الذي يهدينا .

والعرب اليوم من محيط الشمس الى خليجها بلا هداية . فقدوا البوصلة والجسد الناهض وفورة الدم .

انهم الآن ساقطون فوق الرمال ، في العراءات ، وفي ساحات الاعدام العربية ، وتحت الايقاع الوحشي لقنابل مياحيم بيغن .

انه زمن العدو . عدو الداخل وعدو الخارج ، وبين الطلقتين نشهق .

بل هو الموت ، سيد اللحظة الراهنة ، يخيم فوقنا ويدخل فينا . يفتتنا ويحولنا الى رماد . يعيدنا الى الارض — الطبيعة: اصلنا الاول .

نموت الآن ، عربا ، في غمرة هذا المهرجان الوحشي للجنرالات والخيانة وسطوة العصر العبري لان زمننا ، نحن الشعب ، غائب عن رحم الضباب والرمل .

نموت بصمت وبلا صرخة .

الجسد الفلسطيني وهو يمزق ، وحده الذي يصرخ .

هل ترانا لا نستحق غير الموت ، الليلة ؟!

ام ان الجنرالات والخونة والعبريون هم الاقوى في هذا الزمن الاعمى ؟

في هذا العصر الملحمي نحن الشهود والشهداء . الشهود بصمت كصمت الفولاذ لان الرعب استوطن تلافيف الدماغ وسرى مع بلازما الدم . والشهداء لان الوقت ليس وقتنا . وقت الوحوش التي افلتت من اقفاصها .

الحصار . الارهاب . الاغتيال . الموت تحت التعذيب . موت في الشوارع . موت في الساحات . موت في الزنازين . موت في المنازل .

القتل . القتل . صنوف الاسلحة كافة تستخدم الآن لتمزيق الجسد ورميه الى المزابل . لقد هان الموت والاغتيال في عصر الهستيريا العسكرية . عصر القوة الوحشيه التي قتلت الآلهه وتربعت على عروشها .

لقد اقبل عصر ملوك الطوائف وملايين الاسلحة المكدسة في مستودعات الجنرالات العرب تستدير عن الجسد العبري لتوجه الى الجسد العربي .

وحده السلاح الفلسطيني يعرف طريقه الى العدو .

وحده الجسد الفلسطيني يضيء تحت حراب عدو الخارج والداخل بهذا التالق التراجيدي الجميل .

انه يستشهد واقفا ، ووحده استشهاده هو نصره .

ان العرب لا ينتصرون الليلة .

انهم ينتحرون .

لماذا هذا العرس الفجائي فينا بينما تتالق بالنصر نيران الاعداء من حيفا الى هضاب الجولان ؟

ماذا نسمي هذا الوقت بغير اسمه الحقيقي : العار !

وهل هناك من امل لمن يحيا في قلب هذا الجحيم العربي ؟

وهل ينبغي ، ان كنا صادقين ، ان نشعر بنبضة تفاؤل تحت غمرة هذا الاجتياح البربري — اللاعقلاني ، المنفلت من عقاله على سطح الارض العربية ؟

كيف نستطيع ان نتابع حياتنا اليومية وقد وضعنا بين حالتين ثابتتين : الرعب او القتل ؟

نحن الآن تحت سطوة آلهة مزيفة تحكم الارض العربية ، آلهة من نوع كاليغولا او نيرون . آلهة منحطة لا تحلم بغير الموت والشهوة والدم بينما الاعداء الخارجيون يدقون ابواب العواصم .

البلة ، وكل ليلة ، وفي جميع الاوقات ، دماؤنا مهدورة ، لا نعرف متى ولا بأي ارض نموت . لكننا نعرف ان الموت غدرا ينتظرنا هناك .

موت احتفالي :

في البدء كان غسان كنفاني ، وبدؤه هو الفلسطيني ، وهو الذي افتتح طريق الدم قبلنا ، ونحن نقتفي اليوم دمه ونسير اليه .

كان الجسد — الدم ، وكان بروميثيوس — المعرفة .

بالمعرفة اضاء وبالجسد ايضا ، من اجل ذلك كان منارة .

وعندما نتحدث عنه نحن الاحياء ، الموتى المؤجلين ، تنتابنا الرعشة والجلال معا .

وفي زمنه الفلسطيني والعربي ، في حياته وموته ، كان قامة لا تطال ، وكان اخضر ابدا كشجر برتقال يافا .

جاءني خبر موته غيله وانا في الجزائر ، فارتعشت . طائر ابيض ، جارح ، هوى مقتسلا بدمائه ، في قلبي .

لم اره في حياتي ، لكنني كنت اقرا كل كلمة كتبها ويكتبها ، وفي روايته « رجال في الشمس » و « ما تبقى لكم » تعارفنا تعارف الارض للمطر .

عنصر غريب في قصصه ، يفارق كل ما كتب عنه فيما بعد ، هو الذي اقلقني وهزني : الموت .

الموت في سياقه الملحمي والماساوي ، بعيدا عن جوهره الوجودي والعبثي . الموت في سياق الضرورة لا الصدفة .

ان التركيز على عنصر الموت في مجمل اعماله الادبية ، يتجلى كعنصر ايجابي بما هو مضاد لذاته . اي مضاد للفناء والغياب . انه يتجلى كقيامة .

ان موت شخصيات « رجال في الشمس » ، لا يشير فقط الى غياب الفلسطيني قبل انبثاق المقاومة بقدر ما يشير الى ضرورة موت الانتهازية والخديعة والعجز والجوع والاتكالية .

وفي « ما تبقى لكم » يتجه موت الضرورة الى الخيانة والهرب من المسؤولية .

يأخذ الخط البياني لمسار الموت لدى غسان اتجاه الداخل — العدو اي العناصر الميتة واليابسة في الشجرة الفلسطينية .

ففي الجسد الفلسطيني والنفس ، ثمة خلايا لا تصلح للحياة ، لاستمرارية الحياة ، ولكي ينبض هذا الجسد وتتوهج تلك النفس بكل القها لا بد من بتر تلك الخلايا الفاسدة .

ان مجابهة العدو — الخارجي ، والصدام معه في معركة البقاء او الموت ، الشرسة والحادة ، تحتاجان تطهيرا داخليا .

هكذا يأتي الموت التطهيري ولادة وخروجا من الذات القديمة والذاكرة القديمة، المصابتين بالعجز واليأس والانتهازية والخدمية والخيانة ، الى الذات الجديدة والذاكرة الجديدة ، اللتين ستواجهان الزمن التراجيدي للموت — الولادة .

نلمح ذلك في « ما تبقى لكم » عندما تطعن مريم زوجها الخائن والراغب في اجهاضها ، في حين تظل المواجهه بين حامد وعدوه الاسرائيلي ، معلقة .

اننا نعرف ، كاستنتاج رمزي ، ان الصراع بين حامد وبين عدوه مؤجل الى ما بعد موت زكريا الفلسطيني — الخائن الذي سلم صديقه سالم للعدو .

تكشف دلالة العطب الداخلي في النفس وضرورة القضاء على هذا العطب اولا ، عن المدى المعرفي — السياسي ، المذهل لدى غسان الاديب . ان هذه الاطروحة الحساسة لا تلقى صداها الاحتفالي في اعماق ممثلي النزعة التفاؤلية التي تحتفي بطيبة الشعب وبرأءته ونقائه شبه المطلق .

لكن الاديب الحقيقي لا ياخذ شهادة براءة او صك غفران الا من قناعاته ورؤياه التي تتجاوز التفاؤل والايجابي ، والتي تتجه كسكين الجراح نحو الدمل في الجسد العليل .

حياتنا ، علاقاتنا ، ميراثنا ، التكوين النفسي الداخلي ، مراكمة بالاسود والسلبي والقاتل والعجز والكبت .

والى ان نخرج الى الشمس ، يبقى جدران الخزانات التي تشوى داخلها ، لا بد ان يموت ذلك العجز الذي يشلنا .

اذ ذاك نقوم . وبعدها نواجه موتا آخر . الموت الملحمي — الخارجي مع العدو .

هكذا في عصر التراجيديا الفلسطينية — العربية ، لم يكتشف غسان كنفاني الموت في الكتابه فحسب ، انما اكتشف موته هو . ان عرسه الدموي المجيد يذكرنا بلوركا وهو يهوي فوق تراب غرناطة اغتيالا . وبين غسان ولوركا مسافة دم نصلها نحن الذين ننتظر وما بد لنا طريق الدم ولن .

■

Digitized by Birzeit University Library

قراءة في

الطريق الى الخيمة الاخرى

خيري منصور

اكان ينبغي له ان يموت كي التقيه هنا ؟ ويلتقوه هناك .. وان يكون للموت هذه الخصوصية وهذا المذاق في الحبر وفي الكلمات .. كان عد تجاوز السادسه والثلاثين .. وهو عمر قليل لكاتب وقليل جدا لكاتب ذي قضيه ، وكان قد انجز كتبا ومقالات على امتداد خمسة عشر سنة ، لا اذكر ان دراسه جادة واحدة قد نبهت القراء اليه .. الى رواياته وقصصه .. او جعلته يعترف اثناء حياته انه افاد منها .. ولهذه المساله مغزاها .. خصوصا وان الكاتب كما سبق القول ذو قضيه .. وذو صوت سياسي كان يطغى على صوت الروائي والقاص والدارس ايضا .

هل لانه كان حيا .. ؟ لمجرد انه كان حيا ، والموت يلغي الخصومه والتنافس ويصالح بين الناقد الحي والمبدع الميت ؟ ربما .. كانت هذه معادلة عربية خالصه وربما كان صحيحا ما قاله احد النقاد الغربيين .. « اتمنى ان اعيش كواحد من ابناء جنسي . وان اموت كعربي » لانه سيحظى عندئذ بكل المراثي وستسدد له ديون ما حلم بتسديدها حيا .

لماذا ، يقول واحد من اهم واشهر كتاب القصة العرب انه لم يشعر بالفخر لكونه « قاصا » الا حين سمع النبأ .. ــ قتل غسان ــ بالرغم من انه لم يقرا له قصة واحدة في حياته ؟

لماذا .. مرة اخرى ، ومن اين تنهل هذه العصمه على الموتى ، تنهال عليهم الكتابات التي لن يتاح لهم ان يفيدوا منها لانهم ليسوا هنا . بينما كان على النقد ان يضيئهم احياء وان يقرظهم ان كانوا جديرين .. احياء ايضا .

لكن هذه العادات التي نشات وتتوغل في ضميرنا النقدي لها اسباب اخرى .

يتقدم الناقد الى اعمال الكاتب الميت .. خصوصا اذا كان للموت هذا المذاق .. يتقدم مثقلا بالشعور بالاثم وبضمير شتى انه يريد ان يقول ما لم يقله قبل المناسبة دفعة واحدة بسبب القمع او بسبب الغياب اصلا ، وهكذا يكون اكثر عرضة للسقوط في ما سنسميه (الافتعال السياسي) اثناء مناقشة اعمال لها جنس وبنى وادوات وطرائق قول .. ومستوى يحتاج الى ابانه وتقويم وتعيين موقع هل صحيح ان كل فلسطيني ــ كاتبا ومواطنا ــ تهمته الاولى انه يحيا ــ وبعبارة شاعر فلسطيني : هل تبطل التهمة ويثبت الفلسطيني براءته في الموت ؟

هذا شرط اقسى من اي شرط آخر يحز جسد الفلسطيني وروحه ، لو تراجع هذا الشرط قليلا .. للاحياء وللموتى على السواء . لتعرف على الاقل ما اذا كان هناك ادب كتبه احياء من المتهمين .. ما اذا كان هذا الادب حقيقي يعبر عن قضية عادلة ويحتج لها .. كيف احتج وكيف عبر وهل استطاع ان ينتزع شرفه الخاص كادب بدلا من تغذيه على شرف القضية نفسها ؟؟

في كل مره اقرا فيها شيئا عن غسان كنفاني تعود هذه الاسئلة وغيرها .. اكثر حدة ، واهمس ، معذرة حين ارى صورته الوسيمة تزين اغلفة وبيوتا ايضا ، لم تعد تغار من الميت .. والموت يصفي الحسابات .. يؤاخي ويصالح بين الناقد الحي والمبدع الميت .. وينتزع الخصومه من قلوب احياء يستمرئون الحياة .. لان غيرهم قد مات ..

حين اردت ان اكتب هذه المقدمة عن غسان والموت جمعت اشياء كثيرة ، عبارات قيلت على السنة شخوصه او على لسانه هو في لقاءات صحفية ، لكنني لم افطن لواحدة منها وانا اكتب المقدمة ، ذلك لان الكاتب نفسه قد مات موتا يتخطى في نبله وجدواه كل ما حدست به شخوصه .. وحتى هو معذرة للسيده الدكتوره رضوى عاشور مؤلفة كتاب (الطريق الى الخيمة الاخرى) دراسة في اعمال غسان كنفاني .. الذي سنناقشه في الصفحات التالية .. معذره عن هذه المقدمة التي قد لا تخصها ــ من جهه .. وقد تخصها من حيث قدرتها على تجاوز النبرة المنبريه ــ التابينيه .. وتقدير الكتاب الشهداء بالطريقة الوحيده التي تليق بهم .. تمحيص نتاجهم واضاءته .

ــ ب ــ

تمهد الكاتبة بمقدمه توحي للقارىء بانها تحترز من الوقوع في الشرك نفسه : تمجيد اعمال الكاتب من (منطلق ان مكانته كمناضل وكشهيد تجعل لزاما علينا تمجيد كتاباته) ان احترامنا للرجل يجعل من الضروري ان نعطي اعماله حقها كانجازات فنية اساسا هذه العباره الدقيقة من مقدمة الكتاب تطرح فهما آخر مختلفا عن المفاهيم التي سادت وتحكمت في تقييم الادب الثوري ، وبمعنى ادق الادب الذي كتبه ثوار ومناضلون وذوو قضية ، تصح هذه العباره عن غسان ربما اكثر من سواه ، فهو اولا بشر بالثوره وعاين امكاناتها قبل ان تتفجر في الواقع ، وهو ايضا لم يسقط في التفاؤل الساذج لانه عايش التجربه ولامس جوهرها ، عرف السلبيات ورموز الخيبه (اتهم بالقسوه على شعبه) وعرف الايجابيات الجميله ورموز التخطي ، تقول المؤلفة ص ٤٦ :

« كتب غسان قصة كعك على الرصيف عام ١٩٥٩ يقول فيها كان المتف عالما صغيرا عالما من بؤس مكوم لكنه بؤس بطل » بهذا المعنى فان غسان بين استثناءات قليله يتمرد على العناوين التي شاعت في اعقاب هزيمة حزيران من طراز ادب ما قبل الهزيمة .. وادب ما بعد الهزيمة .. الخ .. » ان رجال في الشمس مثلا كتبت قبل العام ١٩٦٧ .. وفي فترة راكده او على الاقل كانت القضية الفلسطينية راكده ادبيا ومهملة بعد ان اضعفها خطباء الادب بعد نكبة ١٩٤٨ الناس بالطنين والكتابة « من الخارج » .. الكتابة الضريبة من اجل فلسطين .. الخ .

هذا التواصل في مسار غسان الادبي، كان من الضروري

ان يجعل الكاتبة ــ منهجيا ــ تبحث في الخلفية التاريخية والتواصل النضالي للشعب الفلسطيني .

في الفصل الاول من الكتاب تتوقف المؤلفة عند ولادتين لغسان كنفاني الولادة الاولى عام ١٩٣٦ في عكا وهي الولادة التي كانت من قبيل المصادفة التي يختارها الانسان لكن هذه المصادفة (تساهم في تشكيل وعي الانسان وخطواته) .

الولادة الاخرى ان صح لنا ان نسميها هكذا كانت في احد مخيمات اللاجئين عندما كان غسان في السابعة عشرة من عمره يعمل مدرسا ليساهم في اعالة اسرته ولاكمال دراسته « وذات يوم كنت احاول ان ارسم هذين الرسمين (تفاحة وموزة) على اللوح .. انتابني شعور بالغربة والغرابة وعدم الانتماء » ص ١٥ فالاولاد في المخيم لم يسبق لهم ان شاهدوا تفاحة او موزة ، لا ادري اذا كان هذا الترتيب .. للحظتي الولادة مقصودا من قبل المؤلفة ام لا .. لكنه ترتيب يعلو على المصادفه وله مغزى، فهي تتحدث اولا عن الشاب ابن السابعه عشرة في المخيم ، وثانيا عن الطفل الذي ولد في عكا ، وبهذا الترتيب يكون الاختيار قد حظي بالاهتمام الاكبر فكانت الولادة في مدرسة المخيم هي الاولى وان كانت من الناحية التاريخيه متاخرة سبعة عشر عاما .

تصدمنا الكاتبة في هذا الفصل بعبارة مكثفة ، موقظة وجارحة في آن واحد ، تقول : « عكا المدينة المنيعة التي لا تخاف البحر في الامثال الشعبية .. عكا التي يرتبط غزوها بالمستحيل عبر التاريخ .. غسان يشهد سقوطها وهو في الثانية عشرة » ، ص ١٨ .

ويكون هذا الفصل من الكتاب ارضية تاريخية لاحداث فلسطين في الفترة التي شهدت ثورة عام ١٩٣٦ والاضراب العظيم .. وهي تعتمد على ما كتبه غسان نفسه عن هذه الفترة (نشر بحث غسان في شؤون فلسطينية .. وفي كراس ايضا) بعنوان ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ في فلسطين ، خلفيات وتفاصيل وتحليل . ولعل دراسة غسان هذه من ادق ما كتب عن هذه الفترة من تاريخ فلسطين » اقتصرت المؤلفة على نتائج وتوصلات كنفاني كما انها اكثرت من الاستشهادات بالدراسات القليلة عن غسان كدراسة فضل النقيب وحوار الياس خوري .. ولو انها قلصت من الاستشهادات بهدف تعميق ظاهره معينة .. او توسعت في هذا الفصل بحيث يكون خلفية تاريخية كاملة ومفصلة تبدأ منها الخيوط التي تتداخل في نسيج الفصول اللاحقة في الفصل الثاني ــ ولادة الاسود الصغير ــ تنتقي المؤلفة قصصا بعينها وتقوم بتحليلها ، تقول ان الذي دفعها الى انتقاء هذه القصص دون غيرها هو تميزها الفني اولا ثم اعتقادها انها تصلح مدخلا طبيا لعالم غسان كنفاني .

وتقدم تلخيصا لقصص (ارض البرتقال الحزين ، الصغير يذهب الى المخيم او زمن الاشتباك ، كعك على الرصيف ، الاحمر والاخضر) وتعتبر هذه الاخيرة .. من اكثر قصص غسان تميزا حيث يقدم معادلا رمزيا لنكبة الشعب الفلسطيني.

ان الكاتبة بانتقائها لهذه القصص تعد القارىء بشيء لا يجده متحققا كلية .. فالقصص المتميزة كما سبق وقالت وانتقتها بهذا المقياس وحده .. يحتل تلخيص هذه القصص وتفسيح احداثها معظم مساحة هذا الفصل من الكتاب .. متميزة فنيا عماذا ؟ وكيف ؟ ربما كان السبب في هذا النقص هو عدم توقف الكاتبة عند قصص اقل تميزا ، كي يتبين لنا اللاتميز في تلك القصص المتروكة ، او على الاقل لكي نتبين تطور الكاتب مشخصا في نقاط او محاور لكلا النوعين من قصصه ، اللاتميز المتروك .. والتميز المبتنى من قبل المؤلفة هل هذا ايضا احتراز آخر .. ورغبة ضمنية في البحث عن الجانب الممتاز من الكاتب ..

النقطة الهامة التي تثيرها الدكتورة رضوى في هذا الفصل هي ان غسان كان احد الرواد القلائل الذين طرحوا القضية الوطنية في بعدها الطبقي ، فلم يعرض في افضل قصصه وغالبيتها مأساة الوطن في المطلق ، بل قدمها كمأساة الفقراء من اهله اكثر من غيرهم ص ٥٦ .

هذا الوعي رافق غسان منذ البدايه .. وفي قصة المنزلق عام ١٩٦١ حيث يروي الطفل حكاية عن ابيه باشكال مختلفة ــ لكنها تظل واحدة من حيث مغزاها :

« كان يدق نعلا لحذاء عتيق ولقد دق يومها كثيرا من المسامير في ذلك النعل كي يجعله متينا تماما وحين انتهى من ذلك وجد انه دق اصابعه بين الحذاء والسندان .. تصور .. ولقد رفض المارة ان يساعدوه وبقي ملصوقا هناك الى ان مات » ص ٤٩ .

لقد ادعى الاستاذ انه يعرف الرجل ــ والد التلميذ ــ وكان يكذب ولا يكذب .. يكذب لانه لا يعرف ابا التلميذ بالذات، ولا يكذب لانه يعرف آباء وامهات هم صور لاب التلميذ فالاستاذ والطفل تجربتهما مشتركة ، انها تجربه البؤس والفقر والوعي الحاد بها .

ان هذه النقطة بالتحديد لا توفى حقها تماما من البحث وان كانت في صميم وعي الكاتبة كما يتبين لنا من فصول الكتاب ، ان دور غسان في اثارة هذا البعد للقضية الوطنيه ، لم يكن رائدا فحسب .. لقد كان مجازفا حاول اختراق كثافة من المفاهيم المثالية السائدة .

الرحلة ، هو عنوان الفصل الثالث من الكتاب ، وقد خصصته المؤلفة لروايتي غسان رجال في الشمس ، ما تبقى لكم تذكرنا قراءة الدكتورة رضوى لرجال في الشمس بالحوار الذي دار ذات يوم بين غسان والدكتور احسان عباس بعد صدور هذه الروايه نقل الدكتور عباس الحوار في مقدمته للمجلد الاول من اعمال غسان الكامله يقول :

« قلت له ــ لغسان ــ ان كنت اردتها ذات بعد رمزي فما اظنها استطاعت ان تحقق ذلك ، فنظر الي في شيء من التردد .. وقال : ان صح قولك وكانت قد عجزت عن نقل هذه الناحيه ــ البعد الرمزي ــ فاني اعد نفسي مخفقا » .

والسؤال الذي يستعاد ونحن بصدد قراءة اخرى .. لرجال في الشمس هو هل كانت هذه الرواية حقا ذات مبنى رمزي ؟ الدكتورة رضوى لم تناقش هذه المسالة ونجد انها قد

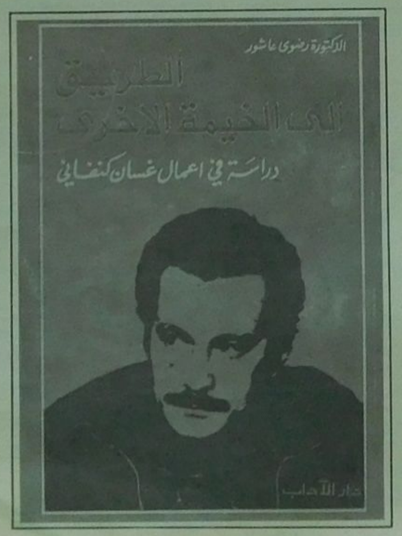

Digitized by Birzeit University Library

سلمت بما تالـه النقاد وهي تعني (فضل النقيب) وتتبنى تفسيره لما يرمز اليه (ابو الخيزران) (الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨ . وعجزه الجنسي هو ايضا تكثيف للرمز نفسه .. القيادة العاجزة المدعية) .

لنعد الى قراءة المؤلفة لهذه الرواية ، يمكننا ان نلتقط ثلاث نقاط اساسية مهمة :

١ ــ ان ظهور الشخصيات الثانوية بشكل عابر ودال هو احدى وسائل الكاتب الفنية التي يعاود استخدامها في العديد من اعماله ، والتي يحاول من خلالها تقديم صورة دالة للامة وليست صورة لافراد .

٢ ــ حلم الشخصيات المهاجـرة الى الكويت ، حلم بالخلاص الفردي ، لهذا فهو محكوم بالفشل (وهذه النقطة تثبتق بالضرورة عن النقطة الاولى) .

٣ ــ لا يقـدم غسان في « رجال في الشمس » صورة الجحيم الفلسطيني فقط ، ولكنه يطلق ايضا صرخة احتجاج ورفض للجل المطروح في الخمسينات ــ زمن الرواية ــ ان صرخة الاحتجاج تبلغ اوج توترهـا في سؤال ابي الخيزران لنفسه : لماذا لم تدقوا الخزان ؟!

وتكون هذه الصرخة هي آخر كلمات الرواية التي تحمل رسالـه كاتبها .

ان تسليم المؤلفة بالتفاسير النقدية السابقة (فضل النقيب) بوجه خاص واعتبارها صرخة السؤال الذي وجهه ابو الخيزران الى نفسه هو نفس سؤال الكاتب وصرختـه (رسالته) ان هذا الاستنتاج يقفز عن تناقض ، كيف ؟

اذا كان ابو الخيزران هو رمز القيادة العنينة في حرب ١٩٤٨ وهو الذي تسبب في موت الرجال تحت الشمس فلم لا يكون سؤاله .. تخلصا مـن تبكيت الضمير وبحثا عـن مبرر .. انهم لم يدقوا الخزان ، لذلك ماتوا وهو لم يمنعهم من هذا الفعل لكانه يقول لنفسه (لم اكن معهم داخل الصهريج) ومنعتهم من ذلك .. او « السبب الوحيد في موتهم هو عـدم الدق على الخزان ــ لهذا هم وحدهم يتحملون النتيجة ، لانهم لو دقوا الخزان لنجوا » .

اذا سلمنا بأن « رجال في الشمس » ذات مبنى رمزي فان اعادة النظر في رموزها ودلالاتها تصبح لازمة وضرورية لدى كل قراءة جديدة لها .. وسيكون مغزى الرواية الكبير والنهائي محكوما باعادة القراءة .. ومحكوما ببحث الدلالات والرمز والمرموز اليه .. الخ » .

الجزء الثاني مـن « الرحلة » هو قراءة جديده ايضا لرواية ما تبقى لكم ، هذه الرواية التي اثارت انتباها نقديا اكثر من اي عمل آخر كتبه غسان ، وشاع راي مفاده ان غسان في هذه الرواية قد تاثر حد التقليد بـ (فولكز) فما الذي تضيفه الدكتورة رضوى لما قيل عن هذه الرواية ؟

انها اولا تؤكد صحة ما قيل عن تاثر غسان بـ (فولكز) واعجابه الشديد به (اكد ذلك غسان نفسه في آخر حديث اذاعي معه) لا تناقش اوجه التقارب والتشابه بين « ما تبقى لكم » والصخب والعنف ــ الفصل الثاني منها بالتحديد ــ الذي يقدم تيار شعور كونتين ، لكنها تناقش اوجه الاختلاف ، وهذا اجدى بالتاكيد او هذه هي الاضافة الحقيقية لهذه القراءة .

تتحدد نقاط الاختلاف وهي جوهرية بين الروايتين عبر ثلاثة محاور :

١ ــ الزمن : الساعة التي تدق في الفصل الثاني من رواية فولكز تقول بالعدم واللاوجودي ، انها حركـة الزمن الاصم ، بينما الساعة ــ النعش ــ في « ما تبقى لكم » لا توحي اطلاقا بالزمن كحركة عابثة ، اي لا تقول بالعدم ، واللاجدوى الذي ينسرب الى وعي كونيتين المؤشك على الانتحار من يأسه في الصخب والعنف أن غسان يتناول مادته مـن الرواية السياسية اساسا والساعة عنده ترتبط الى السيطرة الخانقة بالماضي ساعة فولكز (مقبرة لكل الآمال) بينما ساعة غسان مقبرة العجز الناتج عن الارتباط بماض مهزوم وجريح ــ حين يكسر كونينتين ساعتـه في الصخب والعنف فانه يؤكـد ما يعتقده بالرمز .

حين يلقي حامد ساعته في الصحراء في « ما تبقى لكم » فانه يلتي بقيود الماضي الذي يؤكد عجزه .

٢ ــ الشخصيات : هناك فارق : اساسي بين شخصيات اسرة كومبسون وبين (حامد ومريم) .. الاسرة الامريكيـة تنتمي الى عالم ينهار والاخوان الفلسطينيان صاعدان رغم العجز والاحباط ..

ويكون اخيرا ان تتوصل الكاتبة الى ان (كوينتين) في الصخب والعنف هو نقيض حامد في ما تبقى لكم .

توفق الدكتوره رضوى كثيرا وهي تبحث في منشا تيار الشعور كاسلوب فني ومدى نجاح الكاتب في استخدام هذا الاسلوب في رواياته ــ تبعا للموقف والمنطلقات الاساسية للعمل الروائي ــ لهذا فهي تجد ان غسان باستخدامه هذا الاسلوب فيما بعد .. في عملين لم يكتملا بسبب استشهاده هما الاعمى والاطرش ، العاشق ، في الاعمى والاطرش العزله مفروضة على الشخصية ، وفي العاشق شخصية انسان متفرد ومستوحـد ــ شارك في الحركات النضاليـة طوال الثلاثينات حيث يناسب تيار الشعور هذه الحالات بالتحديد وربما كان هو الافضل للتعبير عنها .

في العشق القديم الجديد ، تعود بنا المؤلفه مرة اخرى الى الحس الجماعي لدى الكاتب ، ففي العروس ــ قصة نشرت عام ١٩٦٥ نموذج مكثف يجسد العام الفلسطيني من خلال الخاص ويزاوج بين رحلة الرجل الفلسطيني بحثا عن بلدتيته وبين مجهودات اهل قريته حيث الرجل يجسد ايضا آلافا غيره ، واهل القريـه يجسدون اهالي مئـات القرى الفلسطينية .

تبدي الكاتبة حماسا تجاه هذه القصة لا نجد مثل حدته في اي موتع آخر من الكتاب ، انها تقدم تلخيصا للقصة وهي تشعر بالاسى ، لانها قصـــة تقرا بكليتها ولا تلخص الا اذا جازفنا بتعريضها للتشويه ، كانت هذه القصة هي الاثيرة لدى غسان نفسه وكان كتبها عام ١٩٦٥ اي في العام الذي تفجرت فيه الثوره .

الشيء المهم الذي يستوقف القارىء هنا ، هو نقطـة التحول التي تكشف عنها الكاتبه .. تحول هام في علاقة غسان بالماضي ، ففي غالبية قصصه السابقة كان الماضي مدمرا مقيدا ومبئسا ، نذكر القارىء برمز الساعة في « ما تبقى لكم » على سبيل المثال ــ اما في هذه القصة فله علاقة صحية .. بناءه بالحاضر والمستقبل (ان الراوي لا يبحث عن ماضي الرجل الا ليعرف حاضره) وتتطور هذه الرؤية الجديدة للتاريخ ــ للماضي وعلاقته بالحاضر والمستقبل ــ في مجموعة (عـن الرجال والبنادق) الصادرة عام ١٩٦٨ ، وهنا ايضا يجدر بنا ان نتوقف عند عدة ملاحظات :

● تواصل المؤلفـة تقصياتها عـن تغير رؤية الكاتب للماضي حيث يصبـح وصل الحاضر بجذوره احدى المهـام الاساسية للكاتب ، بمعنى ثان تبلور رؤية غسان التاريخية .

● تكشف ايضا عن مساله مهمة هي الكيان الروائي الذي يشكله الجزء الاول من (عن الرجال والبنادق) فهـذا القسم رواية قائمة بذاتها .

● مجهودها في التعامل مع الرمز ــ رمز المفتاح ــ الفاس على سبيل المثال ..

● موقف غسان من المثقفين ، وهـذه الملاحظه الاخيرة تستحق في راينا التوقف عندها لمناقشتها ، لانها عـدا عن كونها من صميم رؤية الكاتب التاريخية ووعيه بحقيقة تاريـخ نضال شعبه .. فهي ايضا تتعلق بموقف المثقف الثـوري في العالم الثالث ــ تضع المؤلفة غسان في صف واحد مع مثقفي العالم الثالث ــ واخيرا تتعلق برؤية الكاتبة نفسها ــ باعتبارها مثقفة ــ لدورها .. الخ ..

صحيح ، انّ الكادحين ، والفلاحين بوجه خاص حملوا مهمة مقاومة الغزو البريطاني ، وكان غسان امينا لهذه الحقيقة التاريخية فجعل ابطاله في القسم الاول من (الرجال والبنادق) من الفلاحين ..

ففي مواجهة منصور وابيه وخاله يقف قاسم اخوه الذي تعلم الطب في الجامعة الاميركية ببيروت وفي الوقت الذي كان منصور يتجه الى صفد للاشتراك في القتال يرش حفنـة من الزعتر الجاف في نصف رغيف ... »

في نفس هذا الوقت كان قاسم المثقف يتناول الشاي مع صديقته ايفا ، وبينما كان منصور يرش الزعتر الجاف .. كان قاسم يفرش شريحة من الخبز المحمص بالزبده .. الخ .

منصور الفلاح ، والدكتور قاسم المثقف الطبيب نمطان متناقضان تماما احدهما ريفي اصيل والاخر غربي وافد .. »

حسنا ، اذا كان كافيا ان غسان وفي الحقيقة التاريخية في تصوير هذا الاختلاف ــ التضاد بين منصور واخيه . فاننا سنرى الدكتورة رضوى تعلن في مكان آخر من الكتـاب ان الامانة للحقيقة التاريخية لا تكفي ، بالتحديد في الفصل الذي تناقش فيه رؤية الكاتب للمراة .. ووقوعه في نفس المنظور اللا ثوري الذي يرى في المراة اما للثائر او اختا .. لكنها ليست حاضرة لذاتها وبذاتها .. وارجو ان لا يفهم من هذا الاعتراض اننا نختلف مع ما تقوله الكاتبة عن رؤية غسان للمراة في ام سعد » على العكس من ذلك سنتوقف عند هذه النقطة فيما بعد ، باعتبارها من اهم الالتقاطات الذكية والواعية خصوصا وان الكاتبة امراة تعي شروطها وتحاورها ..

الذي نود قوله باختصار عن موقف غسان من المثقفين في مرحلة معينة .. هو ان حياته هو شخصيا طرحت الجانب الآخر من المسالة .. لا بوصفه مثقفا تجاوز نفسه .. ولكن لتعرض حياته الى نماذج اخرى تقع في الطـرف المقـابل من الدكتور قاسم ، ومن جهة اخرى فان ايفا الرواية ستاخذ فيما بعد ــ في الحياة الشخصية ــ شكلا مختلفا .. ولا اريـد الاسهاب في هذه المسالة بقدر ما اردت الاشارة ،

بعد هزيمة حزيران وبالتحديد عام ٦٩ اي بعد بروز حركـة المقاومة حين كانت ام سعد المراة الفلسطينية تعد وتودع سعدا وسعيدا وغيرهما .. كانت الرواية قد جاءت تتويجا فنيا ــ مصعدا ــ لواقع عارم ،

لهذا لن نتوقف طويلا عندما تقوله لنا المؤلفة عن عائد الى حيفا فهي برايها ــ وان كانت مادتها خصبة وغنية لكن الكاتب لم يعطها الجهد الكافي لاستغلال معطياتها الفنية وهي على النقيض من معظم كتابات غسان في الرواية والقصة ــ تجنح الى نقل الواقع بشكل ذهني لا يصل الى التنـاول الوجداني ويقدم لنا الشخصيات كادوات للحدث ــ .

بينما تجد في رواية ام سعد مجالا ارحب لابداء ملاحظاتها عن بناء الرواية .. صلتها بالمرحلة .. الخ .. وتتوصل الى ان (ام سعد) تنتمي الى الادب القومي الذي يضطلع بتقديم صورة الذات القومية في مرحلة معينة من تاريخها ، وتجد ايضا في هذه الرواية (سمات) الرواية الاشتراكية متمثلة في الانحياز للانسان الكادح وتصوير ميلاد الغد من رحم اليوم والتفاؤل (العميق) والتعليمية ، اعترف غسان نفسه انه كتب هـذه الرواية كمقابل سهل وميسور لـ (ما تبقى لكم) فالرواية حقا سهلة وبمقدور اقل القراء ثقافة ان يتواصل معها ، وهذه الرواية وان كانت تتمتع بسمعة نقدية افضل بكثير من « عائد الى حيفا » الا ان المؤلفة تتحفظ على ما يبدو في ابداء راي مباشر في رواية كتبت للجميع دون استثناء ولا تناقش (حجم) التنازلات الفنية من اجل تحقيق هدف خارج الرواية في مرحلة معينة .

الملاحظة التي سبقت الاشارة اليها ، ونحن بصدد مناقشة (غسان والمثقفون) نعود اليها هنا ، فالمؤلفة تلفت انظارنا الى مسالة لا اظن ان كثيرا ــ او قليلا ــ من القراء والنقاد عـلى السواء قد تنبه اليها .. هي المراة وكيف نظر اليها غسـان كنفاني في ادبه ؟

تقول ، ان صور المراة قليلة للغاية في ادب غسان وتلتمس له عذرا في أن معارفه من الرجال اكثر ومن الطبيعي ان يكتب عما يعرف .

تفترض المؤلفة ان الابن الثاني لأم سعد وهو (الشبل) بنتا ، وتسالنا : ما الذي كان سيفعله الكاتب عندئذ ؟

كيف كان سيقدمها وتقول ايضا : ان هذه الابنة (المتخيلة) لأم سعد كانت ستطرح على المؤلف مشاكل فنية عديدة ــ وهو لم يتحاش وجودها لهذا السبب ، بل الارجح ان الفكـرة لم تخطر بباله اصلا .

هذه ملاحظة ..

والملاحظة الاخرى .. هي عن أم سعد نفسها الكاتبة كامراة تعاني من الشروط ما لا حد له في عالمنا المتخلف لا يفوتها ان تتساءل : كيف ينظر الثوري العربي للمراة تقول :

« ان ام سعد رغم ثوريتها تظل صـورة للمـراة الام وعطاؤها العظيم يعطيها مكانتها كأم ثورية اكثر منها كثورية ، تقول أم سعد في الرواية :

« لولا مسؤولية تربية اطفالها للحقت بالفدائيين لـكي تطبخ لهم وتخدمهم ، اذن يظل دورها حتى في الثورة هو دور المساعد ، لا دور الفاعل الاساسي ، ان هذه الملاحظة التي قد تبدو عابرة للبعض .. هي في غاية الاهمية لاننا سنجد انفسنا موافقين على النتيجة التي تتوصل اليها المؤلفة حين تقـول بعبارتها هي عن الثورة (تظل ذات توجه ذكوري) .

في الفصل الاخير ما قبل الخاتمة ــ او هو بمثابة خاتمة ــ تتوقف الدكتورة عاشور عند مسرح غسان كنفاني ، هذا الجانب شبه المجهول من نشاط غسان الابداعي ، فهو من حيث الكم لم ينشر الا مسرحية واحدة هي (الباب) وان كانت السيدة آني زوجته تشير في كتابها عنه الى ثلاث مسرحيات غير منشورة ، والغريب أن هاجس التمرد المتيافيزيقي لم يكن من بين الشواغل الاكثر الحاحا على غسان الا أن هذا التمرد

Digitized by Birzeit University Library

كان يظهر احيانا في شكل لحظة احتجاج او ضيق تنفلت من هذه الشخصية أو تلك ص ١٤٩ لكن مسرحية الباب مرصودة كلها لهذا الهاجس ، تقول عنها الدكتورة رضوى :

« لعل ضعفها كعمل فني يرجع الى غياب فلسطين عنه وربما كان تعرض غسان لموضوع التمرد المتيافيزيقي خارج السياق الاجتماعي والسياسي لهذا التمرد هو ما يدفع الكاتبة الى توكيد ضعف المسرحية فنيا ، نفهم من قولها أن فلسطين قدر غسان في الحياة والموت .. كانت ايضا قدره الفني بقدر ما يبتعد عنها يضعف فنه والعكس صحيح ..

في الفصل الاخير تناقش الرواية التي لم تكتمل والتي استشهد غسان قبل انجازها (الاعمى والاطرش) الرواية التي وفق الكاتب فيها باستخدامه تيار الشعور كما رأينا في مناقشتها لـ (ما تبقى لكم) حيث العزلة في هذه الرواية يناسب التعبير عنها مثل هذا الاسلوب ، وهي تقدم تلخيصا وافيا للرواية وتتوصل الى اعتبارها — رغم عدم اكتمالها — رسالة فلسطينية تتجاوز خصوصيتها لتعبر عن كل المعذبين في الارض ، انها تعيدنا الى ما قاله غسان نفسه في حوار أجري معه ص ٢٨ .

« في البداية كنت اكتب عن فلسطين كقضية قائمة بذاتها عن الاطفال الفلسطينيين .. عن الانسان الفلسطيني عن آمال الفلسطينيين بحد ذاتها كأشياء منفصلة عن عالمنا هذا ، ثم تبين لي اني أصبحت ارى في فلسطين رمزا انسانيا متكاملا » .

هذه قراءة لكتاب الدكتورة رضوى عاشور (الطريق الى الخيمة الاخرى) لا تزعم هذه القراءة انها كانت من التركيز بحيث لم تفوت على نفسها ملاحظة مهمة هنا .. او هناك في متن الكتاب واذا كان لنا أن نسجل كلمة اخيرة عن هذا الكتاب فهو :

● حاول التخلص من هيمنة الشعور بالاثم الذي اشرنا اليه في المقدمة .. الا بمقدار انفعالها — وهو انفعال لا مناص منه — بحياة الرجل واستشهاده .

تبقى هذه الدراسة واحدة من دراسات قليلة تناولت غسان ، وحاولت تكريمه على طريقتها .. وبوسائلها هي اعني (فنيا) بالدرجة الاولى .

■

بعيداً عن جدران الخزان

كيف يمكن احصاء الوضوح ، او كيف يمكن ملامسة الكتابة بالروح ، كيف يمكن التعايش مع الثقافة العربية ، عبر مفرداتها وصيغها وأفكار منتجيها . ليس يأسا وليس انغلاقا دون اليومي والمعتاد ، ولكن من خلال الالمام بتفاصيل اليومي والمعتاد ، حيث الاسماء اياها تكرر حالها ، والمفردات ذات الدلالة الفجة ، تتكرر ايضا وبقسرية — تبق طبلة الاذن — وتلطم العين بنشاز الوقع ، وهكذا امكن الاتكاء الى سدرة التبرير والمساهمة بمعركة المصير .

في ذكرى استشهاد الكاتب غسان كنفاني ، تسمح الكتابة ان نهرول الى الاسئلة ، لا نريد الدخول الى المقارنة وفضح الرتابة اليومية في ثقافة اليوم ، انما لندل على واقع جانس الابداع ، واعطى للكتابة قدرا من التأثير ، ومنح التحريض فيزا المرور عبر تداعيات الواقع المأساوي والبائس ، عربيا على الصعيد الاوسع .

ماذا فعل كنفاني ؟ انه على الاقل دق على جدران الخزان ، وايقظ بوعي حاد الراس الحيرى والمتشككة على واقع موجوع بأسباب القهر والمنفى وعسف الانتماء ، ابطاله في — رجال في الشمس — لم يدقوا على الخزان ، والمهرب المسؤول عن حياتهم ، طرح السؤال بصيغة متعجبة وتنطوي على الشك ، لماذا لم يدقوا على الخزان ، ومنذ ذلك الحين ، وواقع العفوية والقدرية لا يرسم غير المنفذ الى الاختناق . الصيحة الشجاعة ، تلك التي اطلقها الكاتب كنفاني ، والتي جسد عبر استشهاده التجاوب المادي لصداها ، القرع على جدران الخزان ، تحفيز الراس على معاينة وملامسة المأساوي والحزين في الواقع المعروض والمحكوم بالتبرير في اكثر الاحيان .

ان الذي فعله كنفاني عبر التشخيص الحيوي للخوف ، تمثل في السؤال الكبير والمفجع ، لماذا نقبل الاختناق على حدود القهر العربي ، لماذا الاذعان لقوانين الرقاعة وفساد المعرفة ، كيف اختنقت الصرخة التي تصل حبل الحياة السري بالراس ، وكيف انطفأت عبر الخوف العربي المعلب بمسافات القناعة ، أصوات الابطال الثلاثة ، فربحت الصحراء موتهم ولم تقنع جدران الخزان بحياتهم رغم كل المعاناة !

أسئلة تنطوي على الذعر ، وترسم ممرا للخوف ، استطاع الكاتب كنفاني ان ينفذه حفرا في جسد الواقع العربي والفلسطيني على الخصوص .

كان ذلك ارهاصا بقيامة الثورة ، وكان الشعار تكثيفا ماديا للممارسة ، هذه المرة ان تدقوا على جدران الخزان معنى ان تفتحوا الطريق الى هواء الخلاص ، أن تدقوا على جدران الخزان معنى ان ترفضوا الاذعان لقوانين الخنق بهواء الموت .

في ذكرى الكاتب غسان كنفاني ، تحضر حارة الصبحة النظيفة والشريفة للثقافة الملتزمة ، والكاتب الفلسطيني الذي كتب للوطن بمثل تلك الحرارة وذلك الدفق من الوضوح ، هو نفسه المجسد الشجاع لاستمرارية الثورة ، وتحقيق انتصارات كبيرة ضد الاعداء .

فالصحراء والخزان والمهرب والخوف من حرس الحدود كلها مفردات للقهر ، فيما تلامس النقائض ، التمرد ، ورفع الراس ، وعدم اللجوء الى الخزان واقع الحياه الاكثر اشراقا وتواصلا مع الصحو وحياة الانسان .

ان ادب كنفاني الذي وضع الواقع مستفيدا من انفتاح على الحياة العامة للانسان الفلسطيني والماما بتفاصيل الحياة في المنفى ، انما بشكل العنصر الاكثر تكاملا في فهم الادب الفلسطيني في حيزه المحرض والثوري .. وفيما هو ضمن مهمته في كشف الغموض الذي يلبس الحياة الفلسطينية جلباب القدرية والخنوع ، قبل اندماع الثورة في صياغة القدر الجديد ، متمثلا بالصراع اليومي والنضال الدائب .

لالغاء الصيغ الاعلامية العربية التي وفرت المزيد من التكريس للحالة الاولى ... وبحضور كنفاني الذي يلازم حركة الثورة وسطوعها ، تحضر الضرورة لوضع الاصبع على الواقع الجديد للانسان الفلسطيني ، وهو يمزق جدران الخزان برصاصة الغاضب ، ثم وهو يبتعد وبقدر من الثورية والوضوح ، عن الصحراء خشية اللجوء الى الخزان مرة اخرى .

شريف الربيعي

في

رجال في الشمس و ماتبقى لكم

أزاح غسّان القشرة عن الواقع وحقق نهجاً ثورياً في كتابة الرواية

بقلم حسين نصرالله

١

ماذا عن غسان كنفاني في ذكراه الثامنة ؟ — ماذا عنا نحن — حين نمسك بين ايدينا ، بعض اعماله في محاولة منا لقراءتها . او تسليط الضوء عليها ؟ هل هذا كل ما تبقى من غسان ؟ وما تبقى لنا منه ... ان نعيد في نفس التاريخ من كل عام — القراءة — او تبش الذاكرة . لكننا على يقين من أن — الذاكرة — لا زالت حائمة بكل اثقالها . هزائمها ، انكساراتها ، واحلامها . فوق ادق تفاصيل الحاضر . فالرحلة التي قطعها غسان في كتاباته ، لا زلنا نحن نعيش مراحلها بانتظار — البشارة — التي تومىء بانتصار القضية الفلسطينية والعربية .. واذا كان غسان قد احتضن في اعماله الحركة الاجتماعية التي عاشها الفلسطيني ابان الهجرة ، امتدادا الى تاريخ ولادة أول رصاصة . ثم واكب خط سير هذه الرصاصة . فان قراءته الان لا يمكن الا ان تدخل وتطال ذلك الزمن — زمن الكتابة — ليس من أجل المقارنة مع الزمن الحاضر وتحولاته . بل لابصار الثورة والتفجير الذي احدثه غسان في الكتابة — القصصية الروائية — وبالتالي لتبيان قدرة غسان في مواكبته وفهمه لمرحلة تاريخية فلسطينية . دامت حوالي ربع قرن .

بادىء ذي بدء ، اذا كنا نرى أن كتابات غسان كانت استجابة لمقتضيات اجتماعية . فان هذه الاستجابة كانت خاضعة لواقع اجتماعي مهزوم — ١٩٤٨ — يعيش حالة من اليأس ، والتذمر ، والالم ، والهجرة . أي انه عاش فترة من الضياع السياسي ، الاجتماعي ابان الهزيمة حينذاك . ليس هذا فحسب بل عاش ايضا مرحلة متوترة وقلقة لم يكن — المهم — فيها العمل الثوري النضالي . بقدر ما كان — المهم — هو البحث عن مقومات الحياة الاجتماعية ، البيت ، المدرسة ، الرغيف . أي البحث عن الاستقرار — بعد المهجرة ، ومعنى ذلك أن الكتابة في هذا السياق اذا ما قورنت، مع المواقع الذي كان سائدا . فان الكثير من المقومات سوف تجعل من الكتابة لا ترى سوى القشرة الاجتماعية السطح المظاهر غير العادي. غير أن غسان كنفاني ازاح هذه القشرة ، ودخل في تفاصيل اللحم والمعظم . بل دخل في اعماق القضية الانسانية ، ونوغل في كيان مجتمعه ، ليس فلسطين فقط ، بل مجتمعه العربي . ليحقق نهجا ثوريا ، واقعيا في كتابة الرواية . بكل ما تعنيه الواقعية من حضامين . انه الفيض الذي تسرب الى كل خلايا الكينونة الاجتماعية الفلسطينية ، والرؤيا التي رات الفاجعة واستوعبتها في بداية نسيجها وامتدادها . وهو لهذا قدم علامة فارقة ، ومناخا مختلفا . اذا ما قارنه مع كتاب جيله . مناخا قدر له أن ينتج سياقا ورؤيا جديدتين في مسار الرواية العربية . اضافة الى انه احدث قفزة تكنيكية في الكتابة ، وهذا ما يجعلنا نصفه ، بانه أبدع ، ورسخ — المقدمة — على صعيد المنتاج الفني الروائي. فبعد أن كان نجيب محفوظ هو سيد الرواية العربية في فترة الثلاثينات — الخمسينيات. كونه هو الاخر استطاع ، أن يؤرخ ، ويصور ويواكب تلك المرحلة التاريخية في حياة مصر . شهدنا توقف العديد من الكتاب الروائيين ، امثال ، هيكل ، والحكيم وغيرهم. نتيجة احساسهم ومعرفتهم بأن مجيء محفوظ قد غير في نهج الكتابة . اذا كان محفوظ يمثل حالة — التفجير — الاولى للرواية ، ويمثل تراثها . فان غسان كنفاني، وجيله . قد مثلا نقلة موضوعية ، جعلت من نجيب محفوظ نفسه . ان يعيد النظر في نقائيده الروائية . نظرا لان جيلا اخر قد بدا في تحقيق ، وابعاث كتابة روائية جديدة . مثلها جيل الستينيات . لكن لا بد لنا من ذكر هذه المفارقة . بين رعيل محفوظ ، ورعيل الستينيات . فبينما كانت الرواية عند الرعيل الاول توسم بالاقليمية، وبينما كان باستطاعتنا أن نقول رواية مصرية ، سورية ، الى اخره . جاء جيل الستينيات ليلغي هذه المفارقة ، وليحقق رواية عربية شاملة . وهذا نرجعه الى أن المجتمع العربي قد شهد هذا ثوريا ، بولادة القوميين العرب ، والناصريين وغيرهم وهذا ما لمسناه في الكتابة الروائية فيما بعد ... وبالتالي جاءت الرواية لتقول — التحدي — الذي أمسك بعالم الانقاض ، والخسارات ، والعوز ، والموت . ودفعهم جميعهم أو لنقل قدمهم دون ان يسقط فيهم . ابتداء من السلطة ، مرورا بالمواقع الموضوعي الذي بحياء ذلك الجيل ، بما فيه من التسلط ، والقهر ، وانعدام الحريات وفقدان الديمقراطيات . وصولا الى تكثيف هذه الازمة ، ووضعها في سياقها المطلبي. بغية مواجهتها . دون ان ننسى أن هذه المواجهة . كان جنينها هو المأساة . ليس في فلسطين بل في جميع الاقطار العربية . هذه المأساة ، رأينا انها في فترة زمنية قصيرة قد حققت ، أو انجزت رواية عربية بتحرك شخوصها في مستنقعات الذل ، والمتفتت ، والانهيار ، وعدم التوازن ، والانحناء لاصغر صغائر العيش . شخوص يعانون من الكبت الجنسي ، وغير ذلك من ما شانه أن يلفظ بهم الى رذائل الحياة .

Digitized by Birzeit University Library

٢

ماذا كان عام ١٩٤٨ يمثل مرحلة المعقم السياسي والاجتماعي ، فان عام ١٩٦٧ مثل مرحلة تجديد هذا المعقم الى ان انطلقت أول رصاصة للمقاومة وبزغ فجر الامل والتحرير . بعد كل هذه المخاضات الطويلة من الهزيمة والانكفاء . وبالرغم من هذه الظروف جاءت لرواية غسان لتقول الهزيمة دون ان تنخرط فيها . بل قامت باعادة بناء الواقع ، واعادة رفض له ، وبعث حكمه على انقاض الجثث ، وحوادث الاختناق ، والحرائق ، وحفر القبور . بل لتقل قامت باعادة نظر في كل من الشكل والمضمون ، متجاوزة في ذلك كل المدارس الغربية ، التي ارست قواعدها ، في الرواية العربية. هذه المدارس التي اخذنا عنها ملامحها العامة اثناء الكتابة . غافلين في هذا الاقتباس عن الارضية الاجتماعية التي يتحرك عليها كتاب الرواية . فجاءت الكتابة ، كتابة ذهنية ، تهديمية ، لا تهدف في الاساس ، الا لاقتناص شكل ما ، من اشكال الرواية والقصة الغربيتين . فوجدنا . ان كتاب الرواية عندنا ، قد مروا في المرحلة الرومانسية ، والوجدانية ، والمثالية ، والعدمية « والواقعية » لكن هذا المرور بقي عابرا دون ان يخضموه ، الى الارض ، والتراب والمجتمع . بقدر ما استملت الكتابة عن هذه الارضية الاجتماعية ، ورغرفت فوقها . لذا لم تلتقط الا النذر الذي لا يذكر. فارتبكت الكتابة ، وضاع النظام الروائي . وفي حمى هذا الارتباك ، والضياع . جاء غسان كنفاني ليكتب الجوهر ، ويتحرك في صلب الازمة ، وليغامر بكل الرصيد الشكلي للكتابة . واضعا أمام عينيه هدفا ، هو القضية ، والازمة التي يجب ان نراها . بدءا من فلسطين مرورا في لبنان ، والعراق ، والاردن ، وصولا الى الكويت. التي هي المكان الذي يتحرك باتجاهه، شخوص رواية « رجال في الشمس » ابو قيس المزارع الفلسطيني الذي يطرد من ارضه . ويترك وراءه زوجته ، وطفليه ، والذي لا يرى من الحياة والاحداث ، سوى مشاغله العائلية ، الزوجة، والاطفال ، والبيت، لكنه بين هذه المشاغل والهموم . يحلم بمكان يقيم فيه ، ويبعد عنه مذلة الهجرة — اللجوء — ويمكنه من امتلاك عرق أو عرقين من الزيتون وغرفة . الافضل ان تكون من الاسمنت .. يقول ابو قيس : يا رحمة الله عليك يا أستاذ سليم ! .. لا شك انك ذا حظوة عند الله حين جعلك تموت قبل ليلة واحدة من سقوط القرية . ليلة واحدة فقط . ص — ٤٣ . رجال في الشمس . أما سعد فهو شاب فلسطيني — مرتهن — لعمه الذي يتسلف منه بعض النقود. اذ ينتظر العم في المقابل أن يزوجه من ابنته التي لا يريدها اسعد ، ولكنه رغم هذا يستدين المال . اسعد مقيد بوعد قطعه غيره ورسم له فيه مستقبل حياته القادمة .

مروان ولد فلسطيني ، عبره ستة عشر عاما ، يواجه مهمة الانفاق على امه واخوانه الصغار . بعد أن ترك أبوه العائلة ، وتزوج من امرأة مقطوعة الرجل لانها تملك بيتا مؤلفا من ثلاث غرف . وبعد أن تزوج أخوه زكريا المهاجر في الكويت . والذي كان يرسل لهم النقود وانقطع بسبب الزواج . « الامر لا يحتاج الى ذكاء خارق كلهم يكفون عن ارسال النقود الى عائلاتهم حين يتزوجون ، أو يعشقون » . ص — ٨٣ . « القرش ياتي أولا ثم الاخلاق » اضطرت هذه التقلبات التي حصلت في عائلة « مروان » أن يسافر دون أن يعلن كراهيته لابيه . يقول مروان : « زكريا لن يفهم قط معنى ان يتعلم الانسان، لانه ترك المدرسة حين ترك فلسطين وغاص . هؤلاء الاجيال الثلاثة . ابو قيس ، أسعد ، مروان . على الرغم من اختلاف سني عمرهم .. اختلاف الجيل . يسعون جميعا الى هدف واحد . أي انهم جميعهم يلتقون ، ويتجانسون في نسق اجتماعي واحد — حياتي — هذا النسق هو تحصيل المال لغاية واحدة أيضا هي الاستقرار . تحت سقف منزل ، وهم لاجل ذلك لا يتوانون عن فعل اي شيء مهما كان صعبا ، حتى لو قادهم هذا الفعل الى الموت .

قال أسعد بهدوء : انا شخصيا لا اهتم الا بموضوع وصولي الى الكويت ، اما ما عدا ذلك فانه لا يعنيني .

قال مروان بحماسة — وانا سأسافر معكما .

قال ابو قيس هل تعتقدون انه بوسعي أن أرافقكم انا رجل عجوز .. ضحك ابو الخيزران بعنف ... له ! له ! يا أبا قيس يجب أن تاتي معنا .. ص ١٠١ — ١٠٢ هؤلاء الثلاثة الهاربين من الواقع الجائم الى المستقبل القادم ، الذي هو الكويت . بحثا عن النقود التي يعتبرونها انها الظل الذي يمكنهم من ايجاد الملامح الاخيرة لرحلتهم في الحياة . وبالتالي يحفظ لهم ماء الوجه . لكن من بين هؤلاء الشخصيات ، الاجيال الثلاثة تبري في الرواية شخصية أساسية هي « ابو الخيزران » سائق السيارة التي ستقلهم الى الكويت . ابا خيزران هو « دينمو » شخوص الرواية ، بمعنى آخر أبو خيزران يمثل واجهة الازمة العامة التي عاشها الفلسطيني . أي ازمة القيادة انذاك . وهو الذي ادى بالاجيال الثلاثة ابو قيس ، اسعد ، مروان الى حتفهم ، فهو — السائق — الذي لا يتوانى عن احداث ، أو فعل أية مغامرة في سبيل هدفه الذي يبدو هدفا شخصيا في البداية . ومن أجل ذلك فهو ، يخادع ، يكذب ، يستسلم ، ويوافق ، ويفضب ، غير انه حين تكون المرحلة ، ثقيلة العبء وتحتاج المرء يقظة ووعي مادين فان سائق مثل هذا لا بد أن يفشل ويسقط ، امام قضية وهمية ومختلقة لا شان حتى له بها . وهذا شان اي قيادة تساوم بدءا من القيادة الفلسطينية في تلك الحقبة . ووصولا الى القيادات العربية . أن ابو خيزران يمثل المجز ليس في الفكر ، والسلوك والرؤيا فقط ، بل يمثل المجز عن — الاخصاب — أبو خيزران فقد قدرته الجنسية في احدى المعارك . اي فقد ذكورته . ولم يبق له سوى ان يجمع النقود . يقول : انني اريد مزيدا من النقود .. مزيدا من النقود .. مزيدا من النقود . فماذا يرتجى من سائق مثل هذا ، يعاني ازمة ارتحال ولجوء ، والى جانب هذا يعاني ازمة ثانية هي عدم قدرته على الانجاب الاجتماعي في خدمة القضية . هذا ما يقصده غسان . اي ان غسان حين جعل من « ابو الخيزران » عاجزا اراد ان يبين لنا مدى قصر المسائق في نقل الاجيال الفلسطينية والوصول بها الى المكان الصحيح . ورأينا في النهاية انه غير قادر على انقاذهم . ان ابو قيس ، واسعد ، ومروان . قد استسلموا للتيار . وتركوا انفسهم للصحراء . دون ان يفكروا او ينتبهوا الى اين يمكن ان تقودهم افعالهم . فبعد ان دخل هؤلاء الثلاثة في بعثهم الاول وعفويتهم الاولى . وأسلموا انفسهم الى السائق وانقادوا الى آرائه . بعد ان نزلوا الى خزان الماء رأينا انهم اعادوا الكرة من جديد وفي نفس الخزان . لكن في الوقت الذي استوت فيه الشمس في كبد الصحراء ، واصبح بامكانهم ان يعرفوا اكثر ما ينتج عن الدخول في الخزان مرة ثانية في هذا الوقت المحار . فالخزان مشتعل او شبيه فرن . والدخول اليه يعني النهاية . لكن ما الذي اغرى هؤلاء الثلاثة هذا هو مفصل الرواية . فالمرحلة التي يقطعها هؤلاء تخضع الى أي مفهوم موضوعي . أنها الخطا منذ البداية . وأبو خيزران القائد . الذي يعبث بمصير مجتمع بكامله .

٣

« غير انه حين تكون الهزيمة فادحة العبء والثمن ، فانها تصبح نقطة انطلاق مغرية لرؤية السطح وتجريد الواقع . وتصبح الصراعات الاجتماعية والفكرية طيلة قرنين من الزمان ، مجرد محاولات برجوازية اشتراكية . لشفاء الرجل المريض . اعني حضارتنا المتخلفة الفقيرة الجاهلة المقهورة . وحين لا تشفع المحاولات المضنية في انقاذ الموشك على الهلاك ، فان الياس هو الخفقة الاولى التي تنبض بها القلوب الواجفة . الياس وليس التشاؤم مجرد ميل سلبي في « ترومونز » الامل . التشاؤم يرجح السقوط ولكنه لا يوقن به . أما الياس فايقان . هكذا تجيء رواية غسان كنفاني الاولى رجال في الشمس . حيث تتحول عربة المياه الى خزان الموت ، وحيث لا يستطيع الفلسطينيون الثلاثة أن « يعبروا » وحيث ان سائق العربة فقد « رجولته في الحرب » يقول أبو الخيزران : أتضحكم أن تعجلوا قليلا .. اننا ما زلنا في مطلع النهار . وبعد قليل سيصبح الخزان من الداخل مرتا حقيقيا .. بوسعكم أن تاخذوا معكم مطارة، ولكن لا تستعملوها حين تحسون أن السيارة واقفة . فابوا الخيزران — السائق — حين يطلب من الثلاثة عدم استعمال المطارة اذا كانت السيارة واقفة . فهو بهذا يلغي كل أمل لهم في الحياة . أي أنه في الوقت الذي يتوجب عليهم مواجهة مصيرهم داخل الخزان . يشير عليهم عدم فعل ذلك . لنرى أخيرا ان الثلاثة يموتون ، دون أن يواجهوا هذا الموت حتى بدقة رفض واحدة على جدار الخزان . يموتون ويرمي بهم السائق فوق القمامة بعد ان يسلبهم كل ما يملكون . الساعة ، والخاتم ، وبعض الاوراق النقدية . يموتون رغم تجربتهم الاولى . أن الصمت وانتظار الرحمة من الخارج ، لا يعيد الحياة الى من يختنق داخل خزان . فقط الدقة على الجدار . ورفض الصمت ، يمكن أن يعطوا هذا الاختناق بعض الهواء . وهكذا رأينا أن هذه الاجيال. انتقلت من مسحات الارض وفقرها ، الى خزان الموت . فماذا عن ابو الخيزران ، بعد هذا الذي حصل . « انحرف بسيارته عن طريق الاسفلت ، ومضى يندرج في طريق رملي الى داخل الصحراء . لقد أقر قراره منذ الظهيرة على أن يدفنهم واحدا واحدا في ثلاثة قبور ... أما الان فانه يحس بالتعب يتاكله ، فمكان ذراعيه قد حفتنا بمخدر .. لا طاقة له على العمل .. ولن يكون بوسعه أن يحيل الرمش ساعات طويلة لمحفر ثلاثة قبور .. قبل أن ينجه الى سيارته ويخرجها من كارج (الحاج رضا) — الحاج رضا قيادة عربية مشبوهة — قال في ذات نفسه انه لن يدفنهم ، بل سيلقى بالاجساد الثلاثة .. والذي حصل أن ابو الخيزران رمى بهؤلاء الثلاثة فوق القمامة . والسؤال لماذا حصل ذلك ؟ أية سخرية أراد أن يقدمها لنا غسان كنفاني بقتله لهؤلاء الثلاثة . وأية صورة أراد أن يقدمها لنا ، عن عجز ، وعفوية ، وخواء ، وهروب ، واستسلام هذه الاجيال . وهل كان ضروريا أن يختفوا في ذلك المكان المريع . وأن يرمي بهم فوق اطنان القمامة . ولماذا فوق القمامة ؟ رغم هذا الافق الممتد وهذا المدى الصحراوي . الذي لا يحد . لقد فعل غسان هذا ، من اجل أن

يبين لنا حقيقة الواقع الفلسطيني انذاك . هذه الحقيقة الثابتة الحادة والجارحة في آن معا . حقيقة اللهاث وراء طفرات العيش بدلا من أن ينبتوا اقدامهم فوق ما هو لهم ، لقد تركوا كل الماضي بكل ما فيه من تراث ، وتاريخ . لهذا كان يجب أن يموتوا بهذه الطريقة . تلك هي الحقيقة ، التي جرد بها غسان كنفاني — أنه في كتابته هذه عكس ذلك الدفل الخفي والعميق . فالرواية جاءت لتؤرخ ، لا لتوثق . لا لتصيغ ، لا انها جاءت لترفع الحجاب عن الواقع وتقوله حتى لو كان واقعا انتحاريا. لكنه في هذه الكتابة ، أزاح الظل ايضا عن البور ، والجفاف الناجم . عن الارتهان والموقف ، عن النزول الى الخزان العربي — الانظمة — والبقاء فوق الارض ، عن الرؤيا ، والعتمة . ومن وحي هذه الاحداث قال ما يجب أن يكون . لماذا لم يدفوا جدران الخزان ؟ لماذا لم يقرعوا جدران الخزان ؟ فالرواية في هذا الاطار تقدم مسرحا اجتماعيا شاملا ، عن لعبة القيادة الفلسطينية ولهاثها وراء الكاميرا ، ولا وقدم لنا انهزام وغباء وانقياد أجيال ثلاثة نحو المذلة دون ادنى اعتراض يمكن أن يصدر عن انسان يموت .. وبعد ماذا عن المشكل الروائي عند غسان .

أثناء القراءة أحسست انني مأسور . كنت اقرأ دون انقطاع العينين ، والدماغ ، وحركة الاصابع كل هؤلاء كانوا يتأهبون لهم القراءة ، وبالتالي ينسون قضية الشكل . أو لا ينتبهون له . لان قراءة هذه الرواية ، دور بدايتك لها . يقول لك ما هو أكبر من الشكل ، انه المصير — المصير الانساني . هل ضروريا بالرغم من كل هذا الحضور أن نتكلم عن الشكل . ولكني سوف أوجز هذا بكلمة واحدة ، الشكل في الرواية هو الواقع ، هل يحتاج الواقع للاضافة .. لكن السؤال الاخير ماذا عن أبو الخيزران وذكورته . وماذا عن تاسه . هل ان الجرذ الكبير يأكل الجرذ الصغير ؟ لكننا نرى أثناء القراءة أنه هو نفسه يتاكل ايضا . فهل يمكن النظر الى « ابو الخيزران » نظرة أحادية المضامين ، تقصد المضمون السياسي ، أم انه حمله هذا الواقع ، ونتاج هذه البنى الاجتماعية . وهو لهذا — الخراب — على مرحلة تاريخية عاشها المجتمع الفلسطيني . حينذاك . وهل الشخوص الاخرى في رواية « ما تبقى لكم » هي البديل . لنرى ذلك .

ما تبقى لكم

٤

« ان ساعة المحائط ذات الرقاص لا تشتغل اذا كانت مائلة » مع نشر قصة « ما تبقى لكم » اصبح كل شيء واضحا . الطريق نفسها ، والواقع نفسه ، لكن بدأت تظهر الرؤيا . لم يعد هناك مجال للشك ، أو التخمين . أنه مسار اجتماعي يراه الكاتب ويتابعه ، وهي نفس يقدر لنا فيه ان نعرف الوسيلة التي يمكن ان نحقق فيها — الخلاص — المواجهة — على وجه التحديد . غير ان « ما تبقى لكم » تبقى امتدادا موضوعيا — « لرجال في الشمس » — فمن الموت الذي اصاب شخوص الرواية الاولى والعجز الذي الم بفياداتها . يتحدر غسان من جديد للدخول في مغامرة عقلانية . يرى فيها سبل الخلاص ، من خلال وعي اجتماعي بدأ يظهر شيئا فشيئا من بين « القمامة » والذباب ، والعفنة ، والبلشن ، والعفونة التي كانت من طبيعة شخوص الرواية الاولى . أمسوا خاضعين لرتابة الواقع ، وحقومات الكفاح . أي انه بدأ تصور جديد للعلاقات . ليس بين الرجل والمراة . بل لعل هذا التصور ليسهل رحلة الانسان في صعوده او نموه » ، وأخذ بعض الدور يجد طريقه الى المجتمع . والخايا المظلمة .

ثبت شيء نسميه — القناعات — التي لم نجدها من قبل . بعد ما كنا نرى حركات مثالية . تلعب وتتحرك ، بين ووسط علاقات عالمه مسطحة وواهية ، انه الوعي . « فساعة الحائط ذات الرقاص لا تشتغل اذا كانت مائلة » لكن هذه الساعة هي الزمن الماضي ، والزمان الحاضر الذي لا مفر منه . عليك أن تبدأ من هناك من الرحلة الاولى حتى تصا وفي حال وصولك ، سوف تتعرض الحصائر من جديد . لا يمكن لك أن تجزم بشيء .غير انه عليك أن تقرر — القرار — هو الحسم فعام ١٩٤٨ لا زال موجودا ، وقائما في الوجدان ، والضمير ، والحس ، والحركة والساعة هنا ، أي الزمن هي لحظة صمت وركود ، وموت وكوابيس . عليك أن تجد لحظتك التي لا تتيه بعد . أنه الواقع والواقع من جديد يعود بوحشيته ونعوشه . المخزان لا زال هنا ، كيف لك أن تتعلم خرق الصمت ، فالكاتب يؤاخي بين الرواية الاولى ، والرواية الثانية . لكن ما حدث « كان فقط انني حككت من فوق بعضي قشرة ناشفة لدمل قديم ، حمل الي اللذة الاليمة التي تفير جسد الانسان حين يقشر عن فوق الندب الغطاء الدموي الجاف بتمهل وتصلب ، فتسقط معه ذكرى الجرح ذاته ، كانها الشيء الملتصق هناك داخل ذلك الغطاء المحكم ، ولا يتبقى الا رقعة برصاء لا تمت بصلة الى أية شيء » . (ص — ١٩٦) أية قشرة ناشفة حككها « حامد » وهو الهارب من الصحراء لا يملك بوصلة ، ولا يعرف الاتجاه . انها الاسئلة التي يتوجب علينا أن نقرأها بين السطور . الاسئلة التي يتوغل فيها الكاتب . لا يرتفع عنها ، ولا يسقط فيها بل يراها . محايدة أو مرتبكة مستحيلة ، وحصيمة . انه الواقع ، وليد مستقبل . لكن هناك زكريا « الثاني » والخانع ، الذي تقتله « حريم » زوجته بعد ان تكتشف انه لا يمثل الا كتمة من اليأس والقنوط ، والجبن . وثمة حامد الذي يحمل افكارا جديدة الافكار التي عاشت وعرفت وهج ظهيرة الصحراء ، جيلا بعد جيل . وموتا بعد موت . انه النجرية . « وبدا جسده الفتي تحت ثيابه الضيقة حقنا ومتحفزا كجسد قط بري » (ص — ١٩٦) من هنا يتراءى لنا حامد الذي يعرف مطبات المواقع وحيالة المسحراء ومفاجاة المطريق . « لقد أخذت السماء ترتفع ، وفي نهاية الافق خط رفيع ثابت من الفضة الرمادي .... لقد تحول انتظاره الى مستنقع بل قرار وأصبح الزمن خصما فيما بدا حامد جامدا عاقدا العزم على البقاء ها هنا حتى النهاية » . لقد التقى حامد خصمه في المصحراء الواسعة لكن ما الذي جعل غسان يدفع الخصم باتجاه حامد في هذا الافق اللانهائي ؟ وماذا يفعل حامد ؟ هل يقتل الخصم. أم يتركه ؟ وهو العارف بان اللغة والعلاقة معدومة بينه وبين خصمه . غير أن « بافا » الموجودة فوق بطاقة الخصم . ودوى صوت فجاة حين أخذت الكلاب خارج النافذة تنبح بلهجا مسعورا ، مثلما كانت دائما خارج ذلك النعش المعلق فوق الجدار: ندق في جبيني أسرارها القاسي الذي لا يرحم . ندق فوقه مكررها هناك قطعة من الموت ندق . ندق » من خلال هذه القراءة سنراعي لنا كيف أن غسان تحول من « لماذا لم يدقوا الخزان » الى هناك قطعة من الموت ، ندق . ندق .. هكذا اكتشف غسان جوهر الازمة . وعراها . ومثل بمعاناة حركة القوانين الداخلية لشخوصه . في نفس الوقت الذي لم يتجاهل فيه تجربته الذاتية . اذ أن اكتشاف غسان أو رؤيته لذلك الواقع ، بكل ترسباته ، وبلوكاته ، وأحلامه ، انما أراد أن ينتمي بالمجتمع الفلسطيني ، أولا وبالرواية العربية ثانيا . من خلال الغائب الى مرحلة الحضور الروائي المبني على الذات والموضوع . وفي حلقة هي — الواقع — لذا نعتبره الى جانب أنه انجز مقدمة واضحة لاجمال الاساس حولها كسر مناهج الكتابة التقليدية في القصة والرواية . وهو بهذا لم يفصل بين الفعل الاول « رجال في الشمس » ، ولا بين العمل الثاني « ما تبقى لكم » بل تفاعل بينهما ليحقق منهجا مختلفا عما سبقه . أو لنقل استجابت ما هو ضروري لخروج كتابة « أم سعد » وبشارتها .

واذ الزم نفسي بالتوضيح التالي الذي أشار فيه بين البناء الشكلي للرواية الاولى والثانية أقول انهما شكلا بمعانقان معا دون اننا نقسام بتقديم الاولى هي واقعية المضمون الاجتماعي الفلسطيني والثانية هي تشكيلية . لذا يمكنني ان اتجاوز بعض ما اتفق عليه بعض النقاد مثلما انهما أي — القصتين — يمثلان مضمون رغبة عمل واحد .

■

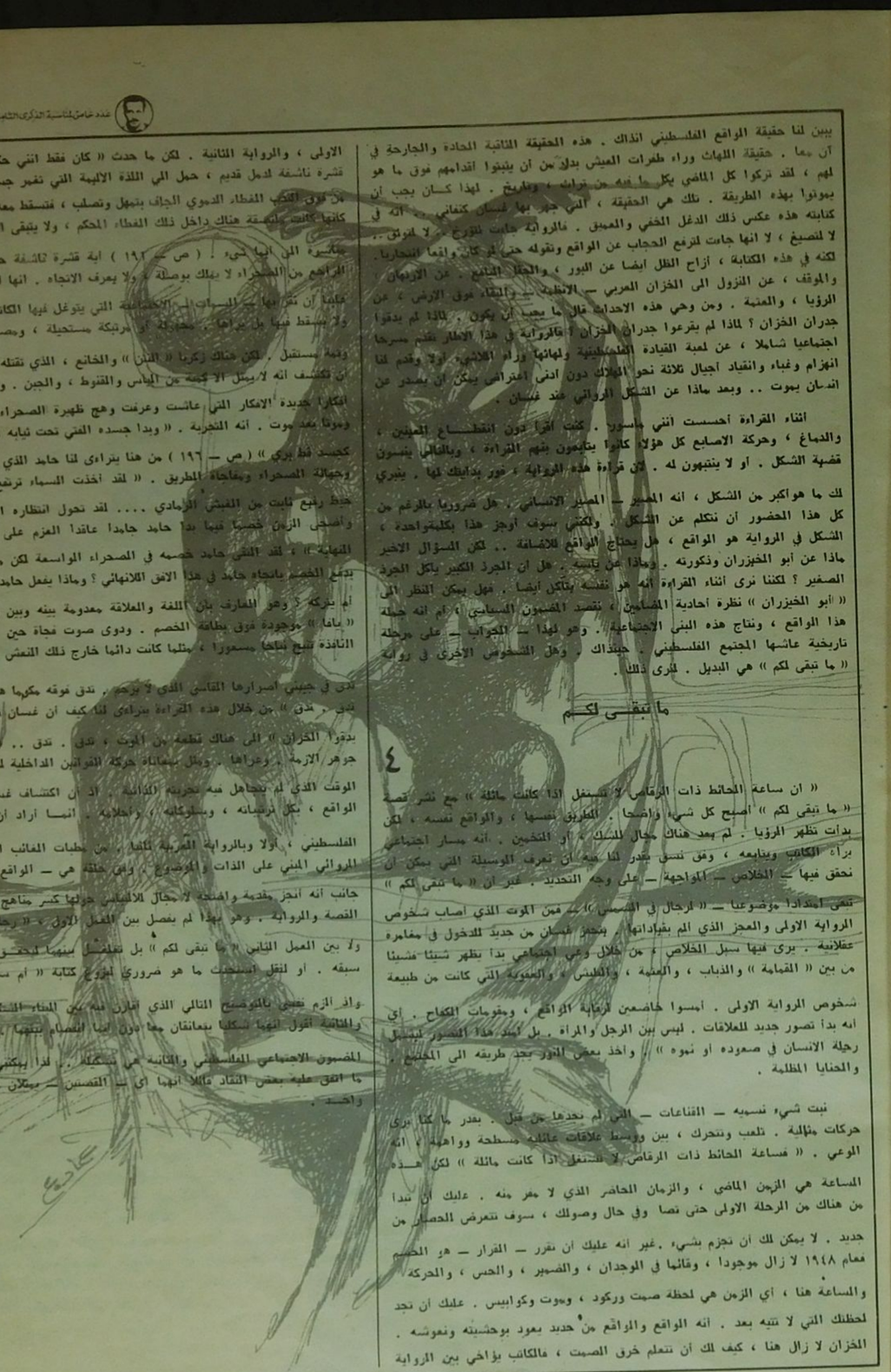

Digitized by Birzeit University Library

في مسرح غسان كنفاني :

أنا أموت إذن أنا موجود

بقلم : نزيه أبو نضال

في العالم الابداعي لغسان كنفاني يحتل المسرح هامشا جزئيا ، هو الاقل اهمية واضاءة ، والاقل اثاره للانتباه كذلك ، ومن هنا وجدنا ضرورة تسليط بعض الضوء على عالم كنفاني المسرحي ، اسهاما في الاحاطة الشاملة بهذا المبدع والمفكر والمناضل العربي الفلسطيني المتميز .

يقتصر انتاج غسان كنفاني المسرحي على مسرحيتين هما :

ـ الباب (١٩٦٤) .

ـ القبعة والنبي (١٩٦٧) .

والمسرحيتان تنتميان من حيث المضمون الى عالم الفكر الفلسفي التجريدي ، كما تنتميان من حيث الزمان الى ما قبل الانطلاقة الثانية والجماهيرية للكفاح المسلح الفلسطيني في آب ١٩٦٧ . اما المكان فهو عالم الاسطورة والالهة قبل الاسلام (مسرحية الباب) ، وهو المكان (س) كما في (القبعة والنبي) .

من هنا لم يكن غريبا ان تكون شخصيات المسرحيتين كائنات غير انسانية بالمعنى المحدد ، في (الباب) نجد « عاد » و « شداد » بطلين اسطوريين ، « هبا » : اله . و « المتهم » و « الشيء » و « القاضي » و « السيدة » و « الام » في (القبعة والنبي) .

هذا الطابع الفلسفي التجريدي لمسرح غسان كنفاني لا يقصد به التاشير الرمزي لواقع محدد ، بل ان كنفاني ينبه اهو نفسه الى عقم اية محاولة لاسقاط احداث ووقائع المسرحية (الباب) وفق مقاييس زماننا ، « على المقاييس التي آمن بها وعاش لها عصر المسرحية » ، (قبل الاسلام) .

اهتمام غسان اذن مسكون بتجريد فلسفي كوني ، ينتمي الى عالم الافكار والمجردات وليس الى عالم الناس والمحسوسات ، ومن هنا تنبع في تقديري اهمية تسليط الضوء على هذا الجانب الجديد من العالم الابداعي لغسان كنفاني . فكتاباته الابداعية والفكرية والسياسية اكثر من كافية في كشفها لتلك الجوانب ، وهي ليست بحاجة الى اسقاطات جديدة من اعماله المسرحية لتوضيحها ، بل ربما كان العكس هو الصحيح ، اي بضرورة كشف الجوانب الفلسفية في اعمال غسان كنفاني المتعددة ، لاضاءة هذا الجانب المسرحي ـ الفلسفي .

□ □

الباب

في مسرحية الباب يتناول غسان كنفاني اسطورة عاد وارم ذات العماد . وهي اسطورة عربية قديمة وروت في القرآن ، وفي بعض المصادر العربية القديمة (ياقوت الحموي والطبري) ، ومن خلال هذه الاسطورة نسج غسان رؤيته الفلسفية .

المادة الاسطورية الخام لمسرحية الباب هي وحدها التي تنتمي الى الاسطورة العربية اما نسيجها الفكري والفلسفي فينتمي الى التراجيديات الاغريقية . ومن زاوية الرؤية التي يطل من خلالها غسان على اسئلة الكون والموت والحياة والوجود .

الاسطورة الغربية القديمة تنهض في جوهرها على صراع الانسان مع الآلهة ، او مع القدر ، فتحل به لعنة الآلهة : بروميثوس ، سيزيف ، اليكترا ، اوديب .

الفلسفة المسيحية تقاطعت وانسجمت مع التراث الفلسفي الاوروبي : الصراع مع الاله ثم لعنة الخطيئة الاصلية التي اصابت نسل آدم وحواء .

استمرار الخطيئة في مجابهة وصايا الرب هي بالدلالة الفلسفية ليست تعبيرا عن ضعف الانسان ولكنها تعبير عن استمرار عملية التحدي والصراع ، حتى ولو كان ثمن ذلك الموت والجحيم واستمرار اللعنة على الاحفاد .

في مسرحية (الباب) يتحدى « عاد » الاله « هبا » ، ويسقط في معركة غير متكافئة معه حين يسلط ضده غيوم الموت السوداء . غير ان نبض التحدي والصراع لا يموت فتنتقل رايته الى ابنه « شداد » الذي يتحدى جنة « هبا » بجنة صنعها بنفسه على الارض هي جنة « ارم ذات العماد » ، ثم يخوض المعركة ضد « هبا » من جديد فيسقط بدوره في معركة غير متكافئة . ولكنه لا يتوقف ويواصل الصراع ضد « هبا » حتى بعد الموت . اما على الارض فيسلم رايه الصراع ابنه « مرثد » ليواصل المعركة ، وصولا الى الحقيقة وانتصار الانسان .

غسان الفلسطيني

اذا كانت المادة الاسطورية الخام في مسرحية (الباب) هي عربية ، واذا كان موضوع ثنائية الصراع كمضمون بين الانسان والاله هي اغريقية ، فان جوهر هذا الصراع ومساره هو الاضافة الفلسطينية التي يقدمها غسان الفلسطيني .

ففي الاسطورة الغربية نجد ان الاله هو العنصر المتحكم في وضع قوانين اللعبة لمعادلة الصراع بينه وبين الانسان .

الاله يصدر حكمه : اللعنة ، فيكتشف السحرة والعرافون النبوءة ويحذرون منها ولكن قدر الالهة لا يرد ، فيتزوج « اوديب » من امه ويفقأ عينيه . الانسان في الاسطورة الاغريقية هو الموضوع لصراع الالهة ، اي هو ردة الفعل ، ولكنه رغم ذلك وهذه عظمة الوجودية في الفلسفة الغربية يقاوم ويواصل التحدي .

اما عند غسان كنفاني فان الاله « هبا » هو الموضوع الذي يطرحه الانسان كطرف في الصراع ، اي ان الانسان هو الذي يختار قدره ومصيره ويحدد زمن المعركة ضد الاله .. القدر .. الموت .

« شداد » وهو خارج لملاقاة « هبا » يؤكد « ان الموت هو الاختيار الحقيقي الباقي للانسان » لأن الحياة ليست خيارا ولكنها فرضت علينا ولم نختارها .

اختيار الموت في الوقت المناسب الذي نحدده لانه « هو المكان الوحيد الباقي للحرية الوحيدة والاخيرة والحقيقية » .

« شداد » يواصل ما بداه والده « عاد » وما سيكرره ابنه « مرثد » .

هنا يتوهج غسان الفلسطيني برؤيته الفلسفية المتميزة حين يتجاوز موضوع الصراع من حيث هو وسيلة ، ويصبح على تماس مباشر مع ضفاف الموت . ولكن اي موت ؟

انه الموت الفلسطيني ، باعتباره هاجسا يوميا في حياة الفلسطيني ، ولانه في كثير من الاحيان يكون السلاح الوحيد عنده لينال جداره ان يكون موجودا .

انا اموت اذن انا موجود ، والانا هنا هي الفلسطيني .

هل هذه نظرة فلسفية تشاؤمية ؟

يجيب غسان على لسان « شداد » : « الا ترى ان التشاؤم هو الشجاعة ؟ الست ترى ان التفاؤل هو كذب وهرب وجبن » ؟

وخيار الموت عند غسان ليس بانتظاره ، ولكن بمواجهته واقتحامه ، ولهذا يقول « شداد » : « اريد الذهاب اليه (الى هبا) بملء ارادتي واختياري ، لحظة وراء لحظة ... لا الخوف يردني عنه ، ولا اليأس يسد امامي طريقي » .

حين نتحدث عن فلسفة الموت الفلسطيني عند غسان فاننا لا نريد ان نسقط الاسطورة على الواقع الفلسطيني ، وهو ما سبق واشرنا الى رفض غسان نفسه لمثل هذا الاسقاط ، ولكننا هنا لا نسقط وقائع اسطورية على احداث واقعية ، ولكننا نريد استشفاف الخلفية الفلسطينية التي دفعت غسان باتجاه فلسفة الموت .

التاريخ الزمني لكتابة المسرحية يحتل في تقديرنا اهمية استثنائية . فعام ١٩٦٤ يمثل موضوعيا حدا فاصلا بين مرحلتين :

سقوط مرحلة المراهنات على جيش الوحدة العربية لتحرير فلسطين ، وخاصة بعد انهيار الوحدة المصرية ـ السورية .

ومرحلة المخاض لولادة فلسطينية مسلحة على الطريقة الجزائرية ، وخاصة مع بداية تبلور الكيانية الفلسطينية في منظمة التحرير .

بين سقوط الرهان القديم وعدم اليقين بقدرة الوليد الجديد ان يكون بديلا ، دخل الفلسطيني مرحلة الشك واليأس والامل معا :

لقد بات الموت الفلسطيني ضرورة بحد ذاته حتى ولو كانت نتيجة الصراع محسومة سلفا لصالح العدو ، فالمثقف الفلسطيني يريد العودة الى جثته حيا او ميتا .

من هنا يذهب « عاد » و « شداد » و « مرثد » للموت المؤكد كتعبير عن استمرار ارادة المقاومة والحياة وليس املا في الحاق الهزيمة بهبا من خلال الصراع .

وهذا الموت الفلسطيني مطلوب كذلك لتجديد دورة الحياة في النبض الفلسطيني المقاوم منذ بدايات هذا القرن الى منتصف الستينات .

غسان كنفاني كان في قلب اللحظة التاريخية ، كما كان مشكونا باحباطاتها وآمالها .

غسان على المستوى السياسي المباشر لم يكن آنذاك قد حسم اختياره النهائي باتجاه الكفاح المسلح الفلسطيني كوسيلة اساسية للتحرير .

فالمرحلة السابقة (الجيش العربي الموحد والمحرر) لا زالت تلقي بثقلها على موقفه السياسي . غير ان غسان كنفاني برؤية الفنان وشفافيته .

كان قد لامس ضفاف اليقين الفلسطيني الجديد .. وبين الخيار واليقين توهج الموت الفلسطيني فلسفة للحياة وسلاحا لا غنى عنه من اجل كبرياء الوجود .

القبعة والنبي

تنتمي « القبعة والنبي » من حيث الشكل الى مسرح اللامعقول ، واختيار غسان كنفاني لهذا الشكل يستهدف امتلاك الامكانية المسرحية للتعبير عن جملة الافكار والهواجس الفكرية والفلسفية المعقدة التي تدور في راس البطل ، حول مسائل الحياة والموت والحلم والرسالة والمبدأ ، وذلك املا في مستقبل اجمل للانسان ، بدون زيف او قهر .

« المتهم » في المسرحية شاب وحيد فقير ، يحب خطيبته ويزرع في احشائها طفلا ، فتطالبه الخطيبة وامها بالمساهمة في دفع نفقات الاجهاض ، ولكنه يقدم بدل ذلك فكرة الزواج الفوري ، ولكن الام ترفض بسبب فقره ، ولانه مديون للبقال واللحام وبائع الخضار .

وفي هذه اللحظات المأزومة يدخل الى الارض جسم غريب (الشيء) من كوكب آخر ، ويلتقي « بالمتهم » ليدور بينهما حوار طويل يتكشف من خلاله زيف الحياة وضرورة تغييرها .

« المتهم » و « الشيء » يرتبطان معا بهاجس الرسالة وان يصنعا جيشا من الرواد لاصلاح الكون .

ولكن العروض تبدأ تنهال على « المتهم » من مختلف الاطراف لشراء هذا « الشيء » ، لتصبح مسالة بيعه خلاصا فرديا « للمتهم » من مشاكله وازمته الحياتية ، ولكنها في نفس الوقت تعني التخلي عن رسالته في تغيير الكون .. وفي لحظات الصراع بين المصلحة والرسالة يموت « الشيء » عطشا ، مما يعرض « المتهم » للمحاكمة .

وهي موضوع الحوار الطويل الذي يحتل المسرحية كلها .

المحكمة في ختام المسرحية تحكم « للمتهم » بالبراءة ، ولكنه يثور ويرفض الحكم ، لانه يريد ان يتحمل عقوبة التردد والضعف التي عاشها للحظات وادت الى وفاة « الشيء » .

وهذا الاصرار على ادانة « المتهم » لنفسه دلالة مباشرة على تغليبه للرسالة والعقيدة على الحرية الزائفة التي منحها اياه القضاة ، فتكون النتيجة ان يتحرك « الشيء » الميت من جديد وتدب فيه الحياة ليخرجا معا لكي يحققا رسالة التغيير .

« المتهم » و « الشيء » هما اذن شيء واحد ، والصراع بينهما هو صراع بين متع الجسد الذاتية وافراح الرسالة التغييرية .. بين القبول بالواقع والتعايش مع زيفه وانبيائه

Digitized by Birzeit University Library

الكذبة وبين التوق الانساني للانعتاق من فساد الواقع نحو آفاق جديدة للانسان .

فكرة الرسالة هذا هو الهاجس الاساسي في مسرحية « القبعة والنبي » ، والفكرة كما يقول « الشيء » اذا ولدت فليس بالوسع التخلص منهـا .. بالوسع خيانتها فقط .. ولذلك ترى كم هو سهل بالنسبة للكثيرين أن يضعوا الافكار فوق رؤوسهم كالقبعات ، ولكن دون أن يتركوها تغوص الى داخل رؤوسهم .

وهذه الفكرة هي « الشيء » الذي تلبس « المتهم » لتنقله الى عالم الحلم بحياة جديدة ، ولكنه لم يدرك بعد انه قد اصبح هو والفكرة .. « الشيء » .. الرسالة شيئا واحدا ، فيتوهم انه بامكانه ان يرتد الى عالمه السابق فيقول لـ « الشيء » : « حتى تلك الردة صارت مستحيلة .. انت تستطيع أن تتخلص من قبعته ولكن ليس من نبي .

فيقول المتهم : ولذلك يفضلون القبعات .

الشيء : اجـل .. يختلفون عليها . قبعات رخيصة وقبعات غالية . انه حوار في قفص الاتهام ، ولكن من يجرؤ ان يضع قدمه خارج القفص ؟

المتهم : يخيل الي احيانا انك عبء .

هذا التجاوز والخروج من القفص هو هاجس الرسالة ، ولكنه هاجس مثقل بأعباء الجسد ومتطلباته .. فتتولد ثنائية الصراع فيضعف المتهم (الانسان) ويتردد ، ولكنه ينتصر في النهاية ويندفع الى جانب الفكرة .. الرسالة ، بعد أن يتطهر برفض البراءة ، والالحاح على العقوبة .

المتهم وشداد

ان « المتهم » في « القبعة والنبي » هو الوجـه الآخر « لشداد » في (الباب) فكلاهما مسكون بهاجس الرسالة : الاول يبحث عـن عالم اجمل والثاني يبحث عـن الحقيقة وانتصار الانسان .

والاثنان معا يرفضان مجـد الارض ومغرياتها مـن اجل الفكرة .

عرض على « المتهم » ثلاثة ملايين ليرة ليتخلى عـن « الشيء » الرسالة ، ولكنه حتى وهو في لحظـة ضعفه بل وبسبب هذا الضعف والتردد فضل ان يموت « الشيء » على ان يبيعـه .. « المتهم » رفض خيانـة الفكرة ولو كان ثمنها الموت .

و « شداد » الملك كان عليه من اجل المحافظة على مجده الارضي ان يتخلى عن فكرة الوصول الى الجنة الارضيه التي بناها ، والتي يقف « هبا » الآن حاجزا للموت بينه وبينها ، ولكنه رفض التخلي عن الفكرة ، ورفض ان يقدم الطاعه لهبا ، واختار الموت .

« المتهم » هو نبي ضد الفساد والزيف ومن اجل الانسان .

و « شداد » هو انسان (نبي) ضد الالهة والزيف ومن اجل الحقيقة ، ومن اجل جنة للانسان على الارض .

غسان كنفاني مسكـون في المسرحيتين بهاجس الحلم والحقيقة والتغيير والوصول ، وهذه المعاني جميعها هي من الاسماء الحسنى لفلسطين .

ولكن غسان يعرف ان ثمن الوصول هو المعاناه والموت المستحيل . فلا يتردد ويقتحم ، لانه لامس اليقين الفلسطيني العظيم ، بان الموت هو اقصر السبل الموصلة للحياة .

البناء المسرحي عند غسان كنفاني

رغم غنى عناصر الصراع في مسرح غسان كنفاني الا ان البناء الدرامي يتسم بحالة من الثبات المسرحي على مستوى الحركة، كما يتسم بالطابع السكوني على مستوى الشخصيات، والسبب الرئيسي في ذلك ان مسرح غسان كنفاني هو مسرح للمقولات الفلسفية والفكرية ، وليس مسرحا للناس العاديين ولهمومهم اليومية والعادية .

والافكار التجريدية حين تبتعد عن الواقع الحي وعـن هموم الحياة اليومية للناس العاديين ، وتتصل بعالم الاسطورة واللامعقول فان الحياة المسرحية ستفتقر بالضرورة الى حرارة الحركة الانسانية ، وتتحول الى علاقات بين الافكار والمقولات.

ومرد هـذا الفقر المسرحي يعـود في تقديري الى عاملين اساسيين :

الاول : الطابع الفكري والفلسطيني التجريدي الذي اختاره غسان ليعبر من خلاله عن هواجسه الفلسفية الكبرى.

الثاني : غياب المسرح الفلسطيني الذي يمكن الكاتب من الاغتناء من التجربة المسرحيـة الحيـة والعمليـة المعاشة مع الجمهور .

فالكتابة المسرحية لا يمكن ان تنضج بغياب المسرح كمكان وممثلين ومخرج وامكانات مسرحية متعددة . ومن غياب الصلة الحية والمباشرة مع الجمهور .

الكاتب المسرحي في كثير من الاحيان يكتب وبذهنه ممثل او ممثلة معينة ، وبذهنه كذلك الامكانات المسرحية العملية المتوفرة ، وقبل ذلك كله يكتب وبذهنه جمهور معين ومدى تجاوبه المحتمل مع النص المقدم .

غسان كنفاني بغياب هذا كله كتب مسرحيته وفي ذهنه فقط الفكرة ، ولهذا اتسم البناء المسرحي عنده بطابع الحوار الفكري على حساب الحركة المسرحية ، وعلى حساب الشروط الدرامية في بناء الاحداث والشخصيات .

الشخصيات

شخصيات وابطال غسان كنفاني المسرحيـة جميعهم شخوص بلا ملامـح ، انهم مجرد نقلـة افكار ، ويتحركون ويفكرون بقرار مسبق من الكاتب ، ولهذا فهم جميعا شخصيات سكونية لا تتطور ولا تتغير وفق حركة الصراع ، فهم جميعا عباره عن مواقف جاهزة ومعدة لخدمة الفكرة .

« عاد » و « شداد » و « مرتد » و « الام » و « هبا » جميعهم يتحركون ويفكرون وفق قدرية حازمة وضمن مخطط عقلاني فلسفي مسبق ، وكذلك شخصيات « القبعة والنبي » .

النوازع الانسانية المشروعة ، وجوانب الضعف البشرية الطبيعية ، والتغير الضروري في بنية وتفكير الشخصيات نتيجة العلاقة بالآخرين وبالاحداث ، كل ذلك غائب عن مسرح غسان كنفاني ، لان غسان كما قلنا لا يقـدم شخصيات بشرية لها افكارها ومواقفها وهمومها ، ولكنه يقدم افكار يبحث لها عن شخصيات تؤديها .

انها ليست « شخصيات تبحث عن مؤلف » ، ولكنـه مؤلف يبحث عن شخصيات لتنقل افكاره .

ويحضرني في هذا المجال العديد مـن اعتراضات كبار الكتاب والروائيين عن شخصياتهم التي تتطور وتتحرك وفق مشيئتها هي وليس وفق مشيئة الكاتب ، ذلك ان الشخصية تتطور في سياق العالم الذي ينسجه الكاتب حولها ، وليس وفق قرار مسبق .

والمسرح قدم لنا نماذج عديدة عن شخصيات تمردت على المؤلف واخذت تفكر وتتصرف كما تريد هي رغم محاولات المؤلف المستميتة لاخضاعها الى ما يريده هو .

اردنا من هذا الاستطراد حول علاقة الكاتب بابطاله ان نوضح جانب الخلل او الضعف في البناء الدرامي لمسرح غسان كنفاني ، وفي بناء ابطاله وشخصياته .

البطل في مسرح غسان كنفاني

مفهوم البطل هو غير مفهوم الشخصية لان الاول يتصل بالمضمون ، بينما تتصل الشخصية بالشكل . ولقـد تناولنا موضوع الشخصيات ، ويبقى ان نتحدث عـن مفهوم البطل والبطولة في مسرح كنفاني .

يرتكز مفهوم البطل عنـد غسان كنفاني علـى ثلاثة محاور اساسية :

اولا : الرفض

ابطال غسان مسكونون برفض الواقع .. واقع السماء كما في (الباب) ، وواقع الارض كما في (القبعة والنبي) .

هم مسكونون برفض الواقع لانهم مسكونون بالمستقبل وبالرغبات الكبيرة في التغيير .

هاجس رفض الواقع ، وهاجس المستقبل او الحلم هو المقدمة الاولى لارتقاء ابطال غسان كنفاني نحو مرتبة ارقى هي التي تشكل المحور الثاني في مفهوم البطل .

ثانيا : التمرد

رفض الواقع يعني تحدي السائد والمألوف ، والتمرد عليه من اجل تغييره ، وهنا تبدأ ثنائية الصراع عنـد ابطال غسان ، ويتولد الموت كضرورة فلسفية ثمنا لهـذا التمرد ، وانسجاما من الانسان مع قناعاته واحلامه في التغيير .

هكذا فعل « عاد » و « شداد » وهكذا فعل « المتهم » . التمرد على قوانين السماء السائدة على الارض وخوض الصراع المستحيل مع الآلهة ، والتمرد على قوانين الارض واعراضها باتجاه صياغة عالم جديد وجميل .

ثالثا : الفداء

المحور الثالث الذي يشكل مفهوم البطل عنـد غسان كنفاني هو الفداء .. والفداء هنـا ليس بمعنى الاستشهاد الفدائي فقط ، ولكنه الفداء بالمعنى المسيحي ، أي الاستشهاد من اجل الرسالة .

المسيح جـاء ليصلب ، ويكـون ناديا ، هـذه هي الفلسفة المسيحية .

وابطال غسان وهم يرفضون الواقع ويتحدونه يعرفون مسبقا ان الموت ــ الفداء هو النتيجة المحتمة لمعركتكم .

هكذا مضى « عاد » و « شداد » خطوة خطوه وبحزم باتجاه الموت ، وهكذا قتل « المتهم » « الشيء » ليحمي رسالته من السقوط والمتهم والشيء كما قلنا هما شيء واحد .

في دفاعه عن الموت يقول « المتهم » ردا على « الشيء » الذي يستغرب انتحار اهل الارض : « وانتم الا يرغب احدكم في الموت من الحين لآخر » .

الشيء : الموت انها حكمة قديمة استطاعها من الاستعمال مثلها مثل كلمـة الالم ، اجدادنا الابعدون يذكرون ذلك امـا نحن فلا .

المتهم : اما نحن فنعم ..
انتم تعساء حقا !
الشيء : تعساء لاننا لا نتالم ولا نموت ؟
المتهم : نعم .
الشيء : انتم سعداء اذن ؟
المتهم : بالطبع .
الشيء : جدا ؟
المتهم : كفايه ، ولكن بصورة لا تستطيع ادراكها ..

هذا الدفاع عن الموت والالم وبانهما سر السعادة هو جوهر مفهوم الفداء عند اصحاب الرسالات العظيمه .

وغسان كنفاني مـن خلال ابطاله يقدم الرسالة التي يحملها كفنان وكفلسطيني في رفض الواقع والتمرد عليه فداء للانسان وللمستقبل وفداء لجنة الارض : فلسطين .

■

Digitized by Birzeit University Library

القنديل الصغير

قصة : غسان كنفاني

مسرحية شعرية من فصل واحد إعداد :

محيي الاشيقر

محمد زمان

الشخوص

الاميرة . الحكيم . قائد الحرس . فتيان . جند

ربما يسأل : لم هذه القصة (القنديل الصغير) . ولم جرى تحويلها الى نص مسرحي ؟

بدءاً ان هذه القصة مكتوبة وموجهة الى الاطفال ، وبأفق شفاف وواعي لا احد يجهل ما لغسان من امكانات بذلك وكيف يتعرف طريقة كتابته الجميلة والبسيطة . واذا لاحظنا ظاهرة غياب النص المسرحي الموجه للطفل ، بل ما كتب من نصوص هي بمجموعها مشروطة بمفاهيم (تعليمية) ضيقة ، ومعبرة عن مفاهيم بالية !

يضاف الى ذلك : ان العوالم التي يبنيها غسان في كتاباته توفر نفسها — وبمعرفة الكاتب — الى اكثر من اداة كما حصل (بعض من اعماله جرى تحويلها الى افلام سينمائية .. واستعدت من جل كتاباته رؤى وتصورات تشكيلية غير قليلة . وربما — ان لم يكن قد حصل — ستقدم مستقبلا اعماله الروائية بعد اعدادها الى المسرح كأعمال لا تقل قيمة عن الكثير من النصوص الدرامية المهمة.).

ونعتقد ان الجانب الاكثر اهمية في هذه القصة — المسرحية هو لامكانية وزمانية الحدث مما يضفي على العمل طابع الاسطورة بالمفهوم (البريشتي) ، مما يوفر امكانية الامتداد والحرية بتكوين التصورات الفنية — التشكيل في العرض المسرحي .

وحاولنا في النص المسرحي ان نحافظ قدر الامكان على ما توفر اليه الشهيد غسان كنفاني في نص القصة الاصل (القنديل الصغير — الصادرة عن دار الفتى العربي) مع اضافة بعض الحوارات المطورة عن مناخ العمل وبالشروط المسرحية لادامة السياق الدرامي. وجاءت الصياغة الشعرية التي قام بها الشاعر العراقي (محمد زمان) للارتفاع بجمالية عوالم القصة ، ومحاولة للتقريب الادائي.

تبقى نوعية الكادر — الممثل الذي اقترحناه قابل للابدال بكادر من الكبار .

جرى اعداد هذا النص في شباط ١٩٧٧ .

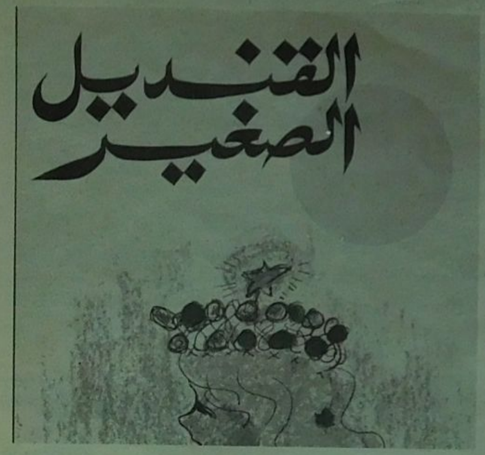

اللوحة الاولى

مشهد عام بمثابة استرجاع ، وتذكر مدينة عاش قاطنوها في ظل قيادة رجل أدار شئونها بحكمة وروية. ذلك كله يؤدى من خلال وجود كادر عمل من الاطفال* يؤدون وجودهم وحيواتهم من خلال

* حسب رؤية المخرج ، ربما يتوفر على العمل كادر من الكبار .

حركة تعبيرية عامة مرفقة بموسقى واداء المقطع الغنائي الاول.. بانتهاء المقطع الغنائي يحل ظلام جزئي على الخشبة ، والكادر مستمر في تحركه ببطء ، خلال فترة الظلام الجزئي ، ينفرز نموذجان من يسار الخشبة ويمينها ...)

المقطع الغنائي الاول: « قنديل لا ينضب يحيا فينا يحيا
يرضع من ثدي الحب ليضيء لنا الدنيا
تحيا الشمس
فينا الشمس
نحن الشمس
سنبلة تتوهج موّالا فجريا
بالوادي تتموج لو مستها الرؤيا
تحيا الشمس
تحيا الشمس
فينا الشمس
نحن الشمس»

الفتاة (١) : — نحن من ذات مدينة
عاشت الحب بظل الطمأنينة .

الفتاة (٢) : — لمَ لا .. * ←

← والعدل فيها كان سيد .

الفتاة (١) : — كل شيء كان واحد
كل شيء حولنا كان صديقا للسنابل

شمسنا .. والنهر .. والريح .. وترتيل العنادل.
الفتاة (٢) : — هكذا عشنا وعاش الكل موعودا وواعد
هكذا عشنا نغني .. ونصلي .. ←
← .. كي تظل الارض ميراثا لعرش فيه عادل .

(تعود الحركة الى مجموع الكادر الراقص بعد انسحاب الفتاتين على بقية من موسيقى المقطع الغنائي الاول (مع امكانية اضافة مشهد صامت لاحتضار وموت الملك العادل ..) .. فجأة يحصل القطع والتغيير في طبيعة الحركة والجو النفسي العام من خلال مارش عسكري مثلا ، تتبعه الحركة الجديدة المتوازية مع دلالة الموت وما أصاب هذه المدينة بموت الرجل)

الفتاة (١) : — عندما مات .. ←
← .. وكان الملك العادل محبوبا من الناس جميعا
قد بكاه الكل .. ←
← .. لكن الذي اجّج حزن الناس اكثر
الفتاة (٢) : — هو ان الملك الطيب .. ←
← .. لم يترك سوى بنتا صغيرة
ليس في مقدورها الحكم .. ←

الفتاتان (١) ، (٢) : — .. وكان الملك العادل قد خلّف للبنت وصية لم يقل فيها سوى هذي العبارات القليلة :

(تنسحب الفتاتان ، يتقدم مجموع الكادر الذي على الخشبة بخطو واحد الى المقدمة لكي ينهيا تلاوة الوصية بنبرة جماعية واضحة.. خلال ذلك تكون قد ظهرت الاميرة داخل حلبة الراقصين وبشيء من التمييز سواء في الشكل او الملابس ... بعد تقدم المجموع تتلى الوصية ..)

المجموع : — لكي تصيري ملكة
عليك يا أميرة
ان تحملي الشمس الى القصر
الفتاتان معا : — ثم قال الملك العادل في تلك الوصية
المجموع : — لكن اذا لم تقدري ان تحملي الشمس الى القصر
فانما عقابك العيش بصندوق مدى العمر .

المقطع الغنائي الثاني : — يشف في ضميرنا نشيدها
نريدنا الشمس كما نريدها
لكنها الاسوار فيما بيننا
تعيش في اعماقنا حدودها

(ظلام كلي على الخشبة .. ، وبعد ان ينسحب الجميع تبقى الاميرة لوحدها ، والى اسفل يسار الخشبة يظهر رجل كبير في السن هو ذاكرة المدينة وحكيمها تتقدم الاميرة منه بحزن وحيرة ..)

الاميرة : — أما سمعت يا حكيم القصد !؟
ان أبي كلفني بهذه المهمة العسيرة
ولا أريد ان اكون أبدا
مليكة ... فلم أزل صغيرة

الحكيم : — أيتها الوارثة الموعودة
ان قوانين المملكة الموروثة
لتحرم ان يرفض كل امير وأميرة
. . . . . عرش الحكم
والكل بها عاشوا سادة
كل بعرف واجبه
أبدا لا يتهرب منه
ولذا كان ابوك الملك حكيما حقا
اذ الزمك باحضار الشمس الى القصر ..
او العيش بصندوق طول العمر .

الاميرة : — لكن كيف !؟
كيف سأقدر ان اصل الى الشمس .
س ... سأتسلق ذاك الجبل المرتفع اذن !
فالشمس تهر بقبته كل مغيب
هه ... ما رأي حكيم القصر بهذه الخطة !؟

الحكيم : عليك يا ايتها الاميرة الصغيرة
ان تحضري الشمس بلا مساعدة .

(تغلق الجملة بضربات طبول وتخرج الاميرة بسرعة يرافق نزوحها عن الخشبة ظلام جزئي ، بينما الحكيم مستمر في وقفته ، وهو يردد الحوار التالي الذي فضلناه ان يبقى غير موزون شعرا باعتباره الحوار الخطابي الوحيد مع الجمهور ...)

الحكيم : ستصل الاميرة الى قمة الجبل .. وستكتشف ان الشمس ما تزال بعيدة وانه لا يمكن لانسان ان يمسكها ..

اللوحة الثانية

(موسيقى ملونة بمسحة حزينة مقرونة بأضاءة خافتة . الاميرة الصغيرة مطرقة تشغل مكان تواجدها في وسط الخشبة على مرتفع. تظهر مجموعة الفتيان يؤدون المقطع الغنائي الثالث وهم يخاطبون الشمس التي تظهر من خلال حقل او شجرة برتقال في العمق ، والتي تضاء كلما اقترب الفتيان منها وبتشكيل يصاحب الغناء دائرين حول الاميرة ..)

المقطع الغنائي الثالث : نسأل عنك تارة بيارة البرتقال
وتارة نبحث في جدائل الاميرة
يا من ستبقين على افق الاماني سؤال
أو مستحيلا دونه كل المنى صغيرة

(تنسحب مجموعة الفتيان مع انتهاء الاغنية ، وحال خروجهم تنيق الاميرة بينما يتسلل فتى مموه خلسة من خلال القاعة تاركا ورقة على خشبة المسرح ويخرج .. بعد سماع الاميرة لدبيب الحركة تترك مكانها فتتبته لوجود الورقة . تلتقطها وتقرأ ما جاء فيها ...)

Digitized by Birzeit University Library

الاميرة : (تقرا في الورقة وبلغة آمرة)
« ايتها الاميرة المطرقة
لن تجدي الشمس هنا ..
. . . . . في غرفة مغلقة . »

(في غمرة تفكيرها بصعوبة وتركيب المهمة الصعبة المطلوبة منها تستدعي قائد الحرس) .

الاميرة : يا قائد الحرس
قائد الحرس : لبيك مولاتي
الاميرة : علق على الجدران هذا البيان : ــ
من يستطيع اعانة الاميرة
في حمل قرص الشمس للقصر ... ينل مكافاة
من اثمن الجواهر الملألأة .

(تجري محاولة تعليق البيان داخل القاعة ، على حوامل خشبية .. خلال ذلك يتجمع عدد من الفتية باعتبارهم من رعايا المدينة ..)

فتى (١) : هلا سمعتم !
ان الاميرة الصغيرة
تريد حمل الشمس للقصر

فتى (٢) : من يا ترى !
من يستطيع ان يساعد الاميرة !؟

فتى (٣) : (وبسخرية)
مجنونة حقا هي الاميرة
فانها تطمع في المستحيل

فتى (٤) : انا اقول العكس ..
حكيمة جدا هي الاميرة
لانها تريد ان تحقق المستحيل .

(فجاة يظهر الجند من بعيد على مشارف الخشبة ايذانا بمجيء الاميرة والحكيم .. عندها يهرب الفتيان ..)

ــ اللوحة الثالثة ــ

(وسط الخشبة تعتلي الاميرة المكان المخصص لها .. يدخل الحكيم ، والى جانبه جندي يحمل شمعة بطول الاميرة وقد ذوى جزء منها ...)

الحكيم : ايتها الاميرة :
كما ترين ... الوقت ضيق
وتوشك الشمعة ان تذوب
ان اباك الملك العادل قبل ان يموت ،
اوصى بأن اضيء شمعة بطولك
حتى اذا انتهت قبل حضور الشمس
ستوضعين في صندوقة كالرمس

(يخرج الحكيم والجندي .. تبقى الاميرة بمكانها غارقة في الحزن . بعدها تترك مكانها وتتجه صوب مكان خصص لوضع التاج والملابس المنتظر تسليمها اياها حال تنفيذها الوصية.. تتملى المكان بهدوء وتتعرف عن قرب بانه لن يتيسر لها الحصول على هذا ! وبينما هي في ذلك .. يجري اداء المقطع الغنائي الرابع)

لا تقفي اسيرة الديجور
المقطع الغنائي الرابع : بل سابقي النيران والاشواق
فالشمس ينبوع لنا من نور
والنار في الشمع وفي الاعماق

(الاميرة تفصح عن موقفها المحرج بالصمت والوجوم .. فيعود الحكيم والجندي حامل الشمعة . فجاة يدخل قائد الحرس .)

قائد الحرس : اميرتي الاميرة :
بعض من الرعايا
لديهم اقتراحات
فهل نسمح لهم بالدخول

الاميرة : (تخرج منوجومها متحركة على الخشبة استجابة لهذا الحدث)
ماذا اذن تنتظر
ليدخلوا سريعا
(يدخل فتيان وبلهفة تستقبلهما)
جزيل شكري لكما
ماذا علي يا ترى تشيران

فتى (١) : نصيحتي :
ان تصعد الاميرة
اعلى بروج القصر
حتى اذا ما مر قرص الشمس
تصطاده بالسهم

الاميرة : (للحكيم)
ماذا يرى الحكيم ؟

الحكيم : (من مكان تواجده الاعتيادي)
هذا اقتراح خطير
فقد يصيب السهم منها مقتلا
فتسقط الشمس هنا ميتة

الاميرة : مع الحكيم الحق
علي ان احضرها سليمة
(تتوجه الى الفتى الآخر)
والان انت ... ما الذي تقترحه !؟

فتى (٢) : (كمن خطر له شيء وعدل عن آخر)
اما انا ... فاقترح :
ان تصعد الاميرة الحيرى على سلم
من فوق برج القصر ... حتى تركب السحابة
وعندها تطارد الشمس ..
لكي تصطادها بالشبكة .

الحكيم : (يهب لهذا الاقتراح)
هذا اقتراح اخطر
فقد تذوب تحتها السحابة
فتسقط الاميرة
على الثرى قتيلة .

(تعود الاميرة الى يأسها ... ثم خلال شرودها وانهيار الاقتراحات يكون هناك ثمة رجل عجوز يحمل قنديلا قد دخل القاعة محاولا اعتلاء الخشبة ولكن الجند والحرس يقفون فيطريقه فيسمع اللغط.. تلتفت الاميرة لكي تشهد الموقف او الحدث هذا.. يفاجاها عناد الرجل العجوز فتسمع صوته ..)

الرجل العجوز : اريد ان ادخل كي اساعد الاميرة
اريد ان ادخل كي اساعد الاميرة .

جندي : وهل ستستطيع انت ايها العجوز
انقاذها من هذه الحيرة !؟

الرجل العجوز :
هه .. حسنا .. قولوا لها :
ان لم يكن في وسع انسان عجوز مثلي
. . . . . دخول قصرها
كيف اذن تطمع في ادخال قرص الشمس للقصر!؟

(خلال استدعاء الاميرة لقائد الحرس يكون الرجل الفقير حامل القنديل قد ترك القاعة)

الاميرة : يا قائد الحرس .
القائد : لبيك مولاتي .
الاميرة : من الرجل ؟
القائد : شخص عجوز ... كشفوا جنونه
كل مساء يأتي
يحاول الدخول والحراس يمنعونه .

الاميرة : ما هي اوصافه ؟
القائد : ان هو الا رجل فقير
ودائما يحمل قنديلا صغير .

الاميرة : (تفكر في الامر لوقت.. ثم تامر قائد الحرس)
غدا اذا العجوز عاد
فلا تسدوا دونه الابواب ..

ــ اللوحة الرابعة ــ

(اعلى وسط الخشبة تقف الاميرة مسمّرة في مكانها .. ظهرها الى الجمهور شابكة انامِلها على راسها كمن ينتظر معجزة في معبد ... خلال ذلك يؤدى المقطع الغنائي) .

المقطع الغنائي الرابع : ــ وانت في بحر السماء مركب للنور لا يرسو
نحن على الارض نصلي لك ايتها الشمس
هلا تحطين على شاطئنا المهجور كالزورق
لتنقذي اميرة المملكة الحيرى من المأزق

(الاميرة في مكانها ... يدخل الحكيم بهدوء وثقة ..)

الحكيم : ايتها الاميرة :
قد شارف الوقت على النضوب
فالشمعة الكبيرة
توشك ان تذوب
والحزن والبكاء يا وريثة المملكة
ليسا يحلان لك المشكلة .

(تنتفض في حركة موضعية معبرة عن توصلها الى حل جزئي. مستدعية قائد الحرس وبلغة آمرة)

الاميرة : يا قائد الحرس .
القائد : لبيك مولاتي .
الاميرة : أريد ان تحضر فورا
للقصر كل رجل في المملكة
يحمل قنديلا صغيرا

القائد : (بتهكم)
اميرتي :
اكل هذا الاهتمام الميمون
من اجل انسان عجوز مجنون .

الاميرة : (بغربة تامة)
لا بد ان اجرب العجوز .. لا بد لي
فقد تكون عنده مفاتيح الحل
(يلتفت قائد الجند وبحركة موافقة .. مناديا الجند)

Digitized by Birzeit University Library

القائد : (يصفق بيديه للجند)
انتشروا يا جند في المدينة
وانتظروا الظلام
ثم احضروا للقصر كل رجل
يحمل قنديلا صغيرا فورا .

ـ اللوحة الخامسة ـ

(ظلام تام يلف الخشبة والقاعة .. ظلام مبت .. لا وجود لاي شيء ولا لاية حركة .. فجأة . تدب الحركة في نهاية القاعة من خلال دخول المجاميع الكبيرة للاطفال من حملة القناديل المضاءة .. تضاء الخشبة والقاعة تدريجيا بوصول هذه المجاميع التي تخفي وجوهها وراء القناديل المحمولة بايديهم .. الاميرة من مكانها الى الجند .. والجميع مستغربون ..)

الاميرة : (تردد)
لتوسعوا الابواب
لتوسعوا الابواب

القائد : لا يمكن الدخول يا اميرتي
فلم تزل منذ وفاة والدك
مغلقة ابواب هذا القصر
بل انها صغيرة ..
.. اضيق من ان تسع الجموع .

الاميرة : فلتهدموا اسواره العالية
ولتوسعوا ابوابه الضيقة .

القائد : لتهدموا الاسوار يا جنود
ولتوسعوا الابواب للحشود .

الاميرة : ليدخلوا حالا اذن
لكي نرى العجوز .

القائد : ان الوجوه ههنا مشتبهة
لن استطيع ابدا ايتها الاميرة
ان اعرف العجوز .

الاميرة : بل انني لم اتصور ابدا
يوجد في مملكتي جميع هذه القناديل .

القائد : لا ريب انهم يخافون من اللصوص !

الحكيم : كلا .. فحين يهبط الظلام
يحمل كل رجل قنديله الصغير
كي يعرف الطريق .
(ثم موجها الحديث للاميرة)
وانت هل ..
هل تقدرين يا صغيرتي الحائرة
حمل القناديل جميعا دفعة واحدة .

الاميرة : بالطبع لا .

الحكيم : كذلك الشمس .. فانها
اكبر من ان يستطيع مسكها
امراة لوحدها او رجل لوحده .

(تتحرك الاميرة بين الجموع ممتلئة فرحا وهي تردد ..)

الاميرة : الان قد فهمت كل شيء
ان القناديل الصغيرة اذن مجتمعة
هي .. هي الشمس التي قصدها والدي .
(خلال ذلك تفتح كوة صور خلف الخشبة ..)

الحكيم : (معقبا على حوارها)
هذا صحيح ... لكن انظري الى هناك .

الاميرة : لله ..! هذا قبل لم يحدث
شيء عجيب حقا .

الحكيم : اجل .. اجل . يحدث هذا ههنا للمرة الاولى
لانك الاسوار قد هدمتها
وهذه الابواب قد فتحتها
. . . . وهل نسيت ان تلكم الاسوار
هي التي تحجب نور الشمس
وتمنع الشعاع من دخول هذا القصر .

(هنا تؤدى رقصة تعبيرية مع الكادر بأكمله وهم يؤدون المقطع الغنائي ، وبصحبتهم الاميرة ..)

المقطع الغنائي السادس :

يا حكمة المجموع	تجذري فينا
كي يرتوي بالنور	غصن أمانينا
لسنا سوى أوتار	تنشد فوق العود
كذلك الحبات	يجمعها العنقود

(توقف مؤقت للأداء .. للغناء والرقص .. فيتقدم الحكيم بحواره الى الاميرة ويبدا الاداء ثانية بعد انتهاء الحكيم من حواره ..)

الحكيم : الان قد اصبحت حقا ملكة
لانك استطعت ان تنفذي الوصية
وانك استطعت يا صبية
ان تحملي الشمس الى القصر .

* الحوارات المرتبطة بالاسهم هي شطور مدورة التفعيلات .

ـ انتهت ـ

في تقديم غسان
إغناء لذاكرة الشعوب ولمسيرة التحرير والثورة

بقلم سامي ذبيان

الكتابة عن غسان صعبة ، لان قراءة غسان اصعب . اذ من يريد ان يكتب عنه ، لا يستطيع الا ان يقرأه . كما ان الكتابة الجادة عنه لا بد من ان تتناوله في كافة انماط تفكيره ، وممارسات نضاله ، واشكال التعبير المتعددة لديه . لذا من يقرأه يجد نفسه مضطرا لقراءته ككاتب سياسي مقالا وتعليقا ودراسة ، وكقاص وروائي سياسي ايضا ، وكلاعب بالريشة واللون فاذا بلوحاته تجسد تطلعاته وفكره وممارساته . ويضطر لقراءته كرجل اعلام ذاك الاعلام الثوري المتقدم الذي مارسه غسان بثقة . وبتطلعات وأهداف صحافي هاو لثوري محترف .

قراءة تستغرق وقتا ، لذا ، فالحديث مقبول عن مؤسسة غسان كنفاني، مؤسسة كان في حياته ، كما هو الآن الخاتمة البطولية الدائمة الفعلية والحقيقية لمعظم قصصه حتى ان الذين اغتالوه ، اما انهم قرؤوه الى درجة انهم سقطوا متآمرين ، جبناء خائفين ، عاجزين امام ما كتب ومضمون ما كتب ، وفاعلية ما كتب، واما انهم اغبياء ، لم يستوعبوا تلك القدرة التي تصدوا لها ، فاورثوا مسيرة التحرير خسارة لا تعوض .

واذا كان غسان كنفاني يمتاز بهذه الغزارة في الانتاج ، فانه قد ارسى صيغة التفكير والكتابة ونمطا لا يضارع في المعالجة . كانت قنوات النضال بالنسبة له واضحة محددة : القنوات القومية . هكذا فهم الثورة الفلسطينية منذ اعطاها ذاته متراسا في اطار حركة القوميين العرب ، في الستينات ، بقيادة المناضل الدكتور جورج حبش. لكنه ومع انطلاق صيغ جديدة لحركة شعب فلسطين الثورية، في أواسط الستينات وجد غسان نفسه يناقش بحدة صيغة انطلاق « العاصفة » يوم ذاك .

يومها تلقت جريدة «المحرر» رسالة من مقاتل في العاصفة ، تناقش الحصار الاعلامي حول الوحدات الفدائية الجديدة التي انطلقت تنفذ عمليات داخل الاراضي المحتلة ضد اسرائيل . واحتدم النقاش وشارك الجميع فيه ، وكانت المقولة ، هل هناك امكانية لانطلاق صيغ نضال ضد اسرائيل خارج القنوات المعروفة والمتعارف عليها ؟

ورغم ما كتبه غسان في البداية ، ردا على رسالة من مقاتل في قوات الصاعقة ، رافضا تواجد اي نضال خارج الصيغ المعروفة ، الا انه عاد ووجد نفسه يتخذ موقفا موضوعيا منطلقا من الثقة بمخزون الامة النضالي ، ومن المعطيات الموضوعية لكافة أشكال القتال ضد اسرائيل لقد دلل غسان بذلك على فهم علمي للوقائع ، اذا : مرفوض كل ما هو غير معروف من جانب الجماهير . لكن كما ان تقبل الجماهير بذلك حتى يصبح ذاك الامر مقبولا . من هنا الشعار الذي حملته « الهدف » « كل حقيقة للجماهير » الجماهير هي المقياس .

من هنا ، كان غسان كنفاني للثورة الفلسطينية ، لثورة شعب فلسطين ولحركة شعوب الامة العربية كلها ، كتب لها ، حرك الالوان فوق اللوحة من اجلها ، ناضل كي تنتصر . بهذا المنطق نفسه ندعو لوضع استشهاد غسان كنفاني موضعا شموليا فلسطينيا ، عربيا ، يتم احياؤه في اطار اسبوع يشهد تقديما فعليا له . اذ في تقديمه اغناء لذاكرة الشعوب ، ولمسيرة التحرر والثورة في رحاب هذا الوطن العربي الكبير .

نطلق هذا عبر «الهدف» وبوصاية مناضل حمل الشعلة بعد غسان وهو بسام ابو شريف املا في ان يكون التمجيد الناجح لذكرى غسان مناسبة نضال تتكرر عاما بعد عام .

Digitized by Birzeit University Library

• أحد الأصدقاء الذين عاشوا حياة غسان منذ ولادته وحتى استشهاده يقول لـ «الهدف»

غسان ذكرى لا تنتهي، لقد ولد على عجل.. ورحل على عجل

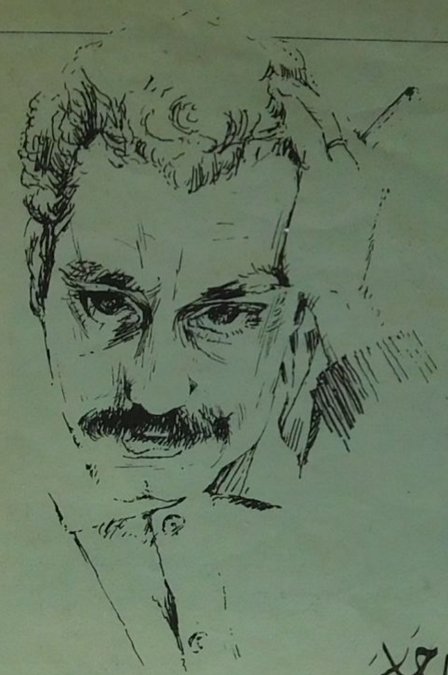

الهجرة من الوطن الى «الغازية» بسيارة شحن كانت أقوى التأثيرات على حياته وأدبه فيما بعد

أجرى اللقاء
امجد ناصر

الاعوام القليلة التي انقضت على غياب رفيقنا غسان ، لم نزده الا حضورا ، والعبوة التي انفجرت في سيارته في صبيحة اليوم الثامن من تموز ، أشعلت في « حطب الروح » ناره الدائمة ، ورفعت فوق الاكتاف بيارقنا حمر . منذ ذلك اليوم — ٨ / ٧ / ١٩٧٢ — لم يتقطع غسان عن « الهدف » . انه يكتب هنا ، ويشرف على « الاخراج » هناك . يتناول قهوته الصباحية ، مع بعض المحررين ، ويصحح الكتابات . نحسه بشكل كثيف في الحبر ، والورق الابيض ، ومن نظرته المطمئنة ، التي تلامس اكتافنا ، تشعر بالرضى ، وتذهب الى الكتابة ، فرحين .

استشهاد غسان ، كان التاج الذي اتكأ على عمر سريع موغل في الابداع ، والخلق . كانت الشهادة اذن خاتمة جميلة ، لعمر جميل . الذين عرفوا غسان في خاتمته الجميلة ، ربما لا يعرفون ناتحته الاولى — الطفولة ، والشباب — ، والذين عرفوه مناضلا ، صلبا ، ثبت الجنان ، ربما لا يعرفون ذلك العود الطري ، المفعم بالزهور ، اشياء كثيرة ، من مراحل حياته الاولى ، ظلت بعيدة عن الجمهور العريض ، الذي كرس غسان حياته واستشهاده من اجله ... ومن أجل أن تظل حياة غسان — كل حياة غسان — في الشمس والضوء ، ذهبت « الهدف » الى صديق طفولة وحياة غسان واحد المطلعين بحميمية على تفاصيل حياته ، ذهبت اليه « الهدف » لتلتقي غسان صغيرا ، وطالبا ، ومدرسا ، ومناضلا ، ولأسباب خاصة تمنى هذا الصديق عدم ذكر اسمه ، بل اكتفى بالحديث عن غسان . فكان هذا الحديث .

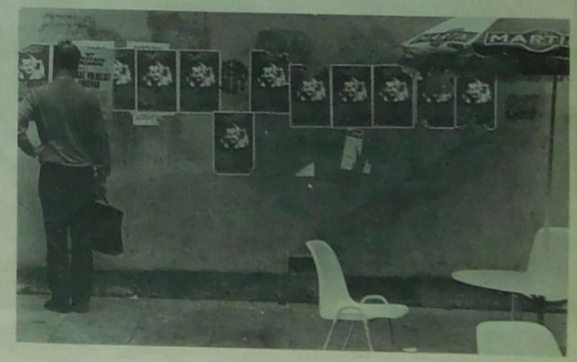

ذلك الطفل الضئيل الجسم ، الواسع العينين .

* تكاد تكون طفولة الشهيد غسان كنفاني ، مجهولة من جمهور القراء ، الذين تابعوا غسان في مرحلة متقدمة من عمره ، عبر ابداعه الادبي ، وكتاباته الصحفية والفكرية . هل يمكن أن تحدثنا عن هذه المرحلة ، بصفتك صديق طفولته ؟

● غسان الذكرى التي لا تنتهي . غسان ولد على عجل ورحل على عجل . وبين المرحلتين كان في عجلة من أمره . كانت لديه الرؤيا المصيرية كما يبدو . غسان من أسرة متوسطة من عكا . أبوه كان محاميا تخرج عام ١٩٢٩ من القدس ورحل من عكا مع زوجته الى يافا ليبدأ حياته العملية . بعد سنوات بدأت تثمر جهوده ، وباخلاصه في عمله ، ليعيش وأسرته حياة ميسورة . غسان كان ثالث أبنائه ، والوحيد بين اخوته الذي ولد في عكا ، أثناء عطلة الربيع المدرسية ، حيث كانت الاسرة تقضي معظم اجازاتها هناك .

والطريف في ولادة غسان انه ولد قبل أن تتمكن أمه من الوصول الى سريرها لولادته .

كان في طفولته ضئيل الجسم ، واسع العينين ، جعد الشعر قليلا ، منزويا ، قليل الاختلاط ، يلعب مع الاطفال دون دوي ، يحرضهم على « العفرتة » دون أن يبدو عليه ذلك . دخل طفلا الى مدرسة « الفرير » بيافا ، والوحيد الذي كان بيننا يرطن ببعض كلمات فرنسية . كنا نعتبرها ميزة . في أواخر عام ١٩٤٧ ، بعد قرار التقسيم ، وبعد أن بدأت الاشتباكات بين العرب والصهاينة ، وكان أولها بين حي المنشية في يافا الملاصق لتل أبيب ، حيث كانت تسكن اسرة غسان في منطقة تدعى « حمامات اليهود » قريبا من شاطىء البحر ، تعطلت المدارس ، وحضرت عائلة غسان الى عكا ، ثم لحق بهم والده . ظلوا في عكا حتى ٢٧ نيسان ١٩٤٨ . أي بعد يوم واحد من أول هجوم صهيوني تهجيري على عكا ، حيث تدافع الناس للهرب ، بعد ليلة الهجوم وكان ان استاجر اعمام غسان ، سيارة شحن كبيرة ، وضعت فيها بعض الامتعة ، وجلس فوقها مجموعة من الاسر ، منها عائلة غسان واتجهوا نحو لبنان ، عبر الناقورة الى بلدة « الغازية » قبل مدينة صيدا بقليل ، حيث سكنوا في بيت ، في أعلى القرية (آنذاك) على سفح جبل لمدة أقل من شهر . هذه الرحلة يبدو انها كانت أول وأهم التأثيرات في حياة وشخصية غسان الادبية والنضالية ، اذ انه وبعد عشر سنوات تماما ، رواها في قصة من أجمل قصصه « أرض البرتقال الحزين » ، وأطلق هذا الاسم على مجموعة من قصصه الصغيرة .

ان غسان الذي ولد في ٩ نيسان ١٩٣٦ قد عاش على ارض فلسطين ، اثنا عشر عاما وبضعة أيام فقط . لا أعتقد انها كانت وحدها كافية للشعور بحرارة الوطن والالتزام بالقضية ولو قرأنا « عائد الى حيفا » الذي كتبها غسان في وقت لاحق جدا ، لعرفنا ما هو الوطن ولو عشنا مع غسان في الفترات اللاحقة ومع الآخرين لعرفنا سر هذه الصدمة الثورية التي عاشها غسان .

نصف اللبرة التي اعادته الى البيت فرحا

* في اثر هزيمة ١٩٤٨ ، غادر غسان مع اسرته الى دمشق ، حيث بدأت مرحلة أخرى من تجربته الحياتية . في هذه الفترة — بدأت — كما نعتقد — تتوضح موهبته الادبية والفنية المبكرة . هل تتذكر كتاباته في تلك الفترة ، وهل كان يدفع هذه الكتابات للنشر ؟

● من « الغازية » انتقلت الاسرة الى حلب لأيام حيث الطقس مثلجا باردا ، ثم الى الزبداني ، وبعدها الى دمشق ، حيث استقرت الاسرة في بيت قديم في حي يدعى « الشابكلية » قرب مبنى الاذاعة السورية القديم .

في الايام الاولى كان على أفراد الاسرة تامين لقمة العيش ، فعمل الاب والام والاولاد في أعمال بسيطة بالكاد تؤمن لهم الخبز . اختهم الكبرى التي كان لها تاثير كبير على غسان انكبت على دراسة « الموحدة » لمدة شهرين أو أقل ونجحت وعينت مدرسة في احدى القرى ، وتحسنت أحوال الاسرة المعيشية قليلا . ومن قصص تلك الفترة التي كان يرويها غسان انه عمل وشقيقه فترة (بعد تحسن الاحوال) في كتابة الشكاوي على أبواب المحاكم للاميين ، ويوما جاءهم رجل من احدى القرى يريد ان يعنون رسالة لقريب له في الخارج باللغة الاجنبية ، ولم يجد بين كتاب الشكاوى من يحسن الاجنبية سوى غسان وشقيقه ، ومن شدة فرح القروي تقدهم نصف ليرة سورية فما كان من غسان وشقيقه الا ان حملا أغراضهم وعادا الى البيت راكضين فرحا بهذا المبلغ الكبير !

من أحداث هذه الفترة استوحى غسان الكثير من قصصه ، لعل اهمها قصة « زمن الاشتباك » ، و « كتب ايضا » ، ومنها يتبين مدى تاثر غسان الشديد بتلك الفترة العصيبة من حياته .

في دمشق أكمل دراسته الثانوية في المدارس المجانية المتاحة آنذاك ، وبدا في تلك المرحلة المبكرة ميله الشديد الى الادب . اشترك في برنامج للطلبة كانت تعده الاذاعة السورية ، كان يكتب له ويمثل ، وما زال لدينا نماذج من هذه المسرحيات والقصص التي كتبها بخط يده ، اذ انه احتفظ بها طيلة الوقت ، برغم تطوره الادبي الشاسع منذ تلك المحاولات .

الشاب النحيل الذي كان يقف امام جناح فلسطين

* كما نعلم ، درس غسان بعد تخرجه من المدرسة في المخيمات الفلسطينية — السورية . هل يمكن أن تحدثنا عن انعكاس هذه التجربة على نفسية وأدب غسان فيما بعد ؟ وهل استمرت تجربة التعليم هذه ، طويلا ؟

● بعد أن أتم غسان دراسته الثانوية ونال « الموحدة » بعلامات مرتفعة جدا بالادب العربي ، ومنخفضة بالعلوم والرياضيات عين مدرسا في مدرسة « الالبطي » للاجئين الفلسطينيين ، ودرس الرسم ، وكان ذلك عام ١٩٥٤ ، حين أقيم معرض دمشق الدولي لأول مرة وكان الزائر يشاهد أمام جناح فلسطين المتواضع ، شابا نحيلا يستقبل ويحدث وكان هذا الشاب الذي اشرف على انجاز هذا الجناح رسما وتنظيما هو غسان نفسه .

تدريسه في هذه الفترة كان المدد الخصب لتجارب الآخرين التي اطلع عليها عبر تلاميذه وعبر غوصه في مشاكلهم الخاصة ومشاركتهم اياها وقد استوحى من هذه العلاقة الكثير من روائع قصصه نذكر منها على سبيل المثال « كعك على الرصيف » ، في هذه الفترة أيضا كان اتصاله بحركة القوميين العرب ، وحبذا لو كان بالامكان التحدث عن هذه العلاقة مع أحد رفاقه في الحركة ، في تلك الفترة .

الكويت و « موت سرير رقم ١٢ »

* من دمشق ، الى الكويت ، غادر غسان للعمل ، وكما هو واضح في كتاباته كان لهذه الرحلة تأثير طاغ . هل يمكن أن تحدثنا عن « مرحلة » الكويت ؟ وهل أقام بها طويلا ؟

● عام ١٩٥٥ عين غسان مدرسا في الكويت بعد ان كان سبقه للعمل فيها شقيقه وشقيقه ، ومكث غسان في الكويت مدة أربع سنوات ، كان لها التاثير الكبير على مسيرة غسان ، أولا استمر تفاعله مع حركة القوميين العرب ، وكان قد أصبح عضوا فعالا في الحركة . كان يكتب في صحفها التي تصدر في الكويت ، وكذلك في صحيفة الرأي الدمشقية التي كانت تعبر عن رأي الحركة . كان يراسلها شتاء ويعمل

كانت مفاتيح
شقته الصغيرة
في بيروت
موزعة على الاصدقاء
في
كل البلدان

Digitized by Birzeit University Library

بها صيفا ، كان يكتب ويرسم الصور الكاريكاتورية ، وينظم القصائد (التي جعلته يكتشف انه ليس بشاعر) .

والكويت شهدت نهم غسان الشديد للمطالعة وكان يذكر انه مكث عليه فترة هناك ، كان يقرأ فيها كل يوم كتابا . وفي فترة وجوده في الكويت جرت مسابقة للقصة القصيرة ، تقدم غسان بقصة « القميص المسروق » ونالت القصة الجائزة الاولى بفرق شاسع بالتقدير عن القصة التي تلتها ، ومنذ ذلك الحين اخذت موهبة غسان القصصية تظهر ، وكتب كثيرا من القصص القصيرة . لقد كان غسان أول من كتب عن شعب الخليج في قصته الشهيرة « موت سرير رقم ١ » كذلك ظهرت في الكويت مواهبه كمعلق سياسي ، وكتب تحت اسم مستعار مجموعة من التعليقات الهجومية على انحراف نظام عبد الكريم قاسم في العراق وبقي الكاتب المستتر مجهولا الى فترة طويلة حتى من أقرب الناس اليه .

وفي الكويت بدأ غسان في الاطلاع العميق على النظرية الاشتراكية ، بحكم صلات خاصة ، وقام بدراستها ، ووضع كتابا في نقد بعض وجهات النظر الاشتراكية ، ولكن هذا الكتاب لم ينشر قط .

وفي الكويت بدأت مسيرة الآلام في حياة غسان . أصيب بداء السكري بنسبة مرتفعة جدا ، وفاترت كتاباته في تلك الفترة بذلك ، فبدا سوداويا أحيانا رغم انه كان يولد الالم من قلب المأساة ، وبدا هاجس الموت يدق بعنف في أحاسيسه .

في بيروت ، غرفه بمنه مفتاح وعمل متواصل

* لماذا اختار غسان مدينة بيروت محل اقامته الدائمة ، علما بأنه تنقل في أكثر من عاصمة عربية ؟

● الواقع انه في عام ١٩٥٩ كانت الحركة قد قررت اصدار مجلة « الحرية » في بيروت ، وحضر غسان في صيف ذلك العام للمشاركة في العمل الجديد ، وانتقل بتكليف من الحركة عام ١٩٦٠ نهائيا الى بيروت لهذا السبب . واستأجر شقة صغيرة مع أحد الرفاق الطلاب — في نزلة أبو طالب ، برأس بيروت — وأعتقد ان هذا الرفيق كان الدكتور غسان عطية الذي يعيش الآن في العراق ، فقد كان مكتوبا على جرس الباب ، « غسان وغسان » ، وأصبحت هذه الشقة نزلا للقاصي والداني .. نسخ من مفتاحها كانت موزعة في كل البلدان ، ولم يكن من الغريب أن يحضر أحد مستأجريها — غسان أو غسان — للنوم في آخر الليل ، فيجد انها تعج بالنزلاء فيقفل عائدا ادراجه الى أن ينقضي الليل .

* في أوائل الستينات كان غسان يعاني من مشاكل جمة . مرض مزمن ، وعمل متواصل ، مشاكل تنظيمية وغربة ، مشاكل اقتصادية ، نوبات الاغماء بسبب المرض والانهاك وقة الطعام شبه يومية . وكم من أصدقائه ومعارفه فاجاهم وهو يقع مغميا عليه في الطريق أو المكتب أو البيت .

عن تلك الفترة العصيبة ، كتب رواية لعلها نوع من المذكرات الشخصية ، أسماها « اللونس الاحمر المبت » كان مترددا في نشرها . وقد وجدت في مذكراته في وقت لاحق اشارة الى انه أصبح من الممكن نشرها .

كما استولت هذه الفترة اضافة الى تراكمات حياته السابقة ، ومن ثم وعيه لقضيته ، استولدت أشهر رواياته « رجال في الشمس » ، التي كتبها في أوائل عام ١٩٦١ في فترة كان مضطرا فيها ملازمة منزله بسبب نقص أوراقه الشخصية .

وفي بيروت كما هو معلوم ، عمل غسان في مجلة « الحرية » وكان يكتب في عدة صحف أخرى ، أهمها المقال الاسبوعي الذي كان يكتبه كل اثنين في « المحرر » الاسبوعية ، الى أن اتفق مع صاحبها المرحوم هشام أبو ظهر لاصدارها يومية ونرأس غسان تحريرها منذ عام ١٩٦٢ ، حتى أواخر عام ١٩٦٧ ، وأصدر في هذه الفترة مجلة « فلسطين » الملحق الخاص بالمحرر والتي ما تزال للآن من المراجع المهمة حول القضية الفلسطينية ، كما قام — غسان — في هذه الفترة بالتعريف بأدب الارض المحتلة وشعراء المقاومة ، وجند من أجل ذلك العديد من الاصدقاء ، وخاصة الاجانب ، لتزويده بصحف الارض المحتلة ، ومطبوعاتها . أنشأ لأول مرة في الصحافة اليومية ، صفحة داخلية خاصة بالتعليقات والتحليلات السياسية ، وهي الصفحة التي تعتمدها الكثير من الصحف اللبنانية حتى الآن . وكان يشرف يوميا على اصدار الصحيفة بنفسه وعلى كل دقائق اخراج الصحيفة ، وقلما عاد الى منزله قبل منتصف الليل .

بعد حرب عام ١٩٦٧ ، انتقل الى رئاسة تحرير ملحق الانوار وشارك في تحرير الانوار ، وكتب التعليق اليومي في الصفحة الاولى حتى عام ١٩٦٩ حين أعاد اصدار مجلة « الهدف » الاسبوعية والتي كان يصدرها أحيانا يومية ، حيث كانت تستدعي

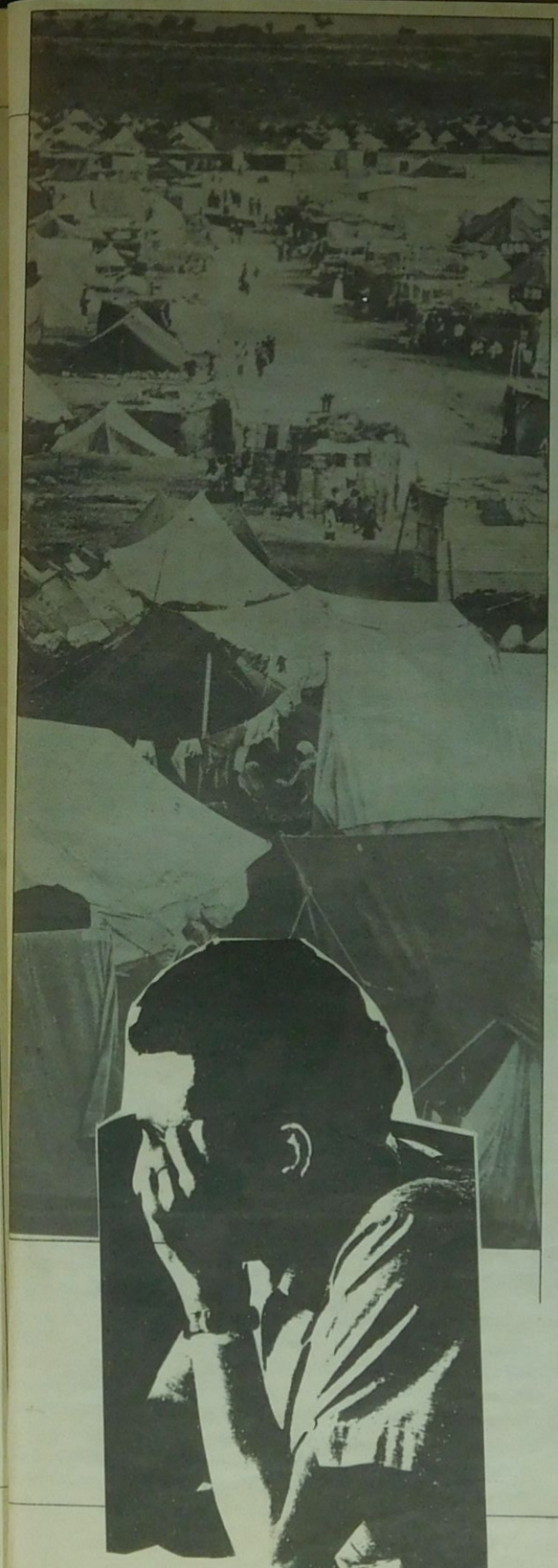

الاحداث ذلك . وبقي في موقعه هذا بالاضافة الى مواقعه السياسية والادبية والتنظيمية الاخرى حتى استشهاده في ٨ تموز ١٩٧٢ .

الآحاد لأولاده وزوجته وحديقة منزله

* واضح من خلال حديثنا ان انصراف غسان الكامل ، كان نحو العمل ، سواء السياسي منه ، أم الصحفي ، أم العمل الابداعي الصرف ، ولكن عدا ذلك ، ما الذي كان يفعله غسان — الانسان ، في أوقات فراغه المتاحة ؟

● كانت من أمنيات غسان العناية بالزراعة والارض مع انه كان يجهل ذلك تماما وحين تسنى له السكن في بيت له حديقة صغيرة خصص يوم عطلته الاسبوعية للمكوث في منزله بين زوجته وأولاده وداعيا أصدقاءه في أغلب الاحيان للعمل معه في حديقة المنزل وانقلبت هذه البقعة الوحشية الملينة بالصخر والحجارة بفضل لمسة الفنان الى بقعة حميمة يحلو الجلوس فيها ، الياسمين يعريش على الشباك والحشائش الخضراء تغطي بعض أن ضمحا والعريشة التي زرعتها « أم سعد » من عود يابس برعمت بعد حين بعنفوان له صوت .. وانية زجاجية زرعت بين الصخور وتدلت منها العروق الخضراء وجذوع الاشجار التي صارت مقاعد . كلها أعطت غسان بعضا من الجو الهادىء الذي كان يحلم به .

لا ننسى أيضا اهتمامه بالرسم وكان ذلك هو النافذة التي يرتاح فيها كلما اشتدت عليه هموم العمل . كان ينقطع عن الرسم أشهرا أحيانا ويأتيه النداء فيجلس ساعات وأياما متواصلة يرسم ويرسم .

لا أذكر أن غسان هوى يوما نوعا من التسلية لتمضية وقت ضائع .. أحيانا كنا ندعوه للعب بعض ألعاب الورق وبعد خمس دقائق كان بتركنا بعد أن يمل ذلك لقراءة كتاب أو للحديث عن آخر كتاب قرأه أو للحديث عن حدث سياسي . وأذكر هنا كره غسان الشديد لمعظم أخبار صفحة المجتمع التي تنشر في الصحافة اليومية وخاصة اخبار فلانة أو علانة التي كانت تصفف شعرها هكذا وتلبس كذا وكذا ... كان يشطبها رأسا ...

قال للصحفي : الست من الجنوب ؟ من يفهم الجنوب سواك ؟

* كان لغسان عدد غير قليل من الاصدقاء والزملاء والاقارب ، كيف كانت علاقات غسان بهم ؟ هل كان يحرص على زيارتهم ، والالتقاء بهم ، رغم معرفتنا بحجم الاعباء والمشاغل الملقاة على عاتقه؟

● آخر ما كان يفكر فيه غسان تنظيم زيارات دورية وواجبات اجتماعية لأصدقائه وأقاربه .. كان ذلك يتم عضويا .. حسب الحاجة أو القرب المكاني للزيارة أو الدعوة لغداء أو عشاء وكان كل أصدقائه يقدرون ظروف عمله المرهق وقلما عاتبه أحد من أجل ذلك بل رحبوا بزياراته مهما كانت متفاوتة . أما علاقاته مع أصدقائه والعاملين معه فقد كانت بحق فريدة .

ان غسان برغم كل المسؤوليات التي تولاها لم يحس لحظة واحدة بانه متميز وبأن ما يستطيعه هو لا يستطيعه سواه بل كان هاجسه دائما ان كل انسان يمكن أن يكون شيئا اذا أعطيت له الفرصة والقصص عن الفرص التي أتاحها للآخرين ، والتشجيع الذي قدمه هي قصص كثيرة يمكن أن نروي بعضها ويمكن لأصحابها رواية معظمها . كان غسان دوما يفتش عن المواهب الجديدة يشجعها ويقودها بخبرته الصحفية الى طريق النجاح .

أحد المحررين وكان من الجنوب كان يعمل في تحرير بعض الابواب دون تركيز .. يتحدث عن أشياء عامة ، ويوما دعاه غسان وقال له : الست من الجنوب ؟ وكم هي مشاكل الجنوب ومن يستطيع أن يعيها أكثر من ابنائها .. لماذا لا تذهب الى هناك تقابل الناس وتناقشهم وتأخذ من مشاكلهم وتكتب عنها شيئا خاصة ولا تظل تكتب في العموميات . وكان ذلك وصار هذا المحرر من أفضل من حلل وناقش مشاكل الجنوب .

ويوما كنا نجلس ونتحدث ونتناقش التفت غسان الي وقال : لماذا لا تكتب . استغربت : أنا ؟ .. قال نعم لو تكتب كما تتكلم لنجحت . اكتب أي شيء .. اكتب .. وكتب وأخذ الورقة مني .. ضحك ولم يهزأ . ما كتبت لا يملأ فقرة من عمود .. مزقها واكتب سواها . وكتبت بعد ذلك سنوات وسنوات ، زوايا وتعليقات .

مرة كنت أزور الكويت وأخذت عنوان أحد أصدقاء غسان في احدى المجلات ، جلست مع رسام المجلة الى أن يتسنى لي مقابلة الصديق . جرنا الحديث . قال الرسام أتعرف كيف امتهنت الرسم . كنت طالبا في « عين الحلوة » يستهويني رسم الكاريكاتور وكنت أبعث ببعض الرسوم البداية الى زاوية القراء ونشر لي غسان بعضها وشجعني وطلب مني الاستمرار في الرسم والمحاولات حتى استحرى اسلوبي ونجحت وها أنا هنا كما ترى .

زملاء غسان في « الهدف » يستطيعون أن يرووا قصصا وقصصا في هذا المجال وكيف علاقة غسان بهم وكم من الالقاب المحببة كان يطلقها على زملائه ويشجعهم . وكم من المجالات أتاحها لمن توسم فيهم النجاح في مجال ما فكانوا .

حدثني أحد زملائه بعد استشهاده : كانت هناك أشياء كثيرة يقررها غسان أو يقوم بها ولم نكن نحس بمسؤوليتها الى أن فقدناه وبقينا الى فترة قاسين في التصرف فقد كان غسان بطول خبرته وحسه وحسن تقديره يضع الامور في أماكنها وبدون خطأ .

غسان لم يكسب عداوة أحد عرفه مطلقا . بعض من عاداه لأسباب سياسية أو لآراء خاطئة كونوها عنه أحبوه عندما عرفوه عن كثب ، فقد كان غسان انسانا محببا طلي الحديث سريع الخاطر فكه التعليق بعيدا عن المجرفة والتسلط ، شديد التواضع . حتى من عادوه لأسباب سياسية لأنه كان جارحا حازما في مواقفه السياسية حتى هؤلاء قالوا بعد استشهاده : كم كنا مخطئين ..

فارس فارس ، يكتب عن قصائد ماركس الغزلية

* بحكم صلتك الحميمة مع غسان ، هل تحدثنا ، كيف كان يكتب ؟ وهل تتذكر حوادث طريفة وقعت له أثناء عمله الصحفي ؟

● غسان قرأ وكتب باسراف شديدين . ان الموهبة لم تكن وحدها كافية ليكون غسان غسان . غسان كان يقرأ بشكل لا يصدق لم يصل الى يده كتاب لم يقرأه ومهما كان موضوعه وكان يقرأ وبعين الناقد المتفهم عبر هذا الاطلاع والممارسة أصبح غسان ما أصبح عليه .

أما كيف كان يكتب فكالآلة الكاتبة ، حين تختمر الفكرة برأسه يبدأ ولا يرفع القلم الا بعد أن ينتهي وقلما يشطب كلمة أو يغير جملة كتبها . كنا مرة نجلس في غرفته بدار الصياد وهو يصدر كتابة التعليق اليومي . كنا كثر والكل يتحدث ويناقش وغسان صامت أمامه ورقة وبيده قلم (من نوع سيء) خلال دقائق قليلة بدأ وانتهى وقام ليدفع بالمقالة الى المطبعة .

كتب غسان الرواية والقصة القصيرة والتعليق السياسي والتحليل والنقد والمقالة الوجدانية والغزل وكل ما كان يخطر في البال ولكنه (ولا لمرة واحدة) لم يخط جملة لم يكن شاعرا بجدواها أو منفعلا بها ومن أجل نتوع ما كتب كان لديه ولع بالاسماء المستعارة للتعبير عن آرائه في المطبوعة الواحدة عن مواضيع شتى بعدة تواقيع .

أشهر أسمائه المستعارة : فارس فارس ، كما كان لديه صدق وطرافة باختيار العناوين والمراجع كان يلفت نظره ذلك .

والواقع أن مقالات فارس فارس كانت مواضيعها مقالات في النقد الادبي البناء وقد نالت نجاحا معروفا وآثارت معارك أدبية وأكسبته عداوات أيضا ولعل أشهر معاركه الادبية هذه كانت مع الدكتور صادق جلال العظم « عن الحب والحب العذري » ومرة كتب مقالا عن قصائد كارل ماركس الغالية الفا لة .

يوما بعث أحد أصدقاء غسان من الشعراء المخضرمين المعروفين بديوان جديد

البيت الذي ترعرع فيه ، في عكا

Digitized by Birzeit University Library

غسان ووالدته ووالدته ، وزوجته ، والصغير نايز .

غسان في الكويت ، وليس لم تكبر بعد .

للكتابة عنه ، ويبدو ان موضوع القصائد برغم جودتها كانت عموميات غزلية لا علاقة لها بقضية الشاعر فكتب مقالا بعنوان : « صمت حين كان يجب ان يتكلم » واثار حفيظة الشاعر الصديق وعتبه . فقد كان غسان لا يعرف المجاملة في ذلك .

يوما تعرض غسان لهجوم عنيف من أحد الصحافيين منهما اباه بالكتابة من برج عاجي داخل غرفة مكيفة الهواء ... الخ ، وبرغم ان غسان كان يكتب كما هو معروف في أشياء غرف لم تعرف التهوية وعلى بقايا طاولات فقد رد على الصحافي بمقال عنيف عنوانه : « هناك مكان لمقاتل آخر » .

مرة طلب غسان من صحافية اجنبية صديقة كانت تزور الارض المحتلة من جملة ما كلفها به زيارة بلده ووصف لها مكان منزله ومنازل أقاربه فصورتها له وأحضرت معها الصور . في احدى الامسيات طلبت من غسان الحضور لمشاهدة الصور التي عادت بها . دخل واكتشف ازدحام المكان بالناس من كل الاعمار لمشاهدة الصور التي كانت تعرض على الشاشة . وتاثر غسان تاثرا عميقا بانفعال المشاهدين بالصور والذكريات . فكتب مقالا بعنوان « كبرت الياسمينة يا ولاد » ضمنه حب الناس بالوطن وباسلوبه الادبي الرائع . وكتب عن الحجارة البيضاء « كارغة الخبز المنفوخة الخارجة من الفرن » .. وترجمت هذه القطعة الادبية مع ما ترجم الى اللغات الاجنبية .

غسان لم يكن يكتب لمجرد الكتابة ولم يمارس الفن للفن بل كان يكتب من أجل الناس والوطن والقضية في الحب والسياسة والادب .. كله من اجل هذا الحب الكبير الذي كان يملأ قلبه وحياته .

هاجس الموت المبكر

* كثير من الكتاب والنقاد ، تحدثوا عن هاجس الموت الذي كان ينتاب غسان . هل تعتقد انه كان يفكر بالموت ، بسبب اصابته المبكرة بمرض السكري ؟ وما هو انعكاس هذا الهاجس على طريقة حياة وتفكير غسان ؟

● اشرنا سابقا عن هاجس الموت الذي كان ينتاب غسان منذ وقت مبكر من حياته بسبب اصابته بداء السكري واعتقد انه كان لمرضه تاثير كبير في هذا فقد تعرض بسببه لنوبات عديدة كانت تجعله من الموت على الخطوات ودخل المستشفى لمرات ومرات شاهد المرضى والمصابين والموتى وعاش آلامهم وآلمه . ونتيجة لاصابته بالسكري أصيب بمرض النقرس ايضا وهو مرض مؤلم يصيب المفاصل ويقعد عن الحركة لايام من شدة الالم . قد تكون هذه هي الدوافع الاولى لهذا الهاجس الذي دفعه لمناقشة فلسفة الحياة والموت عبر سلسلة من الروايات والمسرحيات والمقالات « الباب » و « القبعة والنبي » و « جسر الى الابد » الخ .

غذا هذا الهاجس انتساب غسان السياسي الصلب وعمله الصحافي الذي لم يكن فيه يداهن أو ينافق وقد تعرض فعلا بسبب ذلك لمحاولات اعتداء واغتيال ، ونادرا ما كان يتحدث عن هكذا مواضيع ، لانه كان يعتبرها من قبيل تحصيل الحاصل .

اما هاجسه الاخير فقد كان يحس فعلا بانه معرض للاغتيال ، وذلك بعد عملية مطار اللد الشهيرة ، فقد دابت الصحف الاسرائيلية على نشر صور من الاغوار لقاتلين مدعية ان غسان واحد منهم ، يخطط لعمليات عسكرية ، وادرك غسان بحسه السياسي ان ذلك تمهيد لما سيحدث . وقد كان يقول ان محاولة اغتيالي ، تنجح في حالتين ، أما في غرفة نومي ، أو في سيارتي ، وحدث ذلك في سيارته ، بتفجير لاسلكي لم يكن مجربا بعد .

لذلك فقد عمد الى ترتيب كل الامور على هذا الاساس ، أفرغ طاولته من الرسائل الخاصة وأعادها الى أصحابها . وأوصى بعض أقاربه بزوجته وأولاده وحاول تجنب الذهاب الى منزله الذي كان هدفا سهلا ، ولكن ظروفا جعلته يعود لمنزله لأيام ، فأمكن رصد تحركاته ونجحت عملية اغتياله .

شقيقته فايزة ، كانت تصحح كتاباته الاولى

* تأثر غسان بدون شك — ككاتب ملتزم — بمحيطه الاجتماعي وبقضيته . ولكن على صعيد شخصي ، من ، من الذين التقاهم غسان او عايشهم ، أثر به حياتيا وفنيا أكثر من غيره ؟

● لا شك ان كل انسان لا يمكن أن يكون منفصلا عن محيطه الاجتماعي ، وغسان بالذات كان يأكل ويشرب وينام القضية ، وعبر استعراض مجريات حياته ، عرفنا التأثيرات التي أغنت شخصيته وأدبه وفنه ، انما على صعيد شخصي ، كان غسان بلا شك متاثرا باثنين ، وكان لهما أثر كبير في مستهل عمره ، أولهما والده ، فقد كان انسانا عصاميا ، تقدمي الفكر — في ذلك الوقت على الاقل — برغم انه بتقدم الايام اختلف غسان مع والده في النظرة الى الكثير الكثير من الامور .

ثانيهما شقيقته الكبرى « فايزة » ، فهي التي أمسكت بيده في خطواته الاولى في ميادين الادب وكانت تصحح له محاولاته الكتابية الاولى ، وقد أحبها حبا كبيرا ، وبقيت « فايزة » هي حاملة أسراره ، وهي الوحيدة التي يفتح لها قلبه ، وانتقل حبه الكبير هذا من ثم الى ابنتها البكر « ليس حسين نجم » وهي التي عاصر ولادتها في الكويت وتعلق بها تعلقا لا يضاهيه الا تعلقه بأمها . وليس هي التي اعتاد غسان أن يهديها في كل عيد ميلاد لها عملا فنيا أحيانا أو أتوغرافيا مرسوما بيده ، وأحيانا قصائد ، وأحيانا بطاقات مرسومة ، أيضا بخط يده ، ومرة قصة للاطفال — القنديل الصغير — وقد نشرت هذه القصة وأعيد طبعها لثلاث مرات حتى الآن كما ترجمت الى لغات أجنبية .

ولعل من شدة حب غسان لفايزة وليس انه حين حضروا في أوائل تموز الى بيروت للمكوث عنده (وقد كان منزله ملكا لزوج اخته) انه لم يشأ اطلاعهم على الوضع المضطرب الذي كان يعيشه وحرص يوميا على العودة الى بيته ليكون مع شقيقته وأولاده .

وفي اليوم الثامن من تموز ، يوم السبت وفي الحادية عشر صباحا نزل وهو يصطحب ليس ليوصلها لزيارة احد أقاربه وليذهب هو الى مكتبه الجديد ، ليكتب انفجرت سيارته الصغيره وأودت به ، وبحبه الكبر الآخر ليس .

« ذلك هو قدره » وقد صدقت احدى نبوءاته أيضا .

■

غسان كنفاني ... والوصية المقدسة

بقلم : صالح زهر الدين

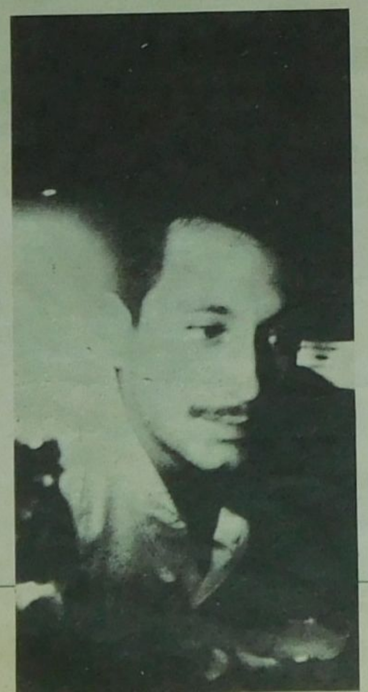

يوم دخلت على الرفيق غسان كنفاني في مكتبه من مجلة « الهدف » وقبل استشهاده بيوم واحد ، بادرني بالقول : « يجب ان تتخصص في التاريخ ، وهذه نصيحتي لك » .

واتكأ على مكتبه مسندا خده قائلا وكأنه ينشد شعرا : « غدا سيثمر البرتقال ... غدا سيزهر الزيتون ... غدا سترتوي ارضنا ... غدا ستعطي ارضنا الغلال ... » وسكت برهة واطرق مفكرا ثم بدا يقلب صفحات كتاب حمله بين يديه .

وكان معه لقائي الاخير وبدايه « الجهاد المقدس » ، لانه مضى في اليوم التالي عائدا الى عكا .

صممت على التخصص الذي اراده غسان ، منذ ان وجه الي نصيحته ، ولكن هذا التصميم لازم دمي ، وغاص في شراييني وتفاصيل جسدي ، منذ اليوم الذي رحل فيه غسان عائدا الى الوطن .

وقبلت النصيحه ... وحتى في الجامعة التي حددها ايضا .

ترى ! هل حدث ذلك صدفة ؟ وهل كان صدفة ان انفذ وصيه الرفيق غسان ؟ طبعا لا . ان لهذا الانسان في نفسي قدسية ، كما ادرك تماما ان نصائحه لرفاقه لا تخرج من عقله فقط بل ومن قلبه ايضا ، حيث تشارك فيها جميع حواسه وشرايينه ونقاط دمه الملتهب . ومن هنا يصعب الخروج عنها وعدم تنفيذها . وهل هناك اجمل واكبر من تنفيذ وصية شهيد اوصى بها قبل استشهاده ، وبيوم واحد ؟

ولكن لماذا كان يردد : « غدا .. غدا » ؟ هل كان يعلم بمصيره ام لا ؟ وهل كان حدسه قويا الى هذا الحد ؟ وهل كان يدرك قرب موعد عودته الى عكا ، وبهذه السرعة والتحديد ؟

حقا ! لقد كان انتظاره لصدور عدد « الهدف » في ذلك اليوم ، غير كل انتظار . وكأنه كان يشعر بلقائه الاخير مع « الهدف » التي اعطاها زهره شبابه وحياته .

منذ ذلك التاريخ بدات اشتعر ان اشجار فلسطين دخلت ميدان المعركة . وتحول جميع اطفالها الى قنابل ومتفجرات تزرع الرعب والموت في قلب العدو الذي انتزع منهم براءة الطفولة ورونقها .

ومنذ تلك اللحظة تحولت اثمار اشجارنا الى قنابل .. وتحولت ازهارها الى رصاصات ... كيف لا ؟ وهذه الاشجار لا تشرب الا الدماء . كيف لا ؟ وهذه الاشجار رفضت ان تشرب جذورها الماء المستسلم للكاس والابريق . وما اروع الاتفاق ، وما اروع القرار عندما يكون موحدا وصارما وبالاجماع : التراب .. الجذور .. الجذوع .. الاغصان .. الاوراق .. البراعم .. الازهار .. الاثمار .. وحتى الهواء جميعها عقدت اجتماعها الانتحاري بعد استشهاد غسان ، وكأنها سمعت صوته يردد « غدا » واصدرت قرارها الحاسم : لن نشرب بعد اليوم الا الدماء لنكرس صدق الانتماء للشعب والارض والقضيه . والدماء هي وحدها الكفيلة بتثبيت وجودنا في هذه الارض التي هي ارضنا .

عشرات الاعوام مضت ، والارض مغتصبه ، والتراب مدنس ومهان . ووجودنا ضمن هذا الواقع يمثل الاغتصاب والذل والمهانة باوضح صورها .

شبعنا من الماء المستسلم لارادة الغاصب .. وماء يبلل ترابنا عندما تسمح به مشيئة الغاصب الدخيل لا يمكن ان يرد لنا وجودنا الحقيقي وقيمتنا الاصيلة .. فالارض ملك شعبنا .. والبيارات ملك شعبنا ايضا .. وليس للغاصب من اي حق في امتلاكها وسلبها نضرتها وروعتها . الدماء وحدها تعيد للشعب ارضه وحريته وبياراته . وان لم نتضمن مع الشعب والارض .. ان لم نشرب من نفس الدماء التي تروي ترابنا .. فلا يمكن ان نستمر في العيش بعزة الشموخ والتحدي .

فلنشرب الدماء .. ولنزهر الرصاص .. ولنثمر القنابل .. لنحقق وصيه غسان رمز الوجود والتحدي والشموخ .. وكل ما في الارض ينفذ وصية غسان .

وكلما مرت الايام ، وعدت لذكرياتي ، اشعر بكبر غسان وقدسية كلماته وتوجيهاته ونصائحه ، كما اشعر متألما ككل الرفاق ، بكبر الخساره .

فالتاريخ حقا من اثمن كنوز الارض ، وهو وحده الكفيل بأن يحفظ نصائح غسان وتوجهاته وتراثه ، كما يحفظ تراث شعبه وامته ، وسيبقى الشهيد غسان كنزا ورمزا على طريق الحريه ، ومناره هدي لكل من يشعر انه بحاجة للتخلص من القيود والسلاسل التي تكبل معصميه .

Digitized by Birzeit University Library

كان الزائر الطير في كل لحظة من لحظات العمل

ضياء ذلك النجم القريب

في هذا المكان المشوب بالظلال وبرائحة الشمس حيث تتوزع الغرف والطاولات متساوية بتذكاراتها الحية لسيرة رجل اعطى بالحب، وبالصدق ما انتواه في اللحظة الاولى من تفكيره بأهمية وضوء الوليد — الهدف بانوار الثورة السرية ..

واشترط الوليد لولادته العمل، والتفكير العلمي ، وروح الالفة الصافية ...

فكان غسان كنفاني ، واسرة متواضعة من الرفاق والاصدقاء في محاولة لقول شيء ، ولفعل اشياء ! حيث لم يكن بحوزة المجلة لاصدار غلاف العدد الاول سوى صورة ... صورة صغيرة وفجرية بالفيش الذي كللها .. كانت بمحفظة (أبو فايز).. صورة لمقاتل يحاول الاجتياز .. فكانت صورة لوحة غلاف العدد الاول لمجلة (الهدف) .

في هذا المكان .. وفي ذكرى ديمومة ذكرى الرجل ، وقيامته الثامنة كان لنا بعض من حوار مع اناس ، رفاق بهم من غسان اكثر من شارة ، واجمل من غناء..

(عبد الرؤوف حماده) ، (قاسم حميد)، (وفاء) ، (محمود داورجي) رفاق عمل وصداقة غسان في سني الجهد والتفكير ، واهمية التحرك صوب الاداء الكلي لمهام التواجد في الوعي والممارسة ، والتاسيس « لجيل الثورة » ..

غسان كنفاني الشغيل متى كان يأتي الى مكان عمله ، ومتى ينتهي ، ما هي طبيعة علاقته بشغيلة المجلة ، الى أي حد كانت هناك حواجز بينه وبينهم ، ماذا كان يعني التواجد في المجلة بالنسبة لغسان .. من أين كان يبدأ حزنه، ومتى يشرق بالابتسام.. ماذا تعلمنا منه في العمل ، في التفكير ، وفي السلوك .. هل كان ينفعل ... الخ ؟؟؟

محاولة للاطلال على تفصيلات صغيرة وجوهرية من حياة الانسان الذي أضاء حد ، أضاء حد دمه ...

كان شغيلا وليس رئيسا للتحرير

عبد الرؤوف حماده هو واحد من الذين عملوا في المجلة برفقة غسان . هو كان يعرف انني لا اريد سؤاله عن غسان . ولكني اريد ان يحدثني دون اسئلة ...

صفن ، وكانه ذهب فعلا الى الاوقات الجميلة برفقة (ابو فايز) ... أطرقت الى اوراقي في محاولة لحثه على الحديث . لم يتحدث ! بل اشاح بوجهه الى جدران الغرفة ، وانا لما ازل متطلعا اليه .. فجاة ابتدأ حديثه :

— انا كنت اكثر التصاقا بغسان ! حيث انواجد دائما في الهدف — بحكم عملي — واعرف متى يأتي، كان مفتاح غرفته معي ... انتظر وصوله بوجل ، وفرح. فتكون القهوة المرة ، ويكون الحديث والدردشة عن كل الاشياء ..

تبقى صداقته لنا شيئا مميزا في سلوك (ابو فايز) حيث لم نشعر ولا للحظة واحدة انه رئيسنا للتحرير بقدر ما هو شغيل مثله مثلنا .. يتحدث الى الجميع وفي كل شيء : من الامور التي يصادفها في طريق مجيئه الى المجلة ... الى اي نقطة قد يتوقف عندها وهو يكتب مواجهة من مقالاته فيأتي الينا ليقول ماذا تقولون في ذلك !

يوما ما نضايقت من عملي ، وقلت ساحدث غسان بذلك ... فكان لي ما اردت ولكن قبل ذلك قال لي بالحرف الواحد : يا عبد الرؤوف احدنا لم يخلق متعلما ، ويجب التطور ..

ما كان يترك للتعب فرصة للدخول الى المجلة، حيث كان يدخل الى صلب مشاكلنا الخاصة ، وعندها لا يكون هناك اي مشكل . امام غسان لا احد يستطيع الكذب . كان حنينا بشكل لا يصدق فكنا نحكي له عن كل شيء . كان غسان اولانا كما لا يمكن ان يتصور ذلك احد . في يوم ٢٨ ايلول وفي الصباح عند قدومه الى المجلة كان خبر موت عبد الناصر هو الخبر الاساسي .. وكان عدد المجلة قد اقفل حيث لا يمكن كتابة اي شيء في العدد ... لم يكن من غسان الا الجلوس في غرفته لوقت ، حيث استطاع ان يحرر عدد يومي من صحيفة (الهدف) خاص بمناسبة موت

عبد الناصر ... وزع في اليوم التالي مع كل الصحف التي تصدر خبر موت عبدالناصر صفحاتها الاولى !

التواجد في المجلة لغسان كان يعني القراءة والكتابة والرسم ... أي العمل . ان طللت عليه يضع سبابته على خده الجميل ويقول بابتسام :

— ابوه يا عبد الرؤوف احكي .

فكنت اقول له .. اريد التطلع بعينك . لم هذا الجميل يمرض .

كان أبا وصديقا ومعلما ... ولي فيه اكثر من حافز للعمل ، والصدق .

الصباح للاطفال ، والحراسة للوردة

قاسم حميد شغيل آخر رأى شروق غسان ، في العمل وفي الحياة ونمت فيه روح العمل والصدق برعايته وحضوره المستمر .. لم ير أي حاجز داخلي أو خارجي للتحدث مرة واحدة عن ابو فايز :

في الصباح كل شيء بانتظاره ، نحن ، الاطفال، مكان العمل ..

لا يبدأ أي شيء الا بمجيئه . تقف سيارته ، ينزل فيكون وقته للاطفال الذين يلعبون قدام المجلة فتكون لهم حصة من مشاركة غسان في اللعب معهم لوقت. هذا كان يحصل شبه يوميا . ينتهي من اللعب معهم فيأتون قربه ويمسكونه من عن خدوده الجميلة ، فكان يسألهم ان كانت سيارته تضايقهم !

يتاكد من ذلك في كل يوم .

حبه للعمل وجديته الخارقة كانت تجعلنا لا نفعل أي شيء الا ونقول له ، والبقاء قربه كان شيئا مهما .. نفطر سوية ، نفرح ، ونعمل ... ونتكت سوية.

ربما كان البعض من العاملين ، المتزوجين لا يذهبون الى بيوتهم الا بالقدر الذي يبقون فيه بالمجلة .. لان (ابو فايز) هو الحاضر .. ليس التزاما بقضاء عمل بل لجمال اللحظات المقضية معه ..

كان يفرح عندما تكون قدام احدنا وردة ، لانه كان يأتي في كل صباح بصحبة وردة حمراء . لديه الامكانية على معرفة بعض الاشخاص قبل رؤيتهم فقد كان ينتبه الى وقع ضربات مشية احدنا كجواد .. بعينيه سحر خاص جدا ، وكأنها عيون امرأة باهرة بجمالها .

لتواضعه الطيب سيرة نحفظها في قلوبنا ورؤوسنا فقد كان على قربة منا بحدود جعلتنا لا نطيق الا التعلم والتطور عبره . ولا ازال اتذكر وبعد استشهاده صار الجيران يتساءلون.. غسان كنفاني.. من غسان كنفاني (حيث جرى التعريف به في الصحافة والاعلام باعتباره عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية وناطقها الرسمي ، رئيس تحرير مجلة الهدف.. الخ مما لم يكن بمقدور البسطاء من الناس الجيران معرفة ذلك) .

فخرج البعض من جيران المجلة يسالون بعضهم البعض : (من غسان كنفاني) ؟..

فكان التذكر والاستدراك من قبلهم البعض للبعض:

واحدة : غسان .. ذلك الرجل ذو العيون الجميلة

آخر : ... ذلك صاحب الشارب الجميل ...

. . . . . .

هكذا كان حريصا على تواضعه الانساني الرائع ، وحيويته السرية التي كنا ندرك ببساطة ماذا كان يفعل (ابو فايز) .

عندما استشهد بسام ابو شريف .. مرة

(يستدرك قاسم ويتذكر حادث آخر بهت لطبيعة العلاقات البسيطة والواضحة التي نسجها معهم) :

لا اتذكر ان (ابو فايز) قد انفعل ولا لمرة واحدة اطلاقا ... ولكنه جاء مرة لي وانا جالس ، وكان ذاهلا — وهي المرة الاولى التي اشاهده بهذه الحالة — وابان احداث ايلول ١٩٧٠ وقال :

— اتذكر الصديق الشاب الذي يأتي عندي ...

قلت : نعم .

قال : لقد استشهد ...!

*

حدود الحب الذي كان يكنه لكل عامل في المجلة وضعنا في (دوامة) عشقه ! حرص على ان يجعل منا اكثر من شيء ، فقد كان يقرأ علينا ما يكتبه في اكثر الاحيان ولا سيما الكتابات الادبية ، وهكذا كنا نتشارك معه .. لا ازال اتذكر عندما قرأ علينا (برفوق نيسان) .

الاحتراق بحب العمل هو ضيف المجلة المعهود لان غسان هو المثال المكتمل .

(ضربة الكف) ! جاءت مجنونة بعد استشهاده !

بعد استشهاده ، خيم علينا هاجس ان المجلة ستتوقف ! وعرفنا قيمة الاعلام وخطورته وكادت تضيع اخبار الجبهة . ولكن الامل الذي عززه غسان فينا في كل لحظة وفي كل ساعة وفي كل يوم « باعتبارنا الجيل الذي بهذا لجيل الثورة .. » هو الذي علمنا امكانية الخطو بهدوء وبمعرفة ...

لقد ترك لنا غسان كنفاني الكثير .. الكثير وها هو كل شيء بيننا مما كتب ومما قال ومما فعل ..

كلما تطلعت بصورته في الملصق .. أحس انه يقول لي شيئاً :

(وفاء) واحدة من محررات المجلة ، وزميلة اهتدت بسيرة الرجل — المعلم ..

بل بادرتني القول : الحديث عن ابو فايز يستدعيك الحديث عن الثواني .. ربما ثواني الصمت التي يعيشها أحيانا ، بل الدقائق .. كل الاوقات المعظمة المعاشة معه .. ففي غسان اكثر من شيء ، ولا أستطيع الاحاطة !

كان الزائر — الطير في كل لحظة من لحظات العمل . بانتظاره نحن دائما .. نمط العلاقات التي اقامها معنا .. أدركنا حيويتها واهميتها في كل وقت .. وبعد استشهاده أدركت كم كان يجب والى اي مدى أستطيع اكتشاف اشياء اخرى من غسان .

لا يكتب احدنا شيء اذا لم يكن الآخرين قد اطلعوا وتناقشوا فيه .. غسان علمنا ذلك ...

كثيرا ما كان يدعوني الى غرفته عندما يأتيه صحفي.. وهذا ما كان يحصل دائما ..

وفي احدى المرات كان زائره هو احد اهم معلقي مجلة « الناي » (جيمس رستون) ، جلس امام غسان وسلمه ورقة احتوت على بعض الاسئلة .

قرأ غسان الاسئلة ووضعها جانبا.. وقال للصحفي:

— « انا تجربتي طويلة معكم .. وانتم لستم بديمقراطيين ولا حقيقيين في عملكم بالقدر الذي تستطيعون أخذ المادة ، وتبدأون بتفصيلها على (قد) الاساءات

Digitized by Birzeit University Library

التي يمكن أن تعود على الاجابة التي هي ليست مما تشترونه ! » .

فكانت اجابة (الصحفي) بالنفي ... ودخل (أبو فايز) مع الصحفي بنقاش مطول حول العديد من الامور المهمة ، والمثارة في حينها .. استطاع في النهاية غسان ان يفحمه ويجبره على الاعتراف بالحرف الواحد: جيمس رستون : « فعلا ... نحن نملك (مطبخا) في مجلاتنا ، هو الذي يطبخ المقابلات ويقدمها ! » .

كانوا يدخلون عليه كبارا .. فيخرجون صغارا ، يدخلون عليه مسلحين ويخرجون عزل . وكان على الدوام يخرج من هذه اللقاءات راضيا رضى النوري الذي استطاع أن يتمكن من أكثر من موقف وبعلمية .

الامريكان طوال القامة !

عادت الرفيقة (وفاء) الى خفرها الصامت، والحنين وهي بحضرة تذكارات الرجل (النحيل ، والمتوسط القامة ..) كما تذهب هي لذلك .. فاذا بها تتذكر لقطة جاهزة في سلوك غسان ، يلفها اعتداد الانسان النوري ، والبساطة الحبيبة .

تقول : غسان تحدث لي مرة عن شأن بصدد طبيعة لقائه بالبعض من الصحفيين الذين يقدمون للقاءه ... فكان يقول لي :

أبو فايز : — « الغربيون بشكل عام طوال القامة ، والامريكان بوجه الخصوص . طبعا منذ اللحظة الاولى التي يدخل فيها علي أحد الصحفيين أستطيع وبنظرة محددة .. أن أعرف وبشكل أولي ان كان هذا الصحفي قادما بموقف صادق ، أم مخاتل .. ! » .

تستدرك الرفيقة (وفاء) وتقول : ما هو الف بسلوك (أبو فايز) هو حال دخول أحد الضيوف أجنبي أو صديق .. يكون (أبو فايز) قد ترك الطاولة ، مستقبلا ضيفه بالحب والحنين المعهود .

تعود ثانية لحديث الرفيق غسان وعنه :

« وهكذا ... فما أن أعرف أن ضيفي مخاتل ، و ... أبقى عند طاولتي كيما (يتوفر) للصحفي الانحناء بذات اللحظة التي أمد فيها يدي له ، حيث لا أطيق الخروج لهذه النماذج بعيدا عن الطاولة وأكون مضطرا لرفع رأسي باتجاهه ! » .

الصبر الجميل !

لغسان امكانية على بعث الحماس باي عامل من العاملين في المجلة بطريقة لا تصدق .. فكان باتي لاي محرر وبعد الانتهاء من تقديمه لمادته ويقول له : « هذه النقطة مهمة ولديك الامكانية ان تعززها انت وحدك .. وهذا الجانب خطا ! » ومن تراكم الملاحظات الهامة التي كان يشير اليها غسان ... استطعنا جميعا أن نتعرف على أكثر من تقليد في تطور امكاناتنا الصحفية والفنية .

... ولا أستطيع أن انسى القدر الهام والخطير من قدرة غسان على التحسس ، والاهتمام بوضع اي محرر أو عامل . فهو يعرف منذ اللحظة الاولى للقائه باي منا ان كان أحدنا متعبا من شيء ، او منضايقا ... فباتي حديثه ماءا طيبا ، بزيل ما بنهك وما يتعب ... فيجيء فرحه العجيب عندما يبدأ الحديث المتواصل وغير المتنهي ... فيكون جمال دواخله بالنا في كل انحائه ..

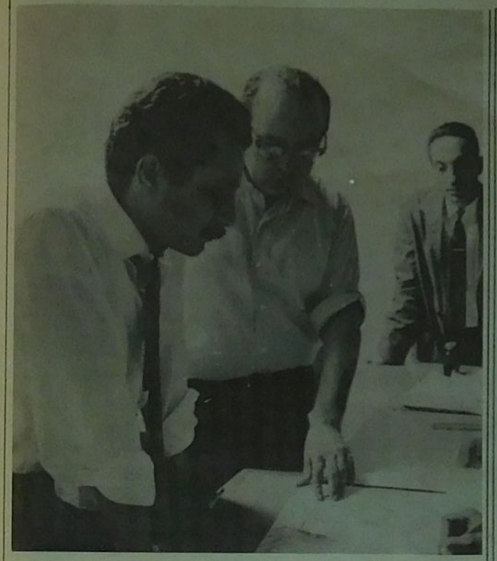

الشقر
يدخلون عليه مسلحين
فيخرجون عزّل

ليلة استشهاده
... ضحكه،
ضحكه كثيرًا !

بعد استشهاده
أدركنا
كم كان يجب
أن نتعرّف
على غسان
أكثر
فأكثر

لم يتشائم ولا لمرة ، وكان الوحيد بذلك في أحداث أيلول ، وان داهم التشاؤم أحدنا فيكون هو القادر على الامل والدفء من الفرح .. في حينها — أحداث أيلول — كان حزينا ولكن بغضب !

ربما كانت تحدث بعض الممارسات أو الافعال الصادرة عن البعض ، والتي تستدعي الخروج عن الطور .. الا انه كان هادىء الاعصاب كالجليد النقي، وهو لذلك لم ينفعل ولا مرة !

ولما أزل أتذكر ذلك الحادث .

عام ١٩٧٠ .. وجميعا نعرف في « الهدف » ان غسان ان يكن متواجدا في غرفته يكون من حصة عمله المتواصل ... اما ان يقرأ أو يكتب أو يرسم ... عدا ذلك فما على أحدنا الا الدخول له والحديث المعافى هو جسر اللقاء معه .

وفي ذلك اليوم وعندما انتهيت من عملي ... ذهبت الى مكتبه ، وما أن أطليت عليه الا وانتبه لي بحالة من الفرح غير المعهودة رغم انه دائم الابتسام ، وكأن فرحه صار طيرا يحوم عليه وهو يقلب بين يديه كتاب ..

لا ادري لم كان فرحا عندما دخلت عليه .. قلت :

— ماذا .. أبو فايز ؟

اجابني وكأنه سيقبض بسعادته ... : —

— « وفاء ... هذه نسخة من رواية (عائد الى حيفا) للتو جاءت من المطبعة . اجلسي ... هذه النسخة لك » .

وراح يكتب الاهداء ...

اعطاني النسخة وكانت رطبة تفوح منها رائحة الورق الجميلة ... وغسان يعبق بفرحة لا تصدق لصدور الرواية ...

... ترى كيف أستطيع الحديث عن (غسان) وباي الزوايا ... تذكرت :

كانت (غسان) الامكانية على رواية اي شيء مهما كان بسيطا ... ولكنه بستطيع شد المقابل وكما ممسك بقلم ويكتب مادة فذة .. ما اكثر ما كان يستمتع بالنقاش ويكون فرحا كما او انه بحلبة مبارزة .. المطبيعة كانت

كلمة الى الرفيق غسان كنفاني

محمود داورجي

رفيقي ومعلمي !
لا ادري لماذا يرتجف القلم بين أصابعي في مثل هذا التاريخ ، ولماذا تصبح الاوراق وكان عاصفة هوجاء تتلاعب بها دون رحمة . أبسبب غلبة العاطفة على العقل ، أم لشعورنا بعظمة الخسارة وقدسية الوفاء ؟ ربما بسبب الاثنين معا .

فخسارة الرفاق جسيمة جدا ، ولكن خسارتك ايها الرفيق الكبير مست كل شرايبني كسلك كهربائي ، وتناولت كل نقطة من دمي. كل ذلك بسبب روابط العلاقة التي لازمتدمنا وعظامنا فترة طويلة من الزمن .

كنت لي خير معلم ومرجه وهاد . لقد علمتني شرف حمل القلم في يد ، والبندقية في اليد الاخرى، وتوجيهاتك وافكارك في رأسي مرشدا ومنارة ودليلا .

لقد عشت الى جانبك لحظة لحظة، ودقيقة دقيقة ، حتى كدت احصي كمية الهواء التي تتنفسها يوميا وخلجات صدرك في كل ساعة من ساعات عملك المرهق ، بالاضافة الى نصائحك التي كانت تثلج صدري وتمدني بمقومات العزيمة والاصرار والتي أضافت لعمري عمرا جديدا .

كنت تتحدث عن الموت وكانك دائما تتحدث عن الحياة . ولم امكن من كشف سر عظمتك وكبرك الى ان كانت اللحظة التي تركتنا فيها ورحلت عائدا الى الوطن .

تعني له أمورا كثيرة ، ما اكثر حبه لها ..

لا ازال اتذكر عندما جاء في ذلك الصباح مغموما بطريقة عجيبة ودون ان اسأله قال لي :

— اليوم حدثت مجزرة !

ارتعبت .. وعرفت فيما بعد ، وبصحبته انه كان حزينا ومعذبا ... لان شجر « الكينا » يجتث ويذبح بشكل بدائي على طريق المحازمية — عين الرمانة !

عندما دبك غسان في عرس شفيل

« محمود داورجي » عامل ، تشفيل من شفيلة « الهدف » .. وأحد الذين ترعرعوا بحب واخلاص الشهيد غسان كنفاني ، فكانت له بعض من التذكارات، ونسيء من الصداقة القريبة .. فكان حديثه متوزعا ، وكأنه لا يمسك بسجايا كنفاني الكثيرة والصادقة ... يقول :

كنا نحب غسان لانه طيب بشكل غير (معقول) .. هو الاب ، والاخ ، الاستاذ .. كان بسيطا . لم يغضب ولا مره ! بنفقدنا كثيرا ، كان لاخلاصه في عمله أثر طيب وهائل على اخلاصنا الذي اخذ يتضاعف . لم اشعر في أي يوم من الايام بأي حاجز بيني وبينه ، ولا ازال أتذكر يوم زواجي عندما جاء المعلم الجميل ليهنئنا وما كان حبه وصدقه الا أن يذبك فرحا بحفلي ... لأني زميله في المعمل !

ان احترامه للعاملين قد ترك لنا ذخرا جميعا .. حيث كنا ندخل عليه حتى لو كان يقرأ لانه يحبنا .

لقد استطعت الاستفادة منه كثيرا لانه كان فنانا يمتلك أفكارا عظيمة . كان متواضعا وعظيما ... حيث كانت لديه الامكانية في الدخول الى مشاكل الجيران لحلها ..

جرأته لا حد لها ، ولهذا لم يفكر بالموت اطلاقا ، قبل يوم من استشهاده كنت عنده في البيت فكان يضحك ، يضحك كثيرا ...

كان هو العامل في الاول من ايار

لصداقته وثيق علاقاته التي اقامها هنا في هذه الاسرة — الهدف اثر جعلنا نود رؤيته باستمرار ، فكنت أعرف قدومه من مشيته ..

وفي يوم من الايام ، خرج (أبو فايز) من المجلة ، وكانت جاكيته معلقة ، وكنا نريد أن نعرف — قبل فترة — تاريخ ولادته ، ففتشنا عن هويته وعرفنا التاريخ ، فذهبنا وأتينا بالشموع و (الكاتو) ... فكانت موقدة لغسان .

احترام غسان لم يكن مقتصرا علينا ، بل هو يحب الناس بشكل عظيم ، وللمقاتلين عشق وحرمة خاصة .

لحضوره الهائل ما جعلني أراه بشكل دائم اكثر مما أرى أي واحد من أهلي في تلك الفترة .

لقد خسرنا خسارة كبيرة بغياب غسان ، ولكنني أمين لرسالته .

كان يحدثنا بالصغيرة وبالكبيرة ... ناكل سوية ، نتحدث سوية .. نسهر سوية ..

في الاول من أيار ١٩٧١ ذهبت وجئت بهدية ... لانه كان عاملا عن حق !

غسان كنفاني كان كل شيء في هذا المكان ، ونحن كنا بالنسبة له كل شيء ... لا أستطيع الوفاء له .. الا بوفائي بالاستمرار والعمل ... ■

وبدأت منذ ذلك اليوم اشعر بكبر المسؤولية التي حملتنا اياها باكرا دون ان ندري اننا كنا نعيش مع احد الانبياء والمرسلين ومن بقعة انجبت الكثير من امثاله .

اتذكرك و « الصبدلية » في جيبك تتناول من حباتها يوميا اكثر مما تتناوله من الخبز ، ومن ابر البنسلين اكثر من الماء . ومع ذلك كنت تقاتل بحبة الدواء والابر والقلم والرصاص من اجل الوطن الذي نفيت عنه ومنعت من تنشق هوائه ونسائمه !

ما اعظمك وما اكبرك يا غسان في مثل هذا اليوم ، وكل يوم . اتذكر كلماتك ، فاشعر اني اتنشق هواء الوطن الضائع . وأراجع نصائحك وارشاداتك ، فاشعر انني استمع الى العصافير والحساسين تلعب فرحة فوق اشجار حيفا وعكا والقدس وكانها في عيد انتصارنا .

اتذكرك في كل حركة من حركاتك ، فاشعر اني اعيش بكل جوارحي داخل فلسطين العربية المحررة .

فمن خلالك يا غسان نرى عظمة القضية ، والمسير على خطاك يحقق النصر .

فما اقزامنا امام عظمة استشهادك ، وما اكبرنا طلابا على خطاك مسترشدين بك منارة هدي باتجاه الوطن .

فمن قرب مكتبك في مجلة « الهدف » ، ذاك الموقع الذي احببت ، ارفع في ذكراك محبة اجلال واكبار معاهدا دمك على الوفاء حتى التحرير او الاستشهاد .

سأستمرّ في ذكراك رغم الآلام !

غسان الاديب ، المفكر — المناضل، غسان رفيق دربي لم انساه من ذاكرتي رغم الآلام والصعاب ، نعم يا غسان جرت العادة ان نحتفل بذكرى استشهادك من كل عام وان نكتب الكثير عنك ، والرفاق والاصدقاء وكل الذين يعرفونك يا غسان يتبارون في الكتابة عنك انها عادة ورثناها منذ تاريخ نضالنا بان نكتب عن الابطال في ذكرى استشهادهم ولكن انا يا غسان اكاد لا اصدق القلم ماذا يكتب والورقة ما تخبيء داخلها من كلمات ، عقلي يشرد وعيناي تصحوان وتغفوان على الكلمات كانهما لا تصدقان الكلمات ولكن سرعان ما اصحو من غفوتي ساعة ادخل غرفتك وانظر في المكان الذي كنت تجلس فيه وراء الطاولة اتخيلك لثوان معدوده ولكن سرعان ما تختفي الى عالم اخر .

اعذرني يا غسان اذا كنت لا احب ان اكتب عن ذكرى استشهادك لاني لا احب ساعة الصفر ، ساعة الغدر ، ساعة سماع ذلك النبأ المفجع الذي افقدني القدرة على الحركة ، سأستمر في ذكراك رغم الآلام يا غسان .

رفيقك عبد الرؤوف حماده

Digitized by Birzeit University Library

ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في فلسطين

خلفيات وتفاصيل وتحليل

بقلم : سميح شبيب

غسان كنفاني ، المناضل السياسي ، الاديب ، الصحفي ، غسان كنفاني الانسان ، ذهب ، ولم يذهب ، غابت صورته المتحركة عنا ، وبقي ما تبقى لنا منه .. وما بقي ليس الذكرى فحسب ، بل الانسان ، بفكره الحي النابض ، وتراثه الحضاري المستمر فينا . « ليس غسان كنفاني موضوعا للرثاء ، لانه حاضر ومبدع . حاضر وملهم . حاضر وثائر ، والنظر اليه كما ننظر الى ماض يشبه النظر الى فلسطين وكأنها شيء ماض . ان فلسطين وغسان حاضران . حاضران فينا وفي العالم . لانهما قادمان من المستقبل » (١) .

وكما فلسطين باقية مستمرة فينا ، فان غسان .. ذلك الابن البار لوطنه وشعبه ، كان وما زال باقيا فينا .. وكما الوطن .. بجماله وبهائه وعظمته وتنوعه .. كان غسان ، جميلا رائعا ، وعظيما ومتنوعا رسم فلسطين ، بأحرف فلسطينية فكان الاخضر ، وكتب الهاجس الفلسطيني وهمه الكبير ، الغربة .. فجاءت لرواياته عملا فنيا — سياسيا آية في الجمال والالتزام الثوري.

ترك غسان ، الصف الدراسي ، الذي كان معلمه ، ليصبح معلما لشعبه عبر عضويته في المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعبر نضاله في (مهنة المتاعب) ، الصحافة ، تمكن من الاسهام الجدي والدؤوب ، ان تكون فلسطين في الموقع الصحفي اللائم لان تكون فيه .

لقد كتب عن غسان روائيا ، وعن غسان صحافيا ، وعن غسان فنانا وعنه سياسيا ، وبالرغم من ان ما كتب كان جديا ومتنوعا ، الا ان الكثير الكثير لم يقل عنه بعد .

ان ما أود ان اكتب عنه ، كاثارة متواضعة ، اولية وبسيطة ، هو ذلك الجانب الحضاري العميق في فكر غسان كنفاني ، انه الجانب التاريخي ، وذلك عبر دراسة كانت قد نشرتها (شؤون فلسطينية) (٢) تحت عنوان (ثورة ٣٦ — ١٩٣٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل) ، هذه الدراسة التي كتبت في ظروف سياسية معينة كانت قد احاطت بالمقاومة الفلسطينية ، غداة احداث ايلول الدموية في الاردن ، وتصفية الوجود العلني لها ، ثم طرح مبادرات « لتسوية ازمة الشرق الاوسط » .

ان هذه الاثارة الاولية المتواضعة ، ستتناول مسالتين اساسيتين في دراسة غسان كنفاني أولهما : البعد المنهجي والتلقي التاريخي فيها ، وثانيهما : ستتناول الاستنتاجات والدروس السياسية التي استخلصها غسان من خلال دراسته ، لقد اراد غسان ان يقول اشياء سياسية عديدة من خلال دراسته ، ولعل من المفيد العودة اليها الان .

١ — سلكت الدراسات التاريخية الفلسطينية ، غداة الهجرة ١٩٤٨ ، الى تناول الحوادث التي تعرض لها الشعب الفلسطيني ، وكانها حوادث قصصية فجاء منهجها سرديا ، مع بعض مقاطع حماسية ، ونداءات ... وبالرغم من أهمية هذه الدراسات السردية ، الا انها لم تستند الى منهج علمي واضح ، ولكنها مصادر اساسية لاستيفاء المعلومات ، اذا استقطنا منها الجانب التفسيري المرتكز في الاعم ، والاغلب على النظرة الميتافيزيكية للاحداث ، وابراز دور (الفرد القائد) بحجم يفوق الحجم الموضوعي له .

ومن جانب آخر ، فان الدراسات البريطانية التي تناولت بدورها مسائل الصراع العربي — الصهيوني ، فقد اعتمدت بصورة اساسية الى تقارير وزارة الخارجية البريطانية ، وتقارير الاستخبارات البريطانية في فلسطين ابان الانتداب ، وبذلك فانها تضمنت معلومات ذات اهمية كبيرة ، ولكنها سبكت بطريقة « ملتزمة » بالتحالف الانكلو — صهيوني من جهة ، واستخلاصات لا ترتكز على الوقائع الاقتصادية — الاجتماعية في فلسطين ابان مرحلة الانتداب البريطاني عليها .

وارتكازا على هذين المعطيين ، فقد وقعت اكثرية الدراسات التاريخية الفلسطينية الحديثة اسيرة هذه المصادر البريطانية ، والفلسطينية السردية — ان جاز التعبير — ولم تستطع بالتالي من الاسهام الجدي في عملية البناء التاريخي الوطني الفلسطيني .

— اضافة الى هذه الانماط من الدراسات الحديثة ، فلم تخل المكتبات ، والصحف الفلسطينية من دراسات (تاريخية) ، ونضع تاريخية بين قوسين للتحفظ — تناولت الاحداث الوطنية الفلسطينية دون ان تنجشم عناء البحث فيها ، والاطلاع على حقائقها ، فجاءت تعميمات خطابية ، حماسية ، دون ذكر الحقائق والاستنتاج منها ، وفق المنهج الموضوعي .

وغالبا ما ادعت هذه الدراسات ، وتبق صلتها بالمنهج المادي التاريخي ، وهي بعيدة عنه ، فسهل عليها كيل الاتهامات للجهة الفلانية ، أو تلك ، أو للشخصية الفلانية ، أو تلك لقد مرت هذه الموجة بالسرعة التي جاءت بها ، دون ان تترك اثرا حقيقيا في الفكر السياسي التاريخي الفلسطيني الحديث .

ان هذا التقسيم الموجز لمعظم الدراسات التاريخية الفلسطينية الحديثة يقودنا للتساؤل حول منهجية غسان التاريخية في دراسته « ثورة ٣٦ — ١٩٣٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل »

فكما هو واضح من العنوان ، فان الدراسة هدفت الى التوصل الى تحليل بعد عرض التفاصيل ، وذكر الخلفيات ، وبمعنى منهجي أرادت ان تسلك الموضوعية

في البحث ، فعادت الى خلفيات الثورة منذ عام ١٩١٨ ، وهو تاريخ تبلور الاتجاه السياسي الفلسطيني بمعناه الحديث ، متعرضة الى الازمة التنظيمية للحركة الوطنية الفلسطينية التي « كانت تترافق بصورة او باخرى مع الكفاح المسلح ، لم تستطع أن تعكس نفسها على البنية الفوقية للحركة الوطنية الفلسطينية ، التي ظلت تحت هيمنة القيادات الاقطاعية شبه الدينية ، ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى سببين متداخلين :

أ — وجود وفاعلية الحركة الصهيونية التي ضاعفت من ثقل وهيمنة التحدي القومي على جميع أشكال التحديات الاخرى ، وعكس هذا التحدي نفسه على الطبقات الكادحة العربية التي كانت تعاني من الغزو الصهيوني المدعوم من الامبريالية البريطانية معاناة يومية مباشرة .

ب — وجود حد من التناقض بين القيادات العائلية الاقطاعية الدينية العربية وبين الامبريالية البريطانية ، يجعل دفع الثورة الى مدى معين من مصلحة هذه الطبقات التي تجد عادة مصلحتها في ظروف مغايرة مختلفة عن الاستئناف الفلسطيني الخاص بالتحالف شبه الكامل مع الامبريالية ، وقد نشأ ذلك الحد غير العادي من التناقض عن وجود (عميل ملائم أكثر) للامبريالية البريطانية هو الحركة الصهيونية، جرى توظيفه بدل تلك الطبقات (٣) .

ان التقاط هذه الحقيقة ، لبداية ازمة الحركة الوطنية الفلسطينية ، وللصراع الفلسطيني — الانكلو — صهيوني ، وعرضه في بدء الدراسة ، يعطي لها المنحى المادي في التحليل ، المرتكز على وضوح الرؤية من ناحية ، والمستند للمعطيات القومية للصراع ، بآفاقها الاممية .

من هنا جاء التعرض (للطبقة العاملة) كاول طبقة تناولتها الدراسة ، في دراستها للخلفيات . « فلم تكن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، والاشكالات المنبثقة عنها ، مسالة أخلاقية ، أو ذات تاثير يومي متعاظم ، ملموس بوضوح شديد على الشعب العربي في فلسطين ، وخصوصا على صغار الفلاحين ، والفلاحين المتوسطين والعمال وقطاعات من البورجوازية الصغيرة والوسطى . ان الانعكاسات الاقتصادية للهجرة اليهودية كانت حادة بحد ذاتها ، ولكنها تضاعفت ايضا بسبب النتائج القومية والدينية التي حملتها معها بالطبيعة » ان هذه الرؤية الواضحة للهجرة الصهيونية وتاثيرها على الطبقة العاملة في فلسطين استندت للمعطيات الرقمية الدقيقة للهجرة الصهيونية والبطالة في صفوف الطبقة العاملة الفلسطينية منذ عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٣٦ مع التعرض لدور الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وازمته التاريخية ، بعدم قدرته على تعريب نفسه ، وحسم أموره باتجاه الكفاح المسلح . « ان غياب دور الحزب الشيوعي على هذه الصورة ، وضعف البورجوازية العربية الصاعدة ، وتشتت الحركة العمالية العربية ، جعل دور القيادات الاقطاعية — الدينية مرشحا للعب دور رئيسي عندما تصاعدت الاحداث الى انفجار ١٩٣٦) .

واذا كانت هذه الخطوط العريضة قد تحكمت بالاوضاع العمالية عشية ثورة ١٩٣٦ ، فقد كان الضعف الاخر في خلفيات الصراع يتركز في الريف ، حيث ارتفعت ملكية الصهاينة على حساب الاراضي الريفية والمدنية من ٣٠٠ الف دونم على ١٩٢٩ الى مليون و ٢٥٠ الف دونم عام ١٩٣٠ في ظروف حياة زراعية خضعت لسياسة الافقار المنظمة حتى غدى (عالة الفلاح الفلسطيني في ديونه) على حد تعبير تقرير جون هوب سمبسون عام ١٩٣٠ (٤) ، وذلك في ظروف الحياة الزراعية التي يصفها غسان بقوله « فالحياة الزراعية في العالم المتخلف عموما ، وبصورة خاصة في العالم العربي ، ليست نمطا من الانتاج فحسب ، بل هي وبدرجة مساوية أساليب حياة اجتماعية ودينية وطقوسية راسخة ، وبالتالي فان الصدام على هذا الصعيد يشكل صداما يأخذ بالدرجة الاولى شكل الصراع القومي البحت »، ولم تغفل الدراسة جانبا هاما من جوانب الحياة الديموغرافية الا وهي الجانب المتعلق بالبدو « ان « طبقة » لم تعط الاهمية الكافية في الدراسات الفلسطينية هي « طبقة » البدو الذي بلغ تعدادهم في فلسطين عام ١٩٣١ : ٥٥٣ ، ٦٦ بدويا « كان عددهم ١٠٣٫٠٠٠ في ١٩٢٢ ، أن هذه القوة التي شاركت مشاركة بارزة في ثورة ١٩٣٦ كانت قد لعبت دورا مهما في انتفاضة شهر آب ١٩٢٩ » .

وبعد أن استعرضت الدراسة الاوضاع العمالية والفلاحية في فلسطين قبيل ثورة ١٩٣٦ ، افردت قسما طويلا للمثقفين ، واحوال التعليم في البلاد وكذلك الصحافة .

تذكر الدراسة ، بقدر كبير من الاعتزاز واقع الصحافة في فلسطين « ففي الحقيقة كان عدد كبير من المطابع قد تاسس في فلسطين قبل الاحتلال البريطاني ، وفي المدة الواقعة بين ١٩٠٤ — ١٩٢٢ ظهرت في فلسطين حوالي ٥٠ صحيفة عربية ، وقبل انفجار ثورة ١٩٣٦ أضيفت عشر صحف أخرى على الاقل ، كان رواجها واسعا » ، وعند استعراضها للارقام المتعلقة بالدراسة والمثقفة تقول : « ومع ذلك فان هذه الارقام وان عكست الواقع التعليمي في الريف خصوصا فهي لا تعكس الواقع الثقافي في دجيل فلسطين ، هذا الواقع الذي لعب دورا طليعيا منذ بدء النهضة العربية في مطلع القرن العشرين »

لقد تمكنت الدراسة من استعراض الوضع الثقافي الفلسطيني قبل الثورة، كداعي ومحرض لها ، استعراضا تاريخيا مكثفا ، يشكل في مضمونه المدخل المنهجي للثورة « من هذه الزاوية كان الصراع الثقافي بين الدعاة الثوريين وبين الرجعيين (في الريف) وبين الدعاة الثوريين وبين المعديين والرومانطيكيين (في المدينة) يكسب

Digitized by Birzeit University Library

في كل يوم ، لمصلحة الثقافة الثورية ، مساحة جديدة ، لا نعرف كاتبا او اديبا فلسطينيا واحدا في الفترة التي نحن بصددها لم يخض غمار الدعوة المناهضة للعدو الاستعماري بهذه الدرجة او تلك وعلى هذا المستوى من الوعي او ذاك » .

ـ ستعرض الدراسة لاسباب الثورة بمنظور دارسين تاريخيين سابقين كالسفري ، وصبحي ياسين ، وبهودا بوبير ، ونقول بعد ذلك « ان الاسباب الحقيقية للثورة في الواقع ، هي وصول حدة التناقض في عملية انتقال المجتمع الفلسطيني من الاقتصاد الزراعي ـ الاقطاعي ـ الاكليريكي ، العربي الى الاقتصاد الصناعي البورجوازي اليهودي (الغربي) الى ذروتها » .

وتؤكد الدراسة مدى اهمية ، الوقوف ، وقفة خاصة عند الشيخ عز الدين القسام « لان معظم الذي كتب عنه قد مسه من الخارج فحسب . وبسبب هذه السطحية في دراسة شخصيته لم يتردد عدد من المؤرخين اليهود من اعتباره (درويشا متعصبا) فيما اهمله الكثيرون من المؤرخين الغربيين ، وفي الواقع يبدو ان الاخفاق في ادراك العلاقة الجدلية بين الدين والنوازع الوطنية في القاسم المتخلف هو المسؤول عن التقليل من اهمية الحركة القسامية ، ولكن مهما لا ريب فيه ان حركة (١٩٣٥/١١/١٢ ـ ١٩٣٥/١١/١٩) كانت نقطة انعطاف لعبت دورا مهما في تقرير شكل متقدم من اشكال النضال ، اذ انها وضعت زعامات الحركة الوطنية الفلسطينية التقليدية ، التي كانت قد انشقت على نفسها وتشتتت وتشرذمت ، امام امتحان لا يمكن الفرار منه »

ولقد امتازت الدراسة باستعراض احداث الثورة ، استعراضا سياسيا على ارضية الوضع الطبقي ـ السياسي مع وضع الجانب العسكري كوسيلة لتحقيق الغاية السياسية .

فالتحالف الانكلو ـ صهيوني ، ومن خلال القوة العسكرية الانتدابية البريطانية كان يرمي الى تصليب الموقف الصهيوني ، وايقافه على قدميه وذلك عبر وسيلتين « الاولى هي ضرب فقراء الفلاحين الثائرين بعنف لا مثيل له ، والثانية استخدام نفوذهم الواسع لدى الانظمة العربية ، التي لعبت دورا كبيرا في تصفية الثورة »

ان استعراض احداث الثورة ، عبر التحليل ـ الموضوعي تلتقط في نهايتها الحقائق التالية :

« ان الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ضربت على مفاصلها الثلاثة : المفصل الذاتي، بمعنى عجز وتذبذب وضعف وذاتية وفوضى قيادتها المتخلفة . والمفصل العربي ، بمعنى تواطؤ الانظمة العربية على اجهاضها في وقت لم تتفاعل الحركة الوطنية العربية الشعبية (الضعيفة) مع الثورة الفلسطينية الا بصورة انتقائية وذاتية وهامشية . والمفصل العالمي بمعنى المثل الضخم في ميزان القوى الموضوعي، والناشيء عن تحالف مجموع المعسكر الاستعماري فيما بينه وكذلك فيما بينه وبين الحركة الصهيونية التي صارت تتمتع منذ ذلك الوقت بقوة محلية ضاربة لا يستهان بها عشية الحرب العالمية الثانية » .

٢ ـ دروس الثورة

اذا كانت الدراسة ، قد نجحت في انتهاج الموضوعية ، واستخلاص النتائج من خلال البحث الجاد ، عن الحقائق ، فانها تمكنت ايضا من التقاط الحقائق والدروس الاساسية من خلالها .

ا ـ المسالة التنظيمية والبنى الطبقية والقيادة

لعل اهم المعطيات التي التقطتها الدراسة ، هي مسالة التنظيم ، والبنية الطبقية . فالدراسة تعرضت لطبقات المجتمع الفلسطيني ، فوجدت بان العمال والفلاحين ، والمثقفين الوطنيين ، هم اصحاب المصلحة الحقيقية في انجاز مهام الثورة الوطنية ، فهم من تضررت مصالحهم بشكل مباشر وسريع من انتقال جزء هام من الرأسمال اليهودي العالمي الى فلسطين ، ففقدوا جزءا من اراضيهم ، ثم ان الصناعة الرأسمالية الصهيونية ، المدعمة بانظمة الانتداب البريطاني ، قد اضرت بالطبقة العاملة الفلسطينية ، لان هذه الصناعة كانت قد (هودت) منذ البداية .

ان تناقض المصالح الاقتصادية ، والسياسية ، والقومية بين الصهيونية ، وتلك الطبقات في المجتمع الفلسطيني شكلت الارض الخصبة للصراع .

الا ان هذه الطبقات بالرغم من عمق وطنيتها ، واستخدامها لارقى انواع الكفاح المسلح ، الا انها بقيت اسيرة القيادات (شبه الاقطاعية ـ شبه البورجوازية) هذه الطبقات التي كانت تراهن ، على امكانية (انصاف) بريطانيا للفلسطينيين ، وقد عكفت هذه الطبقات على تاسيس الاحزاب السياسية الاساسية في فلسطين : (حزب الدفاع ـ النشاشيبية) و (الحزب العربي الفلسطيني ـ الحسينية) ان هذين الحزبين ، كانا قد لعبا دور القيادة المرحد بعيد في المجتمع الفلسطيني ، واستخدما نضال تلك الطبقات ، لمصالحها وللضغط على الانتداب في سبيل انتزاع مصالح اكبر .

ان علة الثورة في قيادتها ، وليس في قاعدتها .

من هنا ياتي حديث الدراسة المستفيض، حول دور الحزب الشيوعي الفلسطيني، الذي تاسس في وقت مبكر (١٩١٩) الا انه لم يستطع ان يعرّب نفسه لوقت متاخر ، ولم يستطع ان يخرج من قوقعته الضيقة ، فغاب دوره الاساسي في قيادة الجماهير ، عبر وسائل النضال ، ومنها المسلح .

ان الدراسة تشير بوضوح تاريخي عميق ، الى اهمية التنظيم في الثورة ، واهمية قيادة التنظيم وهويتها الطبقية ، واهمية التجانس بين القيادة والقاعدة طبقيا وسياسيا .

ب ـ البعد القومي في الثورة

اكدت الدراسة ، بان الثورة الفلسطينية لا يمكنها ان تنعزل عن بعدها القومي العربي ، الا انها تمكنت من التمييز الدقيق ، بين الضغط الرجعي العربي عليها ، وبين الالتزام القومي الثوري بها .

فاكدت على دور عز الدين القسام ، وبان « سوريته (هو من مواليد جبلة قضاء اللاذقية ، ١٨٧١) تمثيل للعامل القومي العربي في المعركة » وعلى انتمائه الطبقي بالوقت نفسه « وعندما استشهد القسام لم يعثر في جنازته الا الفقراء » وكيف ان هذا الالتزام القومي استمر بعد استشهاد القسام في رموز قومية معروفة ، سعيد العاص، لبنان ، الشيخ محمد الحنفي ، مصر ، محمد الاشمر ، سوريا .. وبذات الوقت ، فضحت الدور الرجعي العربي ، الذي شكل في تلك الفترة ، التي تناولتها الدراسة ، دور الضاغط على القيادات الفلسطينية للقبول ، بالحلول البريطانية ، وقد لعب الامير عبد الله ، الاردن ، دورا بارزا في هذه المسالة ، وكذلك نوري السعيد ، العراق ، والملوك والامراء والرؤساء العرب في ضغطهم على القيادة الفلسطينية للذيل امام لجنة التحقيق الملكية ، برئاسة بيل . بهدف تفكيك ثورة ١٩٣٦ .

وقد استشهدت الدراسة بتلك الرسالة الخطيرة ، التي كان قد ارسلها عبد العزيز آل سعود والملك غازي جاء فيها : « ... بالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب ، فقد رأينا ان المصلحة تقضي الاتصال باللجنة الملكية .

ان التمييز في الدور « القومي » ، وعدم الخلط السياسي في مفهوم « العروبة » كانت الدراسة قد تمكنت من التقاطه من خلال دروس ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ .

ج ـ الثورة والتحول الايديولوجي

شهدت فلسطين ، كما شهدت اقطار المشرق العربي ، ظهور « اتفاقات » مختلفة الداعية للاستكانة ، كانعكاس طبيعي للوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي ، الذي كرسه الاستعمار التركي عبر اربعة قرون متتالية .

واذا كان (المثل) الشعبي ، يشكل المقولة السياسية لدى الجماهير ، فان الدراسة اوردت ٢١ مثلا شعبيا تؤكد طبيعة هذه الثقافة مثل : (اللي بياكل من خبز السلطان يضرب بسيفو) (المدنيا مع الواقف) (انا اول من طاع وآخر من عصى) ، وتشير الدراسة بان « حركة النضال الفلسطينية لم تكن علاقة وصفية او تسجيلية ، ولكنها كانت علاقة جدلية من طراز عميق » .

وقد اثرت عبر علاقاتها الجدلية بالوضع الايديولوجي الفلسطيني منذ عام ١٩١٨ ـ ففي كانون الاول ١٩٢٠ وجهت حكومة الانتداب البريطاني الى رئيس تحرير مجلة الكرمل الثقافية التي كانت تصدر آنذاك في حيفا رسالة رحبت فيها نشر قصيدة شاعر العراق الشهير معروف الرصافي ، الذي كان يزور فلسطين آنذاك الى المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل ، وفيها يمجد خطيبا يهوديا اسمه (يهودا) ويكيل مديحا لا حد له للمندوب السامي . ولكن صاحب (الكرمل) ـ نجيب نصار ـ لم يجد من اللائق نشر تلك القصيدة التي لا يمكن ان نوصف الا بالجنة دون رد عليها تطوع لكتابة الشاعر وديع البستاني :

خطاب «يهودا» ! أم عجاب من السحر ؟ وقول الرصافي ؟ ام كذاب من الشعر
فريضك من در الكلام مزائد وأنت ببحر الشعر اعلم بالمدر
ولكن هذا البحر بحر سياسة اذ امد فيه الحق اذن بالجزر

اجل ! عساير الاردن كان ابن عمنا ولكننا نرتاب من عساير البحر

« ان هذه القصيدة الطويلة التي اشتهرت انذاك كثيرا هي في الحقيقة وثيقة سياسية فذة ، فالمناقشة فيها لا تسفه الرصافي فحسب ، بل تثبت معطيات سياسية على غاية الاهمية في ذلك الوقت المبكر » .

ومع تصاعد التناقضات وانفجار الانتفاضات المسلحة ، كان الريف يتطور فكريا وقد تجسد ذلك بالاهازيج ، والاغاني وقد اوردت الدراسة العديد من الامثلة على ذلك ، ومنها :

« باباس شو هالنسخة صهيوني مع غربي » اشارة للتحالف الانكلو صهيوني .

وفي الاعراس غدت الاهزوجة التالية ، بديلا عن الاهازيج المستكينة السابقة .

« العريس هو منا ، يا ويل اللي نحاربو ، بالسيف نقطع شاربو ، هز الرمح بعود الزين ، وانتو يا نشامى منين ؟ واحنا شباب فلسطين ، والنعم والنعمتين ، يا ابو العريس لا تهتم ، واحنا شرابين الدم ، في بلدنا ووادي التفاح (قريتان قرب نابلس وطولكرم ، وقعت فيهما معارك بارزة ضد الانتداب البريطاني في ١٩٣٦) ، صارت هجمة وضرب سلاح .. يا بيض يا ملامح ، بالله نزعرتنا ، يوم وقعة بيت آمرين ، شموع شلح المرانين ، طلي علينا من البلكون » .

كما دعت بعض الاهازيج « يا غربي يا ابن المجروده ، بيع أمك واشري بارودة ، والبارودة خير من أمك، يوم المثورة تفرج همك » .

وفي احتدام الصراع ، بدأ الموقف الايديولوجي على الصعيد الديني ينفرز ايضا ولم يعد الدين ، سلطة مطلقة بيد السلطات والقيادات الكلاسيكية ، غير قابلة للنقاش ، لا سيما بعد حركة عز الدين القسام ، التي مثلت العامل الديني الوطني ، بينما مثلت القيادات الكلاسيكية ، وبشكل بارز ومحدد (النشاشيبيين) الوجه الاقطاعي ، الديني ، اللا وطني .

وقد تناول الادب ، ظاهرة استخدام الدين للمصالح الرجعية ، وقد برز ذلك في قصيدة الشاعر عبد الرحيم محمود ، ١٤ / ٨ / ١٩٣٥ ، والتي خاطب بها الامير سعود الذي جاء يومذاك يزور فلسطين قال فيها : ـ

المسجد الاقصى ، اجئت تزوره ؟ أم جئت من قبل الضياع تودعه ؟

لمشاريع المساجد ، في القرى ، والمساهمة القومية التي اخذت طابعا وطنيا دينيا في وقد ساهم في عملية الفرز هذه ، المشاركة الدعاوية ، والكفاحية الفعالة ، الكفاح الوطني الفلسطيني .

● ان دراسة غسان كنفاني التاريخية ، اضافة لما ساهمته في الدراسات التاريخية الفلسطينية المعاصرة ، فانها القت الاضواء على البعد التاريخي في فكر غسان كنفاني ، والذي من شانه بالطبع ، ان يسهم بدوره في فهم اعماله الروائية بشكل خاص ، ان منظور غسان كنفاني للتاريخ ، من خلال دراسته ، هو عملية مستمرة ، فالشخصية الفلسطينية التي ابرزها غسان في اعماله الروائية ، هي تلك الشخصية التي تستمد من الماضي صمود الحاضر ، وآمال المستقبل .

■

(١) شؤون فلسطينية ، العدد : ١٣ (ايلول ١٩٧٢) . مقدمة ملف عن غسان كنفاني شارك به :
ـ لطفي الخولي ، غسان كنفاني .. رجل تحت الشمس .
ـ احسان عباس ، الجسور والعلاقات في قصص غسان : دراسة في فكره القصصي .
ـ بلال الحسن ، غسان والموت
ـ أحمد خليفة ، عالم القضية الفلسطينية في ادب غسان كنفاني .
ـ الياس خوري ، البطل الفلسطيني في قصص غسان ـ فضل النقيب ، عالم غسان كنفاني .
ـ في المنسور ، غسان كنفاني في كتبه الاحد عشر .

(٢) العدد : ٦ (كانون الثاني ١٩٧٢) .

(٣) غسان كنفاني ، ثورة ٣٦ ـ ١٩٣٩ في فلسطين : خلفيات وتفاصيل وتحليل ، وكذلك فان المقاطع بين المزدوجتين هي اقتباسات من نفس المرجع .

(٤) تقرير جون هوب سمبسون ، تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان والعمران) مترجم ، القدس : مطبعة دار الايتام الاسلامية ١٩٣٢)

شبح الدولة الفلسطينية

أين هو ؟ ما هي ؟ من يروج له ؟
من سيقاومه ؟ وكيف يحدث ذلك ؟؟؟

... ولم يكن من المصادف ان تزداد حملة الدولة الفلسطينية ضراوة بعد مجزرة ايلول ، لان هذه المجزرة قد هيأت ظرفا نفسيا سلبيا من الممكن ان يستخدم حتى اقصى مدى لترسيخ « فكرة الدولة الفلسطينية » . ان اهمية هذه الفكرة ليست في واقعيتها ، وليست في امكان تحقيقها ، ولكن في كونها مطروحة امام الجماهير الفلسطينية المغلوبة على امرها « كبديل » ، في وقت لا تستطيع فيه حركة المقاومة لاسباب ذاتية وموضوعية ان تقدم « بديلا » مباشرا وعلى المدى القصير .

ويستهدف طرح هذه الفكرة على هذه الصورة الامعان في عزل المقاومة ، وسحب ارضها الشعبية من تحتها ، فذلك هو الطريق نحو فرض حلول الاستسلام على الشعب الفلسطيني ، اذ طالما ان حركة المقاومة قادرة على ان تظل الممثلة الوحيدة لارادة الشعب الفلسطيني فانه يبقى من الصعوبة بامكان فرض الاستسلام على هذا الشعب .

ولذلك فقد جرى طرح فكرة « الدولة الفلسطينية » في وقت مبكر ، وكانها صارت حقيقة واقعة ، في نوع من التشويش للولاء الفلسطيني للمقاومة ، وتثبيت هذا الولاء وسرقته .

وبمجرد المقارنة بين الترويج المبالغ فيه لهذه الفكرة ، كحقيقة تكاد تكون واقعة، وبين الامكانيات العملية والموضوعية لتحقيقها في الظرف الراهن ، تتضح الفجوة الكبيرة المنصوبة لتحقيق غرضين :

اولا : سلب ولاء الجماهير للمقاومة كاحتمال للمدى البعيد يمر الآن في فترة جزر ، مقابل « وعد » على المدى القصير ...

ثانيا : دفع المقاومة لخوض معركتها الحاسمة الاخيرة في وقت غير مناسب ، وذلك دفعا نحو تصفيتها جسديا قبل موعد المعركة الحقيقية مع « الحل السلمي » اجمالا ...

انه من المؤكد ان « فلسطينستان » ستكون بشكل من الاشكال ، جزءا من « الحل السلمي » في حال فرض الاستسلام السياسي على الانظمة العربية والبدء في تنفيذه ، ولذلك فان مواجهة هذا الخطر يظل مرتبطا بالمواجهة الراهنة القائمة بين حركة التحرر الوطني العربية وبين الهجمة الامبريالية .

ان « فلسطينستان » لا يمكن ان تكون الا مشروعا مرتبطا بمجمل المعركة الراهنة التي تخوضها حركة المقاومة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية بصورة عامة ، وبالتالي فان احباط مثل هذا المشروع على المدى القائم ، يكمن في قدرة هذه الحركة على وقف حالة الجزر الراهنة وتمتين ارتباطها بالحركة الشعبية العربية .

بقلم غسان كنفاني

الهدف ـ ٩٠ ـ ٦ / ٣ / ١٩٧١

Digitized by Birzeit University Library

غسان كنفاني الإعلامي

● تولى الشهيد غسان ، مسؤولية العمل الاعلامي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اضافة الى ترؤسه هيئة تحرير « الهدف » المجلة المركزية للجبهة منذ انشاءها وحتى تاريخ استشهاده .

ثم اتفاق على أن غسان كنفاني قد مثل حالة طليعية على الصعيدين الاعلامي والسياسي لا تقل عن الذرى الثقافيه التي تربع عليها وبجدارة فائقة . نلحظها في الحضور الكثيف لغسان في مختلف المجالات الثقافية .

تجلى غسان على مختلف الاصعدة التي تقدم عبرها نشاطات ذهنية ما كان ليكون على الصورة التي كانها لولا توقده الذهني المترافق مع ثقافة واسعة وعميقة ، والتزام سياسي وتماسك ايديولوجي شكل القالب الذي حكم مجمل نشاطاته ، ذلك الالتزام الذي اهله لان يشغل وبجدارة عضويه المكتب السياسي للجبهة ومسؤولية اعلامها، ومن ثم اصبح هدفا ، حققه العدو ، باستشهاد غسان في ٨ تموز ١٩٧٢ .

كثيرة هي الدراسات التي كتبت حول غسان الاديب وقليله ان لم نقل نادرة ، تلك التي تعرضت الى دور غسان السياسي والاعلامي ، ذلك الدور الذي كان السبب المباشر لاقدام العدو على تفجيره ، وتحول الرجل بالطريقة الملحمية التي تقضى بها الى اسطوره .

من الادعاء بمكان ، القول ان هذه العجالة يمكن أن تلم بالدور السياسي والاعلامي لغسان ، فهي حافلة وزاخرة وارحب من ان تتسع لها مقالة او دراسة او بحث واحد . ولذا فان حدود هذه المقالة محاوله تقديم الفلسفة التي حكمت النشاط الاعلامي للشهيد غسان كما تجلت في مقالة له اختزن بها عبر امثله حية جملة المفاهيم التي عمل في ضوئها . وحيث تتبدى لنا واضحة جدلية العلاقة بين العمل السياسي والعمل الاعلامي ، وبكلمة ادق الوظيفة السياسية للعمل الاعلامي في زمن كادت ان تحمي الحدود بين العمل السياسي والعمل الاعلامي .

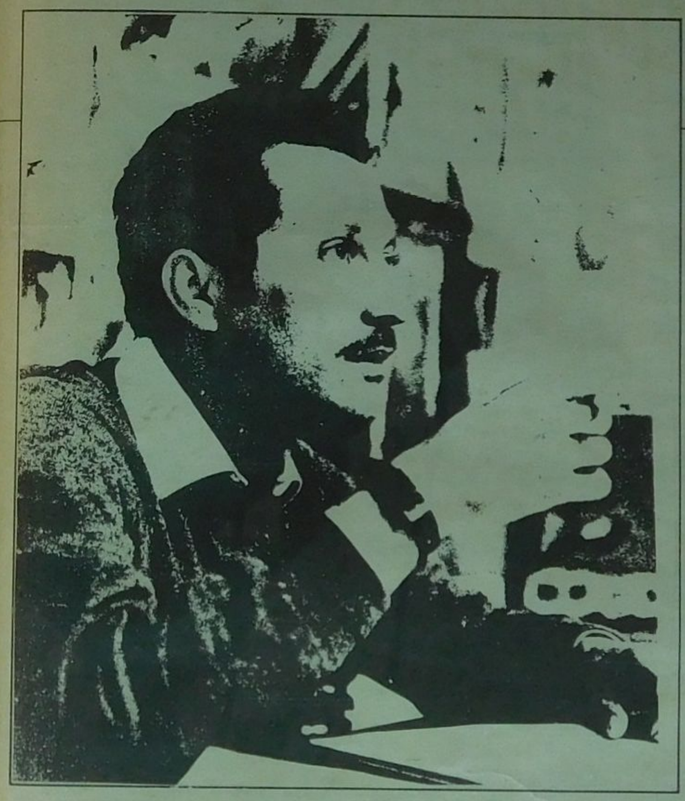

قضيّة العلاقات الاعلاميّة

الموقف العربي من قضايا العلاقات الاعلامية والتعليمية ، والشؤون الثقافية الاخرى ، مع العدو ، أو مع مؤسسات تابعة له ، ما يزال الى الآن خاضعا لاجتهادات شخصية وتقييمات ذاتية . ورغم ان هذا النوع من العلاقات اكثر تعقيدا وتشابكا من العلاقات التي تدخل في اختصاص قوانين ولوائح مكتب مقاطعة اسرائيل ، الا اننا نلاحظ ، بصورة اجمالية ، ان الموقف العام الذي تعتنقه الغالبية الساحقة من العرب الذين يطلب منهم « التحاور » الاعلامي مع اسرائيلي ، هو الرفض . ومع ذلك فان مكاتب المقاطعة نفسها تقع في اشكالات معقدة حين يطلب منها أن تصدر حكما على ممثل سينمائي ، أو على موسيقي ، أو على كاتب — وغالبا ما تتعرض احكامها في هذا النطاق الى اختراق من هذه الدولة العربية أو تلك ، في فترة ما أو فترة أخرى ، رغم ان قوانين وقرارات مكاتب المقاطعة هي — على وجه الاجمال — مطاعة من قبل الدول الاعضاء في الجامعة .

ان هذه الملاحظات ضرورية للاشارة الى انه من الصعب للغاية — أو بالاحرى مستحيل — الزعم بانه بالامكان صياغة وصفة ، أو قرار ، ينطبق على كل الحالات ، ومن الضروري اتباعه في كل زمان وفي كل مكان وعلى جميع المستويات . على انه يتعين علينا ان نسارع الى القول ان تحفظنا هذا لا يعني قط ان تظل الامور سائبة ، وان نظل المقاييس فردية ومزاجية — بل على العكس تماما : فالله من الصعب وضع صيغة لقرار يناسب كل الحالات فلا بد اذن من ايجاد جهة مخولة بتقدير الموقف في كل حالة من هذه الحالات، واصدار القرار الذي تراه مناسبا .

ونحن ندرك ان مثل هذه الجهة — ومن البديهي أن تكون قيادة الاعلام الموحد في منظمة التحرير — ستركب اخطاء في تقدير الموقف هذه المرة او تلك ، الا ان هذه الاخطاء تظل في نطاق معقول ، وهي افضل من حالة التسيب التي يمكن ان تنشأ في حال ترك الحبل على الغارب .

ان هذا الاجراء ينبع ببساطة من كوننا في حالة حرب مع اسرائيل ، وان هذه الحرب المحتدمة يسقط فيها شهداء كل يوم تقريبا ، وان اكثر من نصف شعبنا منفي ، ونصفه الآخر تحت قمع الاحتلال المباشر، والآلاف يرزحون بالسجون . ولو لم تكن درجة التناقض مع العدو بهذا المستوى من الحالة الصدامية المحتدمة، المتمثلة بالكفاح المسلح ، لكانت الدعوة لانشاء مثل هذه الجهة المركزية لا مبرر لها .

ولكن ، وزيادة في محاولة الاقتراب من صورة أشمل، لناخذ أحدانا مختلفة ، كل على حدة :

ا — التحاور بين طلاب اسرائيليين وطلاب فلسطينيين في تلفزيون لندن :

ان الطالبين الجامعيين الفلسطينيين (طالبة وطالب) اللذين ذهبا الى قبرص لمنازلة طالبين اسرائيليين حول المسالة الفلسطينية قد حققا في راي كثير من المشاهدين انتصارا ساحقا في المجادلة على الطالبين الاسرائيليين اللذين مثلا حالة من السطحية المعاجزة . ولكن الذين شاهدوا البرنامج لاحظوا ايضا ان الاطار الذي قدمت فيه المجادلة كان اطارا يحمل على تاييد اسرائيل .

ان معظم الحالات التي جرت فيها مواجهات من هذا النوع في برامج اذاعية وتلفزيونية مختلفة في اوروبا وأميركا كانت تنتهي لمصلحة الطرف العربي . وهذه النتيجة ليست غريبة ، وكل من يعرف شيئا عن وجهات النظر الاسرائيلية ، والفنون الاعلامية يعرف عادة كم هي هشة في حالات النقاش .

ومع ذلك فان السبب الذي يحملنا على الدعوة لرفض هذا النوع من الترف لم يكن قط الخوف من نتيجة المبارزة الكلامية ، أو الخشية من « صلابة » الفهلويات الاسرائيلية القابلة للكسر بسهولة ، عند مواجهة فيها الحد الادنى من الموضوعية .

ان السبب الاول هو اننا في حالة حرب مع هذا العدو ، ومقاطعتناله ليست نابعة من موقف وجداني ، ولكنها نابعة من طبيعة المواجهة التي نعيشها ضده ، وهذه المقاطعة هي في حد ذاتها وجهة نظر ، وموقف .

اننا ندرك بان كسب الراي العام العالمي — في هذه المرحلة على الاقل — لا يقدم فيها ولا يؤخر مثل هذه المبارزات الكلامية — وعلى العكس تماما ، فان اجهزة الاعلام البرجوازية تستخدم مثل تلك المبارزات للايمان في لعبتها التي تحقق لها في نهاية التحليل سطوة اشد على عقول جمهورها .

ان « بي بي سي » لندن ، التي ذهب بها « تسامحها » الى حد فتح الفرصة امام طالبين عربيين كي ينتصرا في مبارزة كلامية على طالبين اسرائيليين ، قبل حادث الهجوم على مطار اللد بـ ٢٤ ساعة فقط ، تعمدت طوال الاسبوعين اللاحقين رفض تمرير عبارة واحدة لمصلحة الفلسطينيين في كل نشراتها الاخبارية ، الى حد اضطرت معه الى تزوير واجتراء تصريحات وبيانات فلسطينية كي تجندها في خدمة حملتها العنصرية.

ولدينا كل الحق للاعتقاد بان تلك المبارزة الكلامية قد خدمت بصورة لا مثيل لها هذا المنهج المنحاز ، ومن المؤكد ان مثل هذا العمل ليس نتيجة لمؤامرة شيطانية أو تخطيط سري ، ولكنه نتاج منطقي للبنية السياسية والايديولوجية التي تحرك اجهزة الاعلام من هذا الطراز.

اننا بصورة اجمالية، ورغم كل تجاربنا، لم نستوعب بعد مدى انحياز وسائل الاعلام البرجوازية للحركة الصهيونية التي تراها كجزء حيوي من منطقها وتطلعاتها — وحسن ظن الكثير منا بكمية وجدوى المظاهر الديمقراطية الحرة في وسائل الاعلام هذه ، وطابع « البرلمانية » و « الحوار » الذي تمنحه لنفسها هو في الواقع نتيجة لمدى تغلغل سطورة هذه الوسائل الاعلامية في عقول بعضنا .

انني أجرؤ على القول ، من خبرة مادية وواقعية ، ان هدر مئات الساعات مع آلاف من الصحفيين والاذاعيين الاجانب ، خلال السنوات الماضية قد أدى الى نتائج تكاد لا تذكر — والشيء الوحيد الفعال هو حجم العمل المسلح والعمل السياسي في أرض المعركة ذاتها ، وليست هذه الملاحظة بعيدة عن موضوعنا ، اذ ان مقابلة كل صحافي وكل اذاعي هي في الواقع حلقة من الجدل العنيف ، هي — لو شئنا — شكل من اشكال المبارزات الكلامية . فالاحرى أن يقوم هؤلاء الاعلاميون بفتح مسرحهم أمام تمثيلية بين طلبة عرب وطلبة اسرائيليين . فذلك مشهد ليس فقط عديم النفع ، ولكنه ضار بالنسبة لنا .

ان مقاطعة العدو ، ورفض حوار الاتباع معه من خلال المبارزات الكلامية ، هو في حد ذاته موقف . هو وجهة نظر . هو شكل من اشكال الصدام .

ومع ذلك ، فان هذا الشكل الاعلامي (أي الحوار الكلامي مع العدو) هو شكل واحد فقط من بين عدد كبير من الاشكال الاعلامية التي يمكن لنا ان نستخدمها في الغرب ، شرط ان يظل هذا الاستخدام مشدودا الى الحقيقة الجوهرية التالية : ان تغيير ميزان القوى الاعلامي في الغرب لا يحدث الا في ميدان القتال .

اذا استوعبنا هذه الحقيقة استيعابا عميقا وجيدا ، صار بوسعنا معرفة ما هو اصح ازاء الاشكال الاعلامية المختلفة التي يتعين علينا انتهاجها : ان اي شبكة تلفزيونية ليست مستعدة لاعطاء اي فلسطيني ، في حال سكون الثورة ، دقيقة واحدة ليعبر فيها عن رأيه — ولكن هذه الشبكات ترغم ارغاما على فتح شبكاتها أمام صوت المقاومة حين يصبح الحجم القتالي والسياسي لهذه المقاومة من الكبر بحيث يدخل ، او يمس ، الاطار اليومي لحياة الناس في الغرب .

وعندها لا نعود بحاجة الى تقديم مشهد مسل من مشاهد المبارزات الكلامية ، مع عدونا المتصرف الى قتل شعبنا واستعباده ، أمام أميركي أو سويدي او الماني يتعشى « الهوت — دوغ » امام شاشة التلفزيون ولا يختلف الامر عنده ان ذهب العرب الى الصحراء أو ذهبوا الى جهنم ، مهما كانت قدرة المجادل العربي على الحذلقة !

ان عملنا الاعلامي في الغرب يجب ان يستند على الاصدقاء ، على الحركة الثورية في البورجوازيات الغربية ، ولا يمكن ان يتكون راي عام عالمي يقف الى جانبنا دون جهد هذه القوى اليسارية ، وتبنيها للقضية وبوسع هؤلاء الاصدقاء أن يقرروا عند ذاك ، على ضوء الواقع الذي يعيشونه في مكان معين وزمان معين، الاشكال الافضل للمعركة الاعلامية .

ان الاعلام معركة — هكذا يقول لينين — وبالنسبة لنا فان معركتنا الاعلامية لا تحقق انتصارا اذا ما جرى خوضها من خلال المبارزة الكلامية مع العدو امام راي عام في مجمله منحاز ، وعلى شبكات اذاعية وتلفزيونية تقف جوهريا ضد قضايانا .

ان الجلوس مع العدو — حتى في استديو تلفزيوني — هو خطأ اساسي في المعركة ، وكذلك فانه من الخطأ اعتبار هذه المسالة مسالة شكلية .

اننا في حالة حرب ، وهي بالنسبة للفلسطينيين على الاقل مسالة حياة أو موت ، ولا بد من التزام جمهرة الشعب الفلسطيني بالشروط التي تستوجبها حالة حرب من هذا الطراز .

ب : قضيه البروفسور منلي وقضيه المرجع الطبي :

لعل الاستاذ المذكور قد ظلم في هذه الحملة ، اذ

ثمة تسطيح للشعار المذكور ، حيث تناوله البعض وتعامل معه في اطار « الكذب » و « الصح » ، ولكن القراءة المتأنية في ما كتبه غسان ، تبين لنا ان رفعه للشعار المذكور انما كان نتيجة ثقة كاملة بالجماهير وحقها في الديمقراطية مع ما تعنيه الكلمة الاخيرة ، وما لها من مضامين اوسع بكثير من حقها في معرفة « الصحيح » وهنا نستطيع ان نتلمس تقاطع غسان الاعلامي مع غسان السياسي الذي يؤمن ان لا امكانية للانتصار دون اطلاق فعالية الجماهير ، وذلك لا يكون الا عبر الثقة بها واعطاءها حقوقها بما في ذلك حق الكلمة ، احد الاركان الاساسية للديمقراطية .

على قاعدة « الحقيقة كل الحقيقة للجماهير » كتب الشهيد غسان كنفاني ، وربما كان ذلك آخر ما كتب ، مقالته الشهيرة والمعنونة بـ « حول قضيه ابو حميدو وقضايا التعامل الاعلامي والثقافي مع العدو » . وقد نشرت بعد استشهاده في « شؤون فلسطينية » عدد آب (اغسطس) ١٩٧٢ .

يتضح من خلال المقالة المذكورة ان هنالك ثلاث قضايا محدده كانت تفرض نفسها وبالحاح في السوق الاعلامي ، الذي تعامل معها بطريقة قاصرة وذات طابع اعلاني ، درس غسان كيفية تناول القضايا المطروحة واخرجها من نطاقها الضيق كمسائل اعلامية، وليضعها في اطارها بعدها الصحيح بوصفها مسائل سياسية اولا ، ومن ثم اعلامية . ولعل اخطر الزوايا التي كشف عنها غسان اكتشاف العلاقة الشاذة بين العمل الاعلامي والعمل السياسي ، حيث لاحظ كيفية ارتهان التحاق التصرف الفعل السياسي الى مواقع صنعها الاعلام ، بينما كان يجب أن يحدث العكس . وفيما يلي نقدم جزءا من الدراسة المذكورة، والتي كانت آخر ما كتبه الشهيد غسان . ■

Digitized by Birzeit University Library

قيل منذ فترة طويلة انه صديق للعرب ، وان المقطع « الصهيوني » الذي ورد في كتاب كان قد اختاره كمرجع لصف من صفوف كلية بيروت للبنات ، لم يكن مقصودا. ومهما يكن الامر ، واذا كان انطباعي صحيحا ، فانني شعرت طوال تطورات هذه القضية ان المسألة مفتعلة — ليس لان الاستاذ الاميركي المذكور صديق العرب او لنس صديقا لهم ، ولكن لان المقطع الذي اثار كل تلك الضجة هو مقطع سخيف ، وان تدريسه يجري في صفوف عليا .

انني لا ارى سببا يمنع الصفوف العليا من الاطلاع على تفكير العدو ، بل لا ارى سببا يمنع من ان يكون هذا الاطلاع اجباريا . لو كان هذا المقطع ، او اي مرجع صهيوني ، قد جرى تدريسه خلسة في صف ابتدائي ، كشكل من اشكال غزو العقول البريئة العزلاء لاطفال غير قادرين على خوض جدل ضد ذلك الغزو ، فان الامر يصبح جريمة وطنية اذن .

ولكنني لا استطيع ان افهم كيف نتردد حتى الآن في الاطلاع ، وفي السماح بالاطلاع ، على مصادر واشكال فكر العدو .

هل كان البروفسور فنلي « يهرب » مادة ممنوعة الى عقول عزلاء ؟ انني لا اعتقد ذلك ، ولم اقتنع بحجج الذين حاولوا الايحاء بهذا . كل ما هنالك ان مقطعا كتبه مؤرخ متعصب ، نصف اعمى ، يشكو من سذاجة فكرية مفرطة ، قد جعل يمر من امام اعين طلبة من المفترض ان يكونوا متقدمين .

والشيء نفسه — تقريبا — يقال عن المرجع الطبي الموجود في مكتبة الجامعة الاميركية . (والواقع ان مكتبة الجامعة الاميركية مليئة بالكتب التي تعكس فكرا صهيونيا واسرائيليا على صعيد الادب والاجتماع والاقتصاد) .

على ان ذلك كله يدل على شيء مهم ، يمكن التوصل اليه من خلال طرح التساؤل التالي : لماذا نخاف من مثل هذه الامور ؟ وهل من المفترض ان نلغي حقنا (وواجبنا) في الاطلاع على الانجازات الفكرية والعلمية لافراد العدو ، والاستفادة منها ايضا ؟

ان ما يكمن وراء هذا التساؤل هو قناعتنا بان مناهج التربية والتعليم في بلادنا ليست في مستوى القدرة على معالجة هذا الموضوع جذريا ، ولو توفرت عندنا القناعة بان التنشئة الوطنية في مدارسنا مبنية على اسس علمية وراسخة وصحيحة وعصرية ، لما كان المقطع الساذج في برنامج « فنلي » يخيفنا ، ولما كانت رؤيتنا لمرجع طبي من انتاج عالم اسرائيلي في مكتبة الجامعة تهز ثقتنا بقدرة طلابنا الجامعيين على معرفة الفارق بين هذا المرجع ، وبين استمرار معركة التحرر الوطني ضد العدو الاسرائيلي .

ان برنامجا للتنشئة الوطنية ، قائما على البحوث العلمية والحقائق التاريخية ، والتحليلات السلمية ، يضع طلابنا وهم في صفوفهم الابتدائية والثانوية في صلب معارك امتهم ومصالحها ، هو الذي يجعل معالجتنا لمثل هذه المواضيع تصبح معالجة صحيحة .

وفوق تاسيس وطني من هذا النوع يصبح من واجبنا ان نوفر لطلابنا في دراساتهم العليا كل شيء يحدث في اسرائيل ، صحافة وكتبا وانجازات .

وبالطبع ، فان تربية وطنية من هذا الطراز لن تمنع من وجود استاذ اجنبي منحاز ، ما زال مصرا على غسل يديه الملطختين بدماء الخطيئة اللاساميه بجلود العرب ، او متعصب ديني محشو بالخرافات السياسية — وانا اشك في وجود طريقة قادرة على استئصال مثل هذا النوع من البشر — الا انه من المؤكد عندئذ ان المضر الذي يستطيع مثل هذا الاستاذ ، الاجنبي او العربي ، تسبيبه للطلاب يكون محصورا او محدودا وغير ذي اهمية .

ان التناقض الذي لا يحتاج الى شرح ، والذي نعيشه كل يوم فيما يتعلق بهذه المسألة ، يدل على الاساليب الشكلية التي تقوم بها معظم الانظمة العربية لمعالجة مشكلة مهمة من هذا الطراز ، وفي الوقت الذي تمتلىء فيه كل صحف الغرب، تقريبا ، بامتداح اسرائيل وشتم العرب ، وتدخل الى معظم اسواقنا دون رقابة ، وتشكل غزوا اعلاميا عنصريا مستمرا ويوميا ، نرى ان الحملة على كتب موضوعة بين ايدي جامعيين هي التي تثير الجدل !

على انه يجب التاكيد على اننا حين نرفض الغاء حقنا (وواجبنا) في الاطلاع على انجازات العدو وفكره ، فاننا — مرة اخرى — لا ندعو الى التسيب باسم الحرية المزيفة ، او فتح ابواب الغزو الاعلامي للعدو على مصراعيه ، او شد أزره بحربه النفسية ضد جماهيرنا ، وترك الحقن اليومية لفرض ثقافة الاستسلام والاستخذاء تتغرس في ادمغة شعبنا دون حساب .. كلا ، ان علينا ان نعي حالة الحرب التي نعيشها ، والاساليب التي يستخدمها العدو على جميع المستويات ، والتصرف وفق القوانين التي تعطينا حق الدفاع عن انفسنا وعن جماهيرنا ، وفي طليعة هذه الحقوق المحبلولة دون وصول سموم العدو الى عقول جماهيرنا ، واستخدام الوسائل الكفيلة ليس فقط ببناء مصفاة فعالة في هذا المجال ، بل ردع كل المحاولات الخبيثة التي لا تتعب من استخدام الحديث عن « الحريات » لفتح الباب امام حملات العدو .

ان جوهر الحل الايجابي هو « ردكلة » الجماهير — تعميم ثقافة وطنية علمية — اي المضي بالثورة الى الامام بالدرجة الاولى . ■

Digitized by Birzeit University Library

أم سعد :
انظر اليهم يعربشون على شجرة الثورة !

ـ « انت تقولين ذلك ياام سعد ؟ انت ؟ انت تقولين ذلك » ؟

وهزت راسها الذي كانت تحوطه خصلات شعرها الرمادي الخشن كما لو انها هلال المشوك الفضي، واخذت تفرك راحتيها:

ـ « انا التي اقول ذلك يا ابن العم، ولكنني اقوله لانني رايته بهاتين العينين اللتين سيملؤهما التراب، وقد قلت لنفسي ذات يوم ان عيني كاذبتين، وان ما اراه ليس الا الوهم، او انه الخوف يتحدر في بدني من خيبة تجارب سحيقة في حياتي ، من طعم المر الذي ورثته تحت لساني كل عمري المشحتر .. آه يا ابن العم آه .. ولكن الامر لم يكن كذلك، لم يكن كذلك !.. »

ومشت نحو المطبخ ، هذه المراة ذات القامة العالية ، التي تبدو حين تمشي وكان يدا من المجهول تسئل من الارض رمحا او غصنا ، ولحقتها بينما اخذت تعيد عقد منديلها حول شعرها الرمادي الذي بدا لي في لحظة صغيرة مثل حقل لم يعنى احد بحشائشه اليابسة ، وقلت لها :

ـ « انت معكرة المزاج هذا الصباح بسبب ما حدث مع جيرانكم ، ويخيم عليك الاسى ولذلك ترين الامور اكثر حلكة مما هي ، لا يا ام سعد ، لا . ليس الامر بالسوء الذي ترينه هذا الصباح .. »

كانت قبل ان تجيء الى دارنا مثل عادتها، قد اقتحمت على جيرانها بيتهم والشمس في اول شروقها . سمعت في الليل ان ابنهم وليد قد جاء من الاردن بعد يوم واحد من انفجار المعركة مع السلطة هناك، وقد دخلت الى تلك الغرفة الوحيدة مثلما يندفع الموج ، وهزته وهو نائم في فراشه ، وكانت غاضبة ، واخذت تصب عليه حسرتها :

ـ « لماذا جئت الى هنا ؟ فدائي يعني تفدي .. انت ، فديت من ؟ لو كنت شبعت من حليب امك لما جئت الان ورضاقك تحت البلطة .. يا عيب الشوم » .

قلت لام سعد :

ـ « ولكن الذنب ليس ذنبه يا ام سعد..»

وابتسمت بمرارة :

ـ « عندما تجيء الذنوب لا تجد متسعا من الوقت لتوزيعها على الاشخاص .. ذنب من ؟ ان السماء تشتي ذنوبا والارض تنبت ذنوبا ، ونحن نقول : الذنب ليس ذنبه ! ذنب من اذن ؟ ذنبه ، وذنبنا ، وذنبك ، وذنب كل واحد منا .. يا ابن العم .. اسمع لاقول لك .. »

ولكنها بدلا من ان تحكي اخذت تعيد عقد منديلها فوق راسها مرة اخرى ، وهي حركة اعتادت ان تقوم بها كلما احست بعجزها عن شرح احاسيسها ، وقد انتظرت ، صامتا ، ان تعثر على كلمات لفكرتها ، واخيرا قالت :

ـ « هل جربت عمرك ان تحمل حطبة كبيرة مع اربعة اشخاص ؟ اذا وقعت عليكم ، فهل عندكم وقت لتوزعوا الذنوب ؟ »

واخذت تفكر من جديد ، وقد احمارت ، وبدا لي انها لم تكن راضية تماما عما قالته، ثم اعترفت :

ـ « اسمع يا ابن العم . لم اذهب الى مدرسة في عمري ، وحين حفظوني القرآن لم احفظ اكثر من نصف جزء عم ، وقد قرانه الف مرة حين كانوا يدخلون الى الفبسية بالدبابات، ولم يحدث لي شيء .. لعلك انت الذي تعلمت في المدارس تعرف اكثر مني بكثير ما الذي قصدته حين قلت انه لايوجد لدينا متسع من الوقت لتوزيع الذنوب .. نحن الفلاحين نقول:

« مال الظلم اعوج ؟ قال : من الثور الكبير »

ولكن نحن الفلاحين ايضا نعرف ، من كثرة الحراثة ، ان الظلم الاعوج يكون ايضا من الخشبة ، ومن المحراث ، ومن الحراث، ومن الثور الصغير .. هل فهمت ؟ »

وظلت على غير رضاها ، فمضت تدور في ارجاء المطبخ واخيرا قالت وقد وضعت كفيها اللتين تشبهان قطعتي حطب على خاصرتيها :

ـ « ربما كان معك حق على اي حال ، ولكن ليس اكثر مني . ربما نحن الاثنان معنا حق .. الا انني غير مرتاحة الان . ربما لو كان ابن جيراننا جاء قبل سنة لما انتبهت الى ذلك . كنت محشوة بالاطمئنان حتى جوزتي .. الآن تغير الامر .. الان صار الغار يلعب

بعبي .. اتعرف لماذا ؟ لسبب بسيط . صرت انطلع الى الشباب في المخيم، واسال نفسي:

ماذا فعلت بهم الثورة ؟ اخذتهم واحدا واحدا. تعال يا احمد . ماذا كنت قبل ، وماذا انت

الان ؟ هل استفدت من الثورة ام الثورة استفادت منك ؟ كلنا نستفيد من الثورة ، على

عيني وراسي . نصير اكثر علما ، نصير اكثر صفاء ، نصير نحب بعضنا ، نضحي من اجل

بعضنا. نصير اكثر شجاعة واكثر صدقا واكثر حنثية .. كلنا نستفيد .ولكن ان نصير احسن

حالا ؟ يصير عندنا سيارة ويصير عندنا بيت ونصير نعنطز ونمشي بالمعرض ؟ قلت لك :

اخذتهم واحدا واحدا ، تعال يا فلان وتعال يافلان وتعال يافلان . ماذا كنت وماذا صرت؟

هل استفدت من الثورة ام الثورة استفادت منك ؟ عملية جمع وطرح يا ابن العم ، وعندما

حسبت حسبتي ، قلت لنفسي : يا حرام الشوم ! قدامك سنوات اخرى من البؤس

يا ام سعد ، سنوات لها طعم زيت الخروع! ما زال بلاط هذا العالم جائعا جائعا جائعا

لجلدك وللحمك يا ام سعد . قلت لنفسي :

مثل سنة الـ ٣٦ تقريبا . اقول تقريبا ولا اقول تماما ـ حتى تفهمني يا ابن العم . بعربشون

على شجرة الثورة وهي لما تزل غضة ، تكاد تحت ثقلهم تنكسر مثلما ينكسر ضلع الانسان

.. فافهمني جيدا يا ابن العم ، هكذا حصل، تقريبا سنة الـ ٣٦ .

عندها قلت لها :

ـ « انت تقولين ذلك ياام سعد ؟ انت ؟ انت تقولين ذلك ؟ »

★★★

وظلت ام سعد ، طوال ذلك الصباح ، صامتة وكانها اعتزمت ان لا تقول شيئا بعد ،

ولم استطع استفزازها ولا فك صمتها. وعندما جلسنا عند المظهر ناكل ظلت صامتة وكانها لم

تفتح فمها في حياتها كلها ، وعند العصر جاءت الي وانا جالس الى طاولتي اكتب شيئا ، واخذت تقلب باصابعها ـ على غير اكتراث ـ صفحات كتاب كان هناك ، وبدت كفها على ذلك الكتاب مثل صراخ عميق الغور في ليل من

الصمت. مثل ان تضع رغشا على سطح طاولة من البلور . وكنت اعرف انها تريد ان تقول شيئا ، فلا يعقل ان تترك كلماتها التي اطلقتها

عند الصباح تطير هكذا وسط ذلك الفراغ ، واخيرا قالت وهي تغتصب ابتسامة :

ـ ربما كانت هذه الكتب مفيدة جدا . لا اعرف . لعلها تجعلك قادرا على معرفة ما سيحدث اكثر منا نحن الذين لا نعرف القراءة.

ربما . ولكن نحن ايضا لدينا طرقنا . لعل هذه الكتب مثل الاوزان التي في الدكاكين ، اما عندنا في المخيم فيستعملون الحجارة والاثقال

العتيقة وقطع الحديد بدل الاوزان ، وهكذا انا . لقد شهدت عدة ثورات . طلعت الى الجبل ونزلت ودفعت ابني عن طيبة خاطر

وانا ازغرد ، وابني سعد ما زال هناك واذا رجع ساطخه .. وهذا كله يا ابن العم مدرسة

.. في سنة الـ ٤٨ قلت لابو سعد ان الجيوش العربية ستنهزم وان الكذب سيوقعنا على وجوهنا طب . يومها قامني وضربني ، لم يصدق . قلت له يومها ان الحمار لا يسقط في جورة واحدة مرتين فقام وضربني مرة اخرى.. نحن القاسي المشحرين الذين لم تذهب الى

المدرسة ، كيف نستطيع ان نميز بين الصواب والخطا ؟ كيف نستطيع ان نقول ان هذه ثورة

صحيح ، او انها طفرة ؟ انا اقول لك كيف: مثل الفلاح الفقير الذي يستخدم الحجارة والاثقال العتيقة والمفاتيح غير المستعملة وقطع الحديد ليعرف كم هو وزن الوقية والكيلو والرطل ..

قلت لها مفسرا :

ـ « انتم الذين تعرفون وزن الاوزان ، اهذا ما تقصدينه ؟ »

ـ « لا اعرف ، لا افهم ما تقولونه انتم الذين تغطسون في الكتب ، يكون صحيحا اذا كان صحيحا .. اريد فقط ان اقول لك بانني ما زلت عند رايي الذي قلته لك في الصباح.

اي نعم . انا التي اقول ذلك يا ابن العم لانني اراه بعيني هاتين اللتين سيملؤهما التراب.. ولكنني خشيت طوال النهار ان تكون اعتقدت انني امراة يائسة تماما » .

قلت لها :

ـ « معاذ الله يا ام سعد ، انا الذي اعرف انك امراة مزروعة في الثورة ، وانك واولادك وبناتك لا حياة اخرى لكم غيرها او دونها او خارجها .. ولكنك بدوت لي متشائمة .. »

ـ « انني اسال دائما : هل اعطوا الثورة ام اخذوا منها ؟ انني افعل ذلك فقط ، انني لا اتفاءل ولا اتشاءم ، انني اسال ، والذي يسال ، كما يقولون ، لا يضيع .. »

ورفعت راحة يدها عن الكتاب ، فبدا فجاة عاريا ومحابدا مثل قطعة اثاث في واجهة معرض ما ، ومضت تسير ، عالية ، الى الباب .

لحظة !

« .. لقد الح كاسترو ... على الدور الذي ينبغي ان يلعبه الانضباط الثوري في الحفاظ على وحدة القوى وروح المسؤولية هذه ، وحسن الانضباط هذا ، يجب ان يكونا دليل العمل الثوري .. لاننا لسنا شيئا بدون قوة الشعب .. ولاننا نصنع ثورة اكبر منا » ..

جانيت هابل (الازمنة الحديثة)

غسان كنفاني

Digitized by Birzeit University Library

آخر ما كتبه غسان كنفاني للصيّاد

ملحمة المعزاية والذئب

●

« لن يكتب فارس فارس في « الصياد » بعد اليوم » هذا ما قاله فلسطيني حزين من اصدقاء غسان كنفاني لاحد اعضاء اسرة دار الصياد أمام منزل الشهيد ، وذلك بعد قليل من وقوع الجريمة . فالامر لم يكن سرا . لكن كثيرين من القراء ما كانوا يعرفون انفارس فارس هو غسان كنفاني .

وهذا المقال الذي كتبه غسان قبل ايام من استشهاده لم يكن مقدرا له ان يكون المقال الاخير بأسم فارس فارس.. لم يكن مقدرا له ايضا ان ينشر باسم كاتبه الحقيقي : غسان كنفاني .

●

لا بد ان تكون طينة العرب ، من طينة اخرى غير طينة الاجانب ، وخصوصا غير طينة الاسرائيليين ، وقد كان دافيد اليعازر مهذبا جدا حين اعلن آسفه لسقوط ضحايا مدنيين اثناء غارات الطائرات الاسرائيلية على لبنان « لان ذلك شيء لا يمكن تجنبه » . والواقع ان هذا الكلام هو استكمال للشعار المرفوع حاليا في اسرائيل : « ان العربي الجيد هو فقط العربي الميت » !

وانا واحد ممن لم يتيسر لهم هذا الاسبوع قراءة القصص وكتب الادب، وكنت مشغولا طوال الوقت بقراءة الصحف ، واخبار الاعتداءات الاسرائيلية ، وخطابات دهاقنة اللغات الدبلوماسية في اروقة مجلس الامن والامم المتحدة او قد تبين لي — كما هو الامر بالنسبة الى ١٢٠ مليون عربي على الاقل — ان اروع عمل ادبي في التاريخ ، ينطبق على حالتنا ، هو تلك القصة القصيرة التي تعلمناها حين كنا اطفالا عن المعزاية والذئب ، وكيف لوثت المسكينة مياه الجدول وعكرته على الذئب المهذب ، مع انها كانت تشرب من مكان ادنى من الموقع الستراتيجي الذي تمركز فيه الذئب ، منذ احتلال عام ١٩٦٧ على الاقل !

□ صاحب الحجر الاكبر □

قلب : قرأت الصحف ، وقرأت تعليقاتها اثر حادث مطار اللد الاول، فحادث مطار اللد الثاني ، ثم حوادث الاعتداءات الاسرائيلية وطوبت الجرائد وانا انفخ غيظا ، اذ ان هذ لعالم لاحمق ليس بوسعه ان يكون اكثر حماقة ، وبعد ملايين السنين من انحدارنا من العصور الحجرية ما زالت القاعدة الذهبية اياها هي الصحيحة : ان صاحب الحجر الاكبر ، وحامل العصا الاثخن والبلطجي الشرائي ، هو الذي معه حق !

يقول « زئيف شيف » ، احد اساتذة المنطق العسكري الاسرائيلي ، ان على اسرائيل ان تعترف بان الفدائي علي طه الذي خطف طائرة السابينا ، قد اظهر شجاعة لا يمكن تصورها بعمله هذا ... تساءلت يومها ان كان « زئيف شيف » سيعترف بذلك او انتهت عملية خطف السابينا الى نجاح ، ام ان المسالة تشبه قصائد التفتش العربية القديمة ، حين ينظم الشاعر تسعة وتسعين بيتا من الشعر في وصف شجاعة الاسد وسطوته كي يقول في البيت المئة انه قتله ؟

وصبرني الله شهرا ، فاذا بهذا المنطق نفسه يصف الفدائيين الثلاثة الذين اقتحموا مطار اللد بانهم « جبناء » !

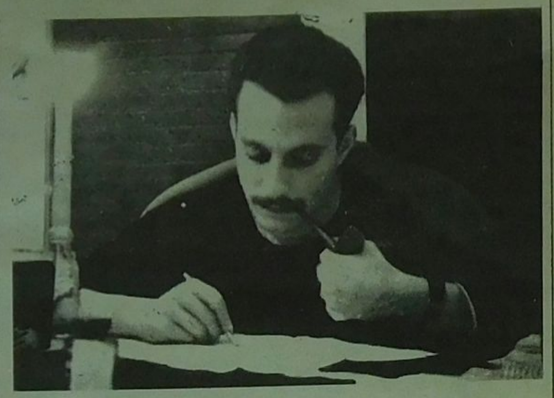

يا سبحان الله !

وانتظرت فترة من الوقت ، فاذا بهذا الفبركجي نفسه يمتدح « شجاعة » الطيارين الاسرائيليين ، المتربعين في السكايهوك والفانتوم ، والمعارفين بانه لا توجد نقيقة واحدة تزعجهم ، برءون قنابلهم من وزن ٢٥٠٠ رطل فوق بيوت اللبن والطين في دير العشاير !

واثناء ذلك كان محرر «الاكسبرس» الفرنسية يطالون هجمات المقاومة بقولهم ان الطائفة الارثوذكسية في العالم العربي قد تاثرت بالاسلام الى حد صارت تسمح لنفسها بالقيام بعمليات هجية ضد الآمنين المدنيين المتربعين بهدوء وسلام فوق الاراضي المحتلة ..! » وقلت لنفسي يا سلام كيف ينحدر المقل الغربي حين يصبح مرشوا وجبانا ، الا يشبه هذاالكلام كلام هتلر وروزنبرغ وامثالهما .

على ان « الاكسبرس » نفسها تذكر حرفا واحدا عندما زخ مطر الموت فوق قروبي الجنوب المزل ، واطلقت على العملية البربرية اسم « رد عسكري » .

□ لندن لا تزعج افكار السادة ! □

قلنا : لعل « التايم » على انجيازها ، لم تنحط الى درجة جنون « الاكسبرس » او « النوفيل اوبزرفاتور » فاذا بنا نستفتح بالعبارة التالية : « لماذا يجب ان يقتل بابانيون حجاجا بورنوريكيين لمجرد ان العرب يكرهون اليهود ؟ » .

قلت : عجيب ! الم يكن بوسع الكاتب ان يقول : « لمجرد ان العرب واليهود يكرهون بعضهم بعضا ؟ » اذا شاءت الموضوعية المزيفة ؟

وصباح اليوم الذي تلاه ، قلنا : لعل اذاعة لندن معقولة اكثر .. فاذا بها المعن والمعن ، اما نشرتها بالانكليزية فلم تشا ان تزعج افكار السادة سكان لندن ، فلم تذكر شيئا ، ولا حرفا واحدا ، عن المئات الذين ماتوا تحت قصف الطائرات الاسرائيلية اثناء العدوان على جنوب لبنان ..

لجانا الى « النيويورك تايمز » والى « الايكونوميست » الى « الفيغارو » والى « اللوموند » الى « استامبا » ، الى « دي فيلت » — وكان الشعار المستتر واحدا ، وهو الشعار الذي يجد رواجا كبيرا هذه الايام : « ان العربي الجيد هو فقط العربي الميت » !

وامس ، قالت اذاعة لندن ببساطة : « القت طائرات الـ ب — ٥٢ الفي طن من القنابل حول مدينة هوي » . هكذا . بس !

قلت لنفسي : يا مساكين يا عرب ! كل الذي فعله فدائيو اللد هو ان كل واحد منهم قوص مئة طلقة ، ورمى قنبلة يدوية واحدة او اثنتين ، لمدة دقيقتين وذلك في قلب ارض محتلة على موقع استراتيجي ، ضد عدو ما زال يذيقنا الموت كل ثانية ...

وهذا اسمه عنف وهمجية وبربرية وقتل وفتك ولا انسانية ووحشية .. آما تلك الاطنان الالفان — الى مليونا كيلو من الموت — ، فوق عدد لا يحصى من القرى الفيتنامية ، القنابل ذات الشظايا البلاستيكية ، التي لا تقبل بان تقتل الا بعد ان تعذب الجريح شهرين او ثلاثة شهور ... آما هذه الجريمة الجماعية ، التي هدفها الاحتلال وليس التحرير ، فاسمها في قاموس الصحف والاذاعات : غارة استراتيجية !

□ الطائرات بدل الفدائيين ! □

يا مساكين يا عرب ... !

لو كان لديكم بدل الفدائيين الثلاثة ، ثلاثة اسراب من قاذفات الـ « ب — ٥٢ » الاستراتيجية ، وبدل الرشاش الخفيف طاقة من النار ، تبلغ المفي طن من القنابل في الساعة الواحدة ، لصار منطقكم عند « الاكسبرس » و « النيويورك تايمز » واذاعة لندن وفالدهايم منطقا معقولا ، يمكن الاستماع له !

لكن ، يا حسرة ، ما العمل عندما يكون المنطق الصحيح مصابا بشلل الاطفال ، والخطأ الفادح مسلحا بالف كيلو من المضلات ؟

وبعد ذلك كله يأتي يوسف تكواع ، مندوب تل أبيب في مجلس الامن ، فيلوم العالم لانه لا يكترث « بالدماء اليهودية ، وكأنها اقل قيمة » !!

ان التاريخ حامل بالوقاحات ، ولكن ليس الى هذه الدرجة !

ان تكواع هذا مندوب دولة قال مسؤولوها مرارا وعلنا وعلى رؤوس الاشهاد انهم يعتبرون كل اسرائيلي مساويا لمئة عربي ، وهم لم يقولوا ذلك فحسب ، بل تصرفوا وفقه ، والانهم الحاسبة لا تزال تشرب دماء قرويي الجنوب ، كي توازن القتيل الواحد ، او ذلك الذي اصيب بجروح طفيفة ، اثناء قصف بازوكا على مستعمرة كريات شمونة !

بعد هذه المقرارات كلها ، وخصوصا بعد الاطلاع على « الردود » المهلوية للحكومة ، وبعدما القيت نظرة عامة على الوضع الثقافي عندنا ، وجدت ان علينا اعادة الاعبار لحكاية المعزاية والذئب وجدول الماء ، فالظاهر ان احدا لم يستوعب هذه الحكاية جيدا ...

ومن هنا ، وحتى تتفجر على جسمنا عضلات من مستوى الصراع ، فان الاثر الادبي المتمثل بحكاية المعزاية ، والذئب هو ملحمتنا الادبية الفذة ...

والذي نسمعه الآن من تصريحات المسؤولين العرب هو التفاء !

هل تلعب الانظمة العربية لعبة أميركا ؟

ان تكتيك « تقادم الامر الواقع » هو محور اساسي في السياسة الاسرائيلية منذ انبثاق الحركة الصهيونية ، واي دارس لهذه السياسة ستظهر له مركزية هذه التكتيكات التي هي شكل من اشكال الابتزاز الامبريالي في العصر الحديث ...

... ان ما يناسب اسرائيل تماما هو استمرار لعبة « المساعي السلمية » ، هذه اللعبة التي تشكل افضل ستار ممكن لتكتيكات تقادم الامر الواقع ...

... ان الامبريالية تضبط حاليا ردود الفعل المحتملة لهزيمة ١٩٦٧ ، وكذلك نتائج السياسة الاستسلامية التي تنتهجها الانظمة العربية ، وهي تدرك ان ردود الفعل هذه ، على المدى المنظور ، لن تكون مثل تلك التي حدثت في ١٩٤٨ ، اي لن تكون الى الامام... هذه المرة ستكون باتجاه اليمين...

غسان كنفاني

الهدف — ١٣٧ — ٢٠ / ١١ / ١٩٧١

Digitized by Birzeit University Library

مرائي متأخرة

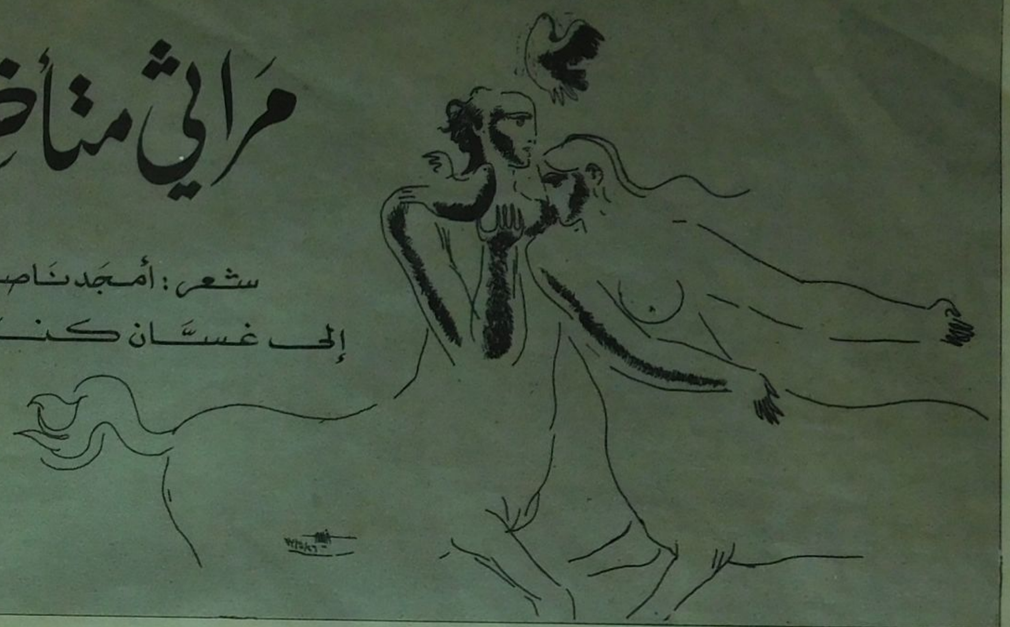

شعر : أمجد ناصر

إلى غسان كنفاني

— ١ —

دعوني ،
دعوني ،
فلا شيء يباعد بين دخان القلب ،
واحزان الفضة الذابلة .
لا شيء يطفىء جمرة القلب ،
سوى احماض التفاؤل
والاسنان الناصعة البياض .
دعوا حزني وشأنه
فقد استبدت بنا ربطات العنق
والزوجات ، والاجتماعات الدورية .
دعوني، فلا شيء يزجر حزنيهذهالليلة،
وساكتب ،
نعم ساكتب
مرثية الرجل الوحيد ،
مرثية الموت الجميل الذي لم يعد واردا

ساكتب :
انني حزين هذه الليلة
ومتعب من شدة الموت .
لذا ساطفىء اصابعي ،
واحدة تلو الاخرى
في لحمي الصالح للخبازة ،
وانعم بظلمة صغيرة ،
تمكنني من الرثاء .
من اقتناء اعضائي ،
وتوزيعها على الاماكن المحددة للشعر
والحرية .

— ٢ —

حين مضى ،
كان وحيدا ، واعزلا من الظل
اعزلا من الانسولين .
وحين عاد ،
عاد وحيد ايضا ،
ولكنه حاذى صفصافة منهدمة ،
وبقايا غزلان ..
وبضعة اعداد من مجلة « الهدف ».
انه الرفيق الاكثر رقة واحتفالية .
انه الرجل الوحيد ،
المتعدد الاحزان والموت المباغت .
العينان : في مكانهما تماما
الانف : في موضعه القديم ،
الابتسامة ، المنحدرة الى اليمين قليلا
لما تزل تحت الشاربين ،
فراشة تنفض الوانها الاخيرة .

— ٣ —

اذن ما الفرق ،
بين الرجل الحزين
والصفصافة المنهدمة .
ما الفرق بين الخطوات المتئدة
على كتف صاعد للحلم
وبين الخطوات السراع
على منحنى الروح ،
ما الفرق اذن .

— ٤ —

لم يكن عجلا
حين مضى في غبش الضبابات المبكرة
لصبيحة الا تي. ان. تي ،
لم يكن متئدا ،
حين عاد ، ملفوفا بالثياب النظيفة ،
عاليا على اكتاف الآبنوس .
كان هادئا جدا
ورائحة الانفجار في فتحتي الانف .

— ٥ —

بيديه الشاحبتين
كان يقشر لحاء الرصاص ،
ويغير شكل الفاكهة .
بيديه الشاحبتين ،
كان يصحح مسودات الثورة ،
ويكتب لاطفال لم يروا عكا
الا دما ناشفا على الواح الصفيح .

— ٦ —

بيديه الشاحبتين
نظف فوهة الحديد القصيرة
واندفع الى البحر .

بيروت ١٩٧٩/٣

... فجأة تجتمع الاحوال
والاشباه والالوان في بابي
وتجتاز الحجاب الحاجز الاول
والثاني و .. تحتل المكان !
فوجوه — صور دون عيون ،
وعيون دون وجه او جفون !
وجسوم دون وجه .. ويدان
دون جسم تمضيان !
.. غابة من ارجل ، اذرعة ، من اوجه،
تيه من الدهشة يا .. للمهرجان !!
امتلأ الراس باصوات عجيبات، بآهات
تثير الذعر ؛
صارت رئتي قاعة رقص ، صار قلبي
قوقعة ؛
امتلأت انفاق صدري جثثا ملتمعة !
وتحدثت الى الضجة والادمع بالشارات
والصوت وباللمس ولكن الهوا غاص ،
وغالتني الرؤى الممتقعة ..
ازدحمت بالباب كل الاوجه الصفر ،
توارت صفة الخوف ، انتهى الغزو :
— افتحي قلبك باستئارة الحب، اغلقي
الابواب في وجه الرياح الاربعة ..
سوف نقضي ليلة الميلاد في حزن
وحيدين ونمضي سهرة العام نياما ،
ثم ندعو اليأس في الصبح ونقضي
يومنا الطفل معه !
.. كل هذا الوهج الطافح نحوي من
غضون السنوات الماطرة ؛ صار يخبو
لحظة ، يخبو قليلا ،
واصطخاب القاطرة
وهي تمضي قرب شباكي
غدا يبدو لسمعي
آتيا من ظلمات الذاكرة !
— .. ايها الموتى الاولى في سهرة العام
تفيقون ، تجثون ابتهاجا ،
تشربون اللحظات العابرة ؛
ما الذي ايقظكم من موتكم ؟
ما الذي يفرحكم — في لمحة — حتى
تجثوا ،
ترقصوا بين الجسوم الهادرة ؟!
هذه الاشباح من حولكم
ليست سوى قاتلكم منتشرا في الامكنة،
ساهرا حتى صباح الموت في راس
السنة !.. —
.. تستمر الرغبة الرعناء في نفسي
بأن ادعو او ادعى الى الحفل ولكني قبيل
اللحظات الحاسمة ،
اتوارى خلف نار الموقد الصامت في
القلب ..
وادعو جيش نملي
لالتهام السائمة !!
— .. لا تخافي آه يا سنارة الساعات
من احوالي المجنونة اليوم ، انا اليوم امير
الحزن ، شفاف ، مديد بين اشفاق اللظى
— الاحلام — ساعات الصفاء المر — افراح
البلاد النائمة !!
انت قربي لهبي الجامح ، ايقاع
احاسيسي الوسيمات ابتداء الملحمة.. —
وأراني دائما امضي وعتم الطرقات
السود يغشاني فاستسلم للذة، لكن عيون
العربان، الفارهات، الطائشات الخائفات،
الداهمة ،
دائما توقظني من غفلتي ،
تطردني نحو وحول الارصفة ..!
وعيون الحداءات الحائمة ،
منذ ان كنت صغيرا كنت اخشاها
كان الشؤم فيها مائل والارغفة ..
— .. ايها الموتى ترى من ذا دعاكم
هذه الليلة ؟
انتم تسمرون الان ؛ خمر قرقف ،
ضحك وموسيقا ورقص ..
خاصروا اية من السمار يغدو شبحا
متشحا بالسم او بالسجن او بالبسمات
الكاذبات الجارحة بعد حين، وقبيل الفجر
لا بد تموتون اغتيالا ، مثلما متم قديما او
صباح البارحة ..
— .. واسمعي ياوهجي الطافح صوبي
عن يساري ويميني ، من عروقي
انت نمنمت احاسيسي في العزلة ،
زينت اكاليلي بقبلاتك ، ها اني اغنيك.
اسمعي صوتي الحزين :
« لشعرك رائحة العشب تحت المطر
لثغرك طعم العرق ..
لصوتك لجة لون الشفق
وجسمك تابوت نومي خلال الخطر..»
انك الومض الذي يهطل من اغصان
حب — ياسمين !
... وانا ما عدت ارتاح لهذا الصخب
النافر من كل عيون الاضرحة ..
او لهذا الوهج الوافد من كل عيون
الناس او احرق اشياء المكانات الوسام
المرحة ..
واراني — لو تحاملت على حزني —
وجئت الليلة القصوى وحيدا ،
بين جدران من الناس ،
« لماذا انا وحدي حائم بين الجسوم
المشعلة ؟!
باحث عن شبح او هرة او فكرة او ..
مقصلة ؟!
يذهب الناس الى الليلة من دفء
البيوت ، الناس يأتون الى الحفل هروبا
او نزوحا او جنونا ..
ربما يأتون من امن الحنان المر في
الدار ..
وقد .. يجلبهم خوف الى الليلة ،
ينسون بها عاما مضى او .. مشكلة !
وانا اذهب — لو جئت — فالقى كل
عبء المسألة ...
— .. فتعالي يا حقولا من شقيقيات
احلامي القديمات ويا مرجا من النرجس
والعشب الذي يوقظ فينا « الولدنة »..
وتعالي نملأ العالم في هدي الصحارى
.. « شيطنة »
نتناسى لحظة بؤس البلاد المحزنة ..
نشرب الميلاد والموت فيبدو فرحا
— لو بائسا — راس السنة ..!!

ليلة الميلاد

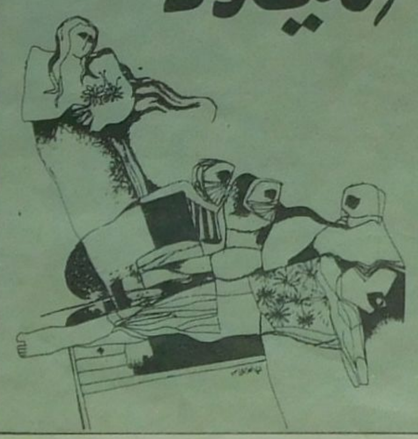

قصيدة للشاعر

علي الجندي

Digitized by Birzeit University Library

الشمس... بوابتي

شعر:
خيري منصور
إلى الشهيد غسان كنفاني

هذا قبري /
واشار : قفوا
كانت مثقله بالصمت سلال الريح
انحنت الاشجار حوالينا
وتيممنا بتراب التبر
قرانا
فاتحه العشاق وصلينا
« هذي آخر شاهده » في اقصى الارض
بلغناها
مات الموت هنا .. او عاد
فهذي شاهده لا تقضي لسواها
نرجع ..
او نودع فيها اسرار هوانا
اشتم دمي من هذا القبر
تبوح الاعشاب برائحتي
هل ينكر قبر صاحبه ..
هل تخذل شفه توامها
عودوا ،
ودعوا مقتولا عثر على جثتيه
يبكيها دون حياء
كنت قليلا بين الاحياء
وها انذا اتكاثر ميتا
انوزع في الارض
جذورا
اثداء
امنحها سر الماء

* * *

كانت مثقله بالنوح سلال الريح

انحنت الاشجار حواليه
رايناها ،
تتوضا بالضوء
سمعناها
تتقصف وهي تصلي :
« مرت النائحات على قبره
واستراحت على قبره
واستدارت
الى عرس قاتله النائحات »
— هي الارض قبري ،
وكل الشواهد واحده
وتواريخ قتلي واحده
كذب الحبر ان التقاويم زائفة
منذ اول موت توقف عندي الزمان
وان بدل الوقت الوانه
لاني ان شئت اطفات شمسي
وان شئت اشعلها
..... كل صارية بنيت لي مشنقة
كل سيف ترصد راسي
وكل الرصاص تشهى دمي
فان اخطاتني السيوف
الصواري ..
الرصاص ...

لاني كثير .....
اموت ، فاصعد ثانية
واموت لاصعد .. كانت لي الارض قبرا
وصيرتها لي مهدا
ابدي يسخني الموت ..
والشمس بوابتي » .

ميراثنا
دم الشهداء

شعر: زهير غانم

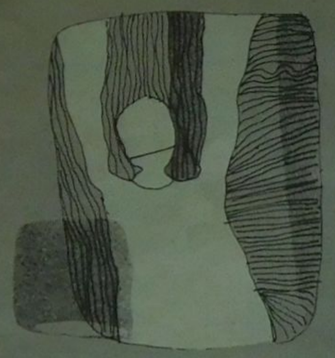

من حزنك الشتوي ،تعبر قافلات الحب
في طرقاتنا الغرقى .
وينتحب الجنود العائدون من الحدود
تتساقط الرايات فوق الارض منهكة
وفوق الارض تنتصب الشجيرات الوريفة
والازاهير الأريجة ، والحكايا .
حين تنفرط القيود عن المعاصم تلتقي
فمعاصم الفقراء دامية ، وآلاف الوفود .
تتداح عبر ربيعنا الابدي
تعلن بدء ميلاد تعتق في المصانع والحقول ..

....

من آخر الشهداء حتى اول الاحياء .
تشرب الحروب خفيفة جذلى
تتراقص في شوارع عاريات . لا تمس الحزن .
يغدو اول الاحياء فاتحة الرماد
النار تخبو في مواقد غامضات
والخريف يزف شوق العائدين من الاقاليم
الخيمة في دجى الاموات
والايام ما تنفك غاضبة
تشعشع في مطاوي رحمها العبوات
كل الانبياء طووا كتابتهم
وناموا عند زاوية الرصيف
فاورقت في الصمت اغنيه الثكالى
اورقت في موطن وضاء ، يفضح جوعنا .
ويجوع بين اشارتين .
اشارة للحب . ثم اشارة للموت
آن تساقطت لغة يرقمها زمان القحط
في الاحلام . يا احلام قومي من مقابر ضاريات
واعلني تشييع تابوت من العشق القديم
يبخر الاشواق . كيف تبخرت اشواقنا ؟
والموت الف خطونا الموبوء في الطرقات .
والطلقات تعبر ما تشاء
صبية ترد السواقي . حيث تنهمر المياه على جحيم
الروح . حافية تدغدغ ظلمة الافراح في آماد هذا العمر
تبسم بالرجوع الى ولاء آدمي يتقي فصل الغياب
ويبتدي فصل الاياب .

قرات في صفحات وجه الحب مرثية العذاب
وعدت من منفاي متشحا باثواب الخريف
تلم اغنيتي عن الاشجار اوراقا مذهبة .
وشمسا تبعث الشفق الاخير على غروب السهل .
آلهة تجيء من الضباب تجيء ، يغمر جثتي نزق السحاب
يكفن الجسد المعرى من أساطير المودة والشقاء ..
يبارح الغربات .

« انت الان في أبعادك القصوى . تسيجك الازاهير
الولوعة والفؤوس . ويحتويك الحزن . والصبوات
تحصد ما تبقى من لياليك . الشتاء يمر قربك . والاغاني
لا تمرّ . اكنت ملحمة الوصول الى الهوى .؟ ام كنت
مذبحة الجياع . مدائنا مفتوحة للقهر والحرقات . قنبلة
تفجر ظلمة الاسوار . كنت برينة خلف الدمار »
قرات في صفحات وجه الحب .
وجه الموت . وجه تساؤلي . وسالت
ماذا ينفع الحب .؟

وانت هناك صامتة كتمثال .
سانتظر الاجابة . لا جواب لديك .
يشهقني شحوب في يديك .
وفي ذبول البرد يعبر رقدتي غسق العويل
صرخت ماذا ينفع الحب ..؟
اجبني يا اشتعال الهم في لغتي .
فاني لا اكابر . والثكالى بعض ميراثي . وميراثي
دم الشهداء . آلاف القبور تخرّ فوق الارض
لا اسماء للزمن المعفر باغتيالات العصافير العنيفة
اذ يشج الراس . يمضي غاربا في بحر هذا القلب
ماذا ينفع الحب ..؟

رسمت دمي على عينيك . ثم نكات جرحي في لهيبهما
فقلت سانتقي برد الشتاء . وما اتقيت
تحوننى عيناك حين اراهما .
واغيب في حلمي عن الايام ،يجمعني نكاؤك .
من يديك . يجيء هذا اوت .
تنهمر الدروب اليك . ثم اضيع
لا دربا يلمّ خطاي . يورق في دجى الشهداء .
منفى آخر . فاظنه منفاي .
ثم انام في الايام مشمولا بأضرحتي .

Digitized by Birzeit University Library

تستهوي قصص وروايات غسان كنفاني صانعي الافلام ، ليس فقط بسبب بنائها ووضوح شخوصها ، ولكن ايضا بسبب الحبكة التي تقرب من السيناريو الادبي للسينما .

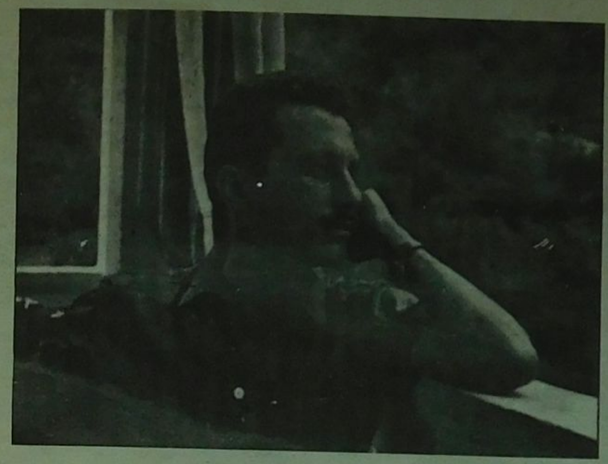

غسّان كنفاني .. والسينما

قاسم حول

واذا ما تاملنا اعمال غسان هذه فاننا لا نجد صعوبة كما يحصل عادة في تحويل الاعمال الادبية للسينما ، لا نجد صعوبة في اقتباس السيناريو منها .

ان اي كاتب سينمائي يضع عادة مخططا لبناء جديد للعمل الروائي والقصصي .. يدرس الشخصيات ، ويعيد ترتيب المشاهد .. يحذف او يضيف الى هذا العمل الروائي او ذاك حتى يتوصل في النهاية الى الصيغة السينمائية محتفظا بجوهر الرواية او القصة وبفكرتها الاساسية وايضا بمضامينها الصغيرة التي توصل الفكرة الاساسية الى الانسان المتلقي في السينما .. اي المشاهد .

لماذا ؟

هناك مسالة نسميها حرية التلقي . ان قارىء الرواية يملك حرية في التامل .. يملك حرية في وقت القراءة .. يستطيع ان يدخن سيكارة مثلا فيما هو يقرأ .. يضع الكتاب جانبا ويتامل المشهد او الحوار الذي يقرأه . لذلك فان الكاتب مهما اسهب سواء في وصف المشاهد او في كتابة الحوار او في وصف دواخل الشخوص وتفاصيلها الصغيرة ، فانه يعرف جيدا ان القارىء يملك من الحرية الذهنية التاملية والمزاج الكافي للانسجام مع العمل الادبي الروائي .

المخرج مطالب بان يحقق للمتلقي هذه التاملات والافكار ووضوح الرؤية ازاء المضامين والشخصيات بحرية ملزمة تضع المشاهد في صالة مظلمة وتمر امامه الاحداث بسرعة ٢٤ صورة في الثانية .. هنا يكون المخرج مضطرا الى اعادة بناء وحذف او اضافة مشاهد بحيث يحقق القيمة الابداعية والفكرية للعمل الروائي ، وهي حالة ليست سهلة على الاطلاق .. لذلك يعتقد كثير من النقاد بان الاعمال الروائية الادبية العظيمة يبقى دائما اهم من الفيلم المأخوذ عنها ، انطلاقا من مفهوم حرية المتلقي .

ومن هذا المنطلق نعرف مخاوف المخرجين ومخاوف الروائيين . ولكن دون شك فان احسن الافلام السينمائية هي التي نفذت عن اعمال ادبية لانه مهما قصر المخرج في نقل الرواية للسينما ، فانها تبقى اهم من القصة السينمائية ، لان قصة السينما ، اي الحكاية المأخوذة من حدث ما او خبر ما ومبنية خصيصا للسينما تبقى دائما غير واضحة الشخصيات وتاتي فيها الاحداث (في اغلب الاحيان) وقد زجت واقتطعت .

هنا تاتي الانتباهة الى اعمال غسان كنفاني الروائية والقصصية . لقد حولت روايتان من اعمال غسان الى السينما . الاولى « ما تبقى لكم » اخرجها المخرج السوري خالد حمادة بفيلم يحمل اسم (السكين) ، والثانية رجال في الشمس ، اخرجها المخرج المصري توفيق صالح بفيلم يحمل اسم (المخدوعون) . واذا ما تاملنا الفيلمين ، وقرأنا الروايتين ، فاننا نجد نقلا يكاد يكون حرفيا في عملية البناء وفي سلسل الاحداث . ولم يكن ذلك ناتجا عن قصور في بناء سينمائي من قبل كتاب السيناريو للعملين ، انما ، لان اعمال كنفاني نفسها تملك من البلاغة والسهولة في المتلقي ، وتمتلك تناميا في احداثها يقرب من بناء السيناريو السينمائي مع احتفاظها ببنائها الروائي العصري ، ولعل حوار غسان يعبر هو الاخر عن الطبيعة الطبقية والاجتماعية للشخصيات . ان كثيرا من الروايات يعتبر كاتبها الحوار كوسيلة ايصال وتفاهم ، بمعنى ان لا يمتلك الحوار مواصفات الشخصية بقدر ما يعبر عن افكار الكاتب . ان كثيرا من الكتاب يزجون افكارهم واحلامهم عبر اكثر من شخصية ، فيما غير الحوار عند غسان كنفاني لغة متفاعلة مع طبيعة الشخصية ووعيها وانتمائها الطبقي والجغرافي .

هذه المكونات في اعمال غسان الروائية تجعلها محببة للسينمائيين . ونقطة ملاحظة اخرى نلمسها في هذه الاعمال وهي (النقلة) من المشهد الى المشهد الاخر .. ومن الحدث الى الحدث الاخر .. اعني بذلك عملية التقطيع .. ان الانتقالات التي يبحث عنها السينمائي والتي هي جزء من لغة الكتابة للسينما يجدها مصاغة في اعمال غسان الروائية بطريقة وكانه فعلا قد كتبها للسينما ، ومرة خلال حوار دار بيننا بعد عرض فيلم (المخدوعون) ، وبعد ان شاهدنا تنفيذ الكثير من المشاهد والانتقالات بينها .. سالته عن الكيفية التي يفكر فيها وهو يكتب رواياته قال « انني اكتب بطريقة سينمائية » لنقرا هذا المقطع من « رجال في الشمس » .

« هز ابو الخيزران راسه ثم ضبق جفنيه كي يتلاقى ضوء الشمس الذي انصب ، فجاة ، فوق زجاج المواجهة .. كان الضوء ساطعا بحده حتى انه لم يستطع ، بادىء الامر ، ان يرى شيئا .. الا انه احس بالم فظيع يتلوب بين فخذيه ، ثم استطاع ان يتبين ، بعد لاي ، ان ساقيه مربوطتان الى حمالتين ترفعانهما الى فوق ، وان عددا من الرجال يدور حوله .. اغمض عينيه برهة ثم فتحهما ، مرة اخرى ، على وسعيهما . كان الضوء المستدير الموضوع فوق راسه يحجب عنه السقف ويغشي بصره .. »

نلاحظ هنا ضوء الشمس في الصحراء الذي احدث انعكاسا والتماعا على زجاج السيارة قد نقلنا الى ضوء اخر هو ضوء غرفة العمليات حين بتر ما بين فخذي ابي الخيزران .. فالضوء الذي هو استعادة الذاكرة عند ابي الخيزران هو بالنسبة للمخرج ايضا صورة للربط السينمائي لتصوير حالة التداعي .

ان في روايات غسان الكثير من الامثلة ليس فقط في ربط المشاهد شكليا انما ايضا كقيمة دراسية .

عندما قال غسان انني اكتب بطريقة سينمائية .. فانه يعني بذلك الصورة والبناء ، لان السينما هي اختزال للزمن ، وتكثيف للاحداث ، وهي اكثر الادوات الفنية بلاغة في هذا الاتجاه .

ولو لم يكن الحادث المفجع لكان غسان قد اغنى السينما بنصوص ادبية مبهرة .

القضية تجري بدمك

— ١ —

رفيقي غسان !

أرى عينيك من خلال عيني عبير التي لم ترها ... التي اكملت السنة الثالثة ... ابنتي التي تتهيأ لدخول روضته مؤسسة غسان كنفاني الثقافية .

ارى وجهك في عيون اطفال بلادي الذين ينتمون اليك دون ان تعرف .

وجهك يطل من عيونهم بكل طهرهم وبراءتهم ، يطل من ضحكاتهم وبكائهم ولعبهم ولهوهم في افنيه روضاتهم وفي اراجيحهم .

اراك في اقلامهم التي بها يرسمون ... لقد رايتك في رسوماتهم المعلقة على جدران الروضات والبيوت ... في لوحاتهم التي عرضت في جامعة بيروت العربية ...

- كانوا يرسمون القضيه التي من اجلها ضحيت . ويرسمون الافكار المضطرمة في داخلك لتخرج الى النور في « ارض البرتقال الحزين » و « ام سعد » . كانوا يرسمون رجالك الذين قضوا في الشمس .

لا ادري لماذا كنت ارى جذورا تخرج منك لتورق في اطفالنا وتتفتح ازهارا لا ابهى ولا اروع .

كنت تحب الاطفال لا كما يحبهم آباؤهم ، بل كما كنت تحب لميس (التي قضت معك) في رسالتك اليها في عيد ميلادها الخامس .

اتعرف يا رفيقي ان المؤسسه التي تحمل اسمك تخرج مئات اشبال وزهرات الجبهه الذين يعبرون عن حب القضيه برقصاتهم واغانيهم ... بـ « غسان ... غسان علمنا حب القضية » .

لقد اصبح الاشبال رجالا يحملون البنادق تماما كما عبرت « عن الرجال والبنادق » .

— ٢ —

رفيقي غسان لم يقتصر حبك الكبير على الاطفال فحسب ، بل امتد الى « ام سعد » التي كانت ترمز بشكل او بآخر الى جماهير شعبنا المسحوقة المشددة الصامدة الصابره في المخيمات انتظارا ليوم حمل البندقية المقاتله .

لقد كانت « ام سعد » رمزا ، تماما كما اصبح الصبي العاري القدمين المرتع الثياب رمزا للشعب الصابر المكافح في رسومات ناجي العلي .

لقد عشت القضيه منذ بدايتك حتى نهايتك ... كانت تجري بدمك لتسيل مقالات، سياسيه وادبا: قصصا وروايات ومسرحيات ورسومات ودراسات .

عاشت القضية فيك مرحلة النكبة والشتات ثم مرحلة الوعي بهول الفاجعة ... ثم مرحله النهوض فالثوره .

عاشت القضيه بدمك حتى حولت جسمك النحيل الى سقم في سباق مع الموت .

كانت نفسك وشفافيتك تظهر في رواياتك الى درجة ان الدكتور امين الحافظ لما قرا « رجال في الشمس » بعث اليك برسالة يقول فيها : « لست اديبا ولا ناقدا ... لكنني اقول ان روايتك رائعه رائعه رائعة » .

وانا بدوري لست اديبا ولا ناقدا ... قرات الكثير من روايات ادباء عالميين . وعندما قرات قصة « موت سرير رقم ١٢ » و « رجال في الشمس » وجدتك في مصافهم .

لقد كتب الشاعر الفلسطيني محمود درويش في مقدمة الجزء الرابع من « الآثار الكاملة » : « صديقي غسان ! كم من صديق ودعت ، ولكن لم اودع مرحلة من حياتي الا في وداعك الاخير . كان آخر ما انتظر من كوابيس ، هو ان اقدم لاعلانك السابق عن وجودي منذ عشر سنين . لقد ولدت قبل ذلك ، ولكنك انت الذي اعلن ميلادي . لم اقل لك : شكرا ، فقد كنت احسب العمر اطول » .

اجل يا رفيقي هو انت الذي اعلن ميلاد محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وكل ادب الارض المحتلة ... الم اقل ان القضية تجري بدمك .

— ٣ —

رفيقي غسان !

في نشره اخبار الساعة الثالثه من يوم السبت الثامن من تموز سنة ١٩٧٢ استمعت الى المذيع يقول : « انفجر اليوم بسيارته اشلاء احد قادة الثوره الفلسطينية ... غسان كنفاني عضو المكتب السياسي للجبهه الشعبية لتحرير فلسطين ... » فاغلقت المذياع ولم اعد احتمل التفاصيل .

★ ★ ★

ان القضيه التي من اجلها ناضلت ثم ضحيت تتعرض الآن لاخطر المؤامرات : اتفاقيات كامب ديفيد ومؤامره الحكم الذاتي وخطر تصفية المقاومه والحركه الوطنيه اللبنانية واستعراض عضلات الامبريالية الامريكيه في الخليج ... لكننا نعاهدك سنصمد وسننتصر .

★ ★ ★

اذكر يا رفيقي ! في شهر تموز ١٩٧١ بعد مجازر احراش جرش رسمت راية، تماشتها « المقاومه » وعصاتها « مستمره » وحملت الراية : « المقاومه مستمرة » على غلاف « الهدف » تدليلا على العزم والتصميم على استمرار الثورة ...

واصبحت هذه الراية فيما بعد راية الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين .

نعاهدك يا رفيقي الحبيب اننا سنظل نحمل هذه الراية حتى تحرير كامل ترابنا الفلسطيني .

مخيم « ام سعد » برج البراجنه
٨ تموز ١٩٨٠ .
ابو احمد الزعتر

Digitized by Birzeit University Library

حكاية رجل اسمه غسان كنفاني

إعداد
عبد الله أحمد أبو راشد

لقد كان غسان كنفاني كاتبا مناضلا ثوريا ، كسائر المناضلين الثوريين في العالم، أولئك الذين ارتبطوا ارتباطا وثيقا بحركات التحرر الوطني والقومي والاجتماعي لشعوبهم واهتموا بقضاياها .

كان غسان يعي ويعرف تماما ان حمل الريشة او القلم فقط دون سواهما او العمل كمهندس أو طبيب أو أديب يقتصر على طابع الكسب المهني فقط ترف لا فائدة ترجى منه ولا خير ، فالمثقف الثوري في بلدان العالم ، وخاصة دول العالم الثالث منها يرتبط ارتباطا عضويا وثيقا وكليا بقضايا أمته وشعبه ، ويسخر من اجلها كل قدراته ، وبما يستطيع من بذل وعطاء ، فهذا الكلام يعني أن يكون المهندس مهندسا ومناضلا طبيبا ومناضلا ، كاتبا ومناضلا ، مفكرا ومناضلا ، ففي كل الحالات على المرء ان يأخذ من شعبه ومن شعوب الارض قاطبة دروسا وتعاليما اريدها ثانية لشعبه ولكافة شعوب العالم في سبيل خير هذه الشعوب ، هكذا كان العديد من المناضلين الثوريين في العالم ومنهم ارنستو تشي جيفارا وهكذا كان غسان كنفاني .

ولد الشهيد غسان كنفاني في التاسع من نيسان بمدينة عكا بفلسطين عام ست وثلاثين وتسعمائة والف مع بداية الثورة الفلسطينية الكبرى ، التي دامت ثلاث سنوات في مناهضة الاستيطان والهجرة الصهيونية الى فلسطين ، ولما بلغ الثانية عشر من عمره زحفت قوى البغي والعدوان على بلدته ، ودقت النكبة ابواب الاسر الفلسطينية في عام ثمان واربعين وتسعمائة والف وخرجت اسرة غسان من أرض الوطن الى المنفى والتشرد شأنهم كسائر الاسر الفلسطينية آنذاك .

كان والد غسان محاميا ، وبعد النزوح توقف عن العمل مما دفع أفراد أسرته للعمل بمهن مختلفة لتأمين لقمة العيش، وليتمكنوا من متابعة تعليمهم ودراستهم.

لقد شغف غسان بالسياسة منذ حداثته لانه على حد تعبيره (يعيش بالمخيم) والسياسة فيه ليست مجرد عناوين صحفية بل احداث تتحكم في ان يكون الفلسطيني في داره اليوم ، وفي بلد آخر في اليوم التالي .

عمل غسان كنفاني مدرسا وهو لم يتعد السابعة عشر من عمره ، ومن هنا برز لديه الوعي الفكري والنضالي من خلال معايشته لطلابه ، وتكشفت لعينيه صورا وحقائق كثيرة من مرارة وقسوة وبؤس العيش والتشرد الذي يعيشه ابناء وطنه في المخيمات ، وتعرف عن كثب على كثير من القضايا والمشكلات، فكانت له نبراسا يحتذى ، ومشعلا مضيئا لكتاباته ومؤلفاته .

التقى بالدكتور جورج حبش مع بداية الخمسينات، وانضم الى حركة القوميين العرب التي كانت حركة مناهضة للاستعمار ، وفي عام ست وخمسين وتسعمائة والف نشر قصته الاولى (شمس جديدة) في جريدة الرأي لسان حال الحركة ، وسافر في نفس السنة الى الكويت للعمل بها مدرسا للرسم والتربية الرياضية ، وهناك عرف المنفى الحقيقي ومرارة الغربة ووحشة الاغتراب وعاش حياة قاسية بكل ما فيها ، وعرف الصحراء وقسوتها التي لم يعهدها من قبل ، وكانت معاناته كبيرة وسط هذه الظروف، وكان الماضي ملاذه الوحيد وتنعكس همومه بمخطوطات قصصية لمحاولات طموحة في امتلاك الادوات الفنية فيخطىء حينا ويتعثر حينا آخر ، وكانت فترة وجوده بالكويت غنية بالمطالعة والرسم، وقرأ كتابات ماركس، انجلز ، لينين ، وادباء ومفكرين آخرين . وفي عام الف وتسعمائة وستين عاد من الكويت الى بيروت ليستقر بها حتى استشهاده ، حيث اتجه للعمل الصحفي ، فعمل في بادىء الامر محررا في جريدة الرأي الناطقة باسم حركة القوميين العرب خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٦٠ — ١٩٦٣ ، ثم في جريدة المحرر ما بين عامي ١٩٦٣ — ١٩٦٧ ، وترأس تحرير ملحق فلسطين الاسبوعي فيها ، ثم عمل في جريدة الانوار من عام ١٩٦٧ — ١٩٦٩ ، وصدر في السادس والعشرين من تموز من عام الف وتسعمائة وتسعة وستين العدد الاول من مجلة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتولى غسان كنفاني رئاسة تحريرها ، وقد كان عضوا بارزا فيها منذ ظهورها وساهم مي صياغة وكتابة برامجها وبياناتها ، وعمل كحلقة وصل بين المنظمات الثورية في العالم وكان الناطق الرسمي باسمها ، كان عطاؤه كبير ونشاطه مستمر وفعال ، وكتب خلال اقامته في بيروت مقالات سياسية واجتماعية ، والف العديد من القصص والروايات والمسرحيات وقام بعدة دراسات نقدية أدبية وسياسية، وكان يرسم من حين لآخر ، كان مصابا بمرض السكر، سجن عدة مرات ، لم يثنه كل هذا عن القيام بواجبه خير قيام وظل يناضل ، ويستمر في عطائه خاصة بعد انطلاق الكفاح المسلح الفلسطيني وما انتجته حرب حزيران .

كان غسان كنفاني مناضلا مثقفا ثوريا صلبا ، هذا يعني انه لا بد للامبريالية العمل على التخلص منه ، لانه يحمل سلاحين ، سلاح الكلمة وسلاح البندقية، وفي صباح اليوم الثامن من تموز من عام اثنين وسبعين وتسعمائة والف ، تمتد اليه يد البغي والعدوان لتزرع في سيارته الغام الحقد والكراهية والموت لتنفجر به ، ولتتطاير أشلائه عاليا بالفضاء ، ليخط غسان كنفاني بدمه سطورا للخلد والتضحية والفداء ، ويكون جسر العبور لأرض الوطن ، لقد استشهد غسان وهو في ريعان الشباب في الخامسة والثلاثين من عمره بعد أن اغنى المكتبة العربية والعالمية باربع مجلدات جمعت بها اعماله الادبية والفكرية الكاملة لتكون نبراسا يحتذى لكل دارس وأديب .

دمشق — ٨ حزيران — ١٩٨٠ —

دردشة على الطريق

عبد الرؤوف حماده

الساعة كانت على ما اعتقد الثانية عشرة ليلا ، عندما بادرني بسؤال والابتسامة لا تفارقه . وقال لي هل انت ستنام الليلة هنا ام ماذا ؟ ابتسمت بدوري وقلت له بالطبع لا ، اني اعتزم ان انام الليلة عند قريب لي يسكن خارج بيروت ، قال لي اذن استعد لنخرج معا . ما هي الا دقائق معدودة حتى كنا ننطلق بسيارته "اوستن". ما ان بلغنا على مقربة من الاوزاعي حتى خفف من سرعة السيارة واخذ محاذاة الشارع الملتصق تقريبا على شاطىء البحر . كان الليل هادئا والطريق خالية من السيارات والمارة، لا ضوضاء ، لن تسمع غير هدير الموج . نظرت الى غسان وأيته يسرد طويلا ، يفكر وبينما انا اتأمله انتظر ماذا سيقول ، نظر الي وقال والابتسامة لا تفارقه وكأنه لاحظ علي بأن ثمة أشياء سأتحدث بها معه . كان سريع الانتباه ، قال لي لماذا تنظر الي ، هل اعجبك البحر ، ما رأيك بالجلوس على الشاطىء ندخن سيجارة . كنت اسرع منه في النزول من السيارة اتجهنا نحو الشاطىء . جلسنا على الرمل اشعل كل منا سيجارة وبدا غسان يجول في نظره الى عمق البحر يتأمل سكون الليل بنصت لهدير الموج ، كنت اتأمله يشرد بعيدا يحبس أشياء كثيرة في رأسه كان يريد ان يكتب بعيدا عن الضوضاء ، كان يريد ان يقول الكثير عما يجول في رأسه ولكنه كان يعدل في اللحظة الاخيرة . قلت له رفيق غسان ، بماذا تفكر الان، لم يجب بادىء الامر كان يريد ان يتجاهل الاجابة على سؤالي ، ابتسم وقال لي هيا بنا نكمل الطريق وعلى الطريق ندردش معا . صعدنا السيارة ، وما ان بلغنا منتصف الطريق حتى اعدت عليه سؤالي ، قلت له بالحرف الواحد رفيق غسان لاحظت عليك وانت جالس على الشاطىء تفكر بعيدا كأنك تعيش في عالم ثاني، ابتسم بدوره وقال لي وهو يضحك وقال لي طبعا نحن كلانا انا وانت نعيش الان في عالم ثاني . قلت له كيف ، قال لي: الناس الان في هذا الليل نائمون ، انهم أموات وأشباح ونحن أحياء ، ابتسمت مازحا لاجابته. وقلت له اريد ان اسألك سؤالا واحدا ، العالم كله يعرف غسان المفكر والاديب والسياسي البارع . كيف اصبحت ذلك ابتسم لسؤالي وقال لي شو رايك: بدك تصبح مثل غسان . قلت له بالطبع طبعا كل شخص يطمح لان يكون غسان .

صمت برهة ، ثم بدا يقص قصته كيف انه كان يعلم في مدرسة وكيف بعدئذ عمل في مطبعة ، وكيف كان يقرأ ويكتب ويتابع الاحداث والتطورات لحظة لحظة ، قال لي تعبت كثيرا حتى وصلت هذه الدرجة كما تعلم . الانسان يريد ان يكافح ويعمل بجد حتى يصل الى ما يريد . بادرني قائلا كما اعلم انك تطمح في هذه المجلة لان تكون نوعا ما احسن مما انت عليه الان ، انك مجتهد في عملك وتحب الطموح ، لذلك ارجو منك ان تكون كما اعرفك اريد منكم انتم العاملون في « الهدف » جيل المستقبل . ان تكونوا كلكم غسان . كنت استمع اليه وهو يتحدث وانا شارد بأفكاري ولم انتبه اين صرنا . انتبه غسان الي شارد . لكمني بيده كأنه يريد ان يوقظني من غيبوبتي قال لي اين يسكن قريبك انتبهت بسرعة وكنا تقريبا قد اصبحنا على مقربة من البيت تأهبت للنزول وكأني لا اريد ان افارقه احببت ان اظل ملتصقا به ودعته ودعني وقال لي غدا صباحا نلتقي ...

في ذكرى الأديب الشاعر
الشهيد غسان كنفاني

أبى الخنوع لقهر الظلم فامتشقا ... أمضى السلاح يراع الحق والورقا
يا غرسة في ثرى عكاء قد نبتت ... ندى الجليل سقاها عطره عبقا
هناك في أقدس الأوطان شب فتى ... قد أرضعته العلا من درها غدقا
مضى بسحر فلسطين يهيم وفي ... حب العروبة مزهوا ومعتنقا
اذ ليس في الكون أبهى من ثراه ثرى ... وليس كالعرب قوم عزة ونقا
قضى هناك ربيع العمر في دعة ... وما درى أن في الفردوس مفترقا
لهفي على وطن الامجاد كيف غدا ... نهبا لأبشع شعب في الورى خلقا
وكيف نامت شعوب العرب واصطبرت ... على خناجر تفري القلب والعنقا
أم كيف هانوا على حكامهم فخبت ... آمالهم ولقوا من كيدهم رهقا
يا ويحهم طعمة قد حالفوا نظما ... هي النقيض لنا فكرا ومعتنقا
أحلامهم قد حبوا صهيون واغتصبوا ... قوت الشعوب وما انقوا بهم رمقا
يا للجريمة اسرائيل قد حكمت ... أرضي وشعبي غدا في غربة حرقا
وغادر الساح غسان بساوره ... حزنا أصاب شغاف القلب واخترقا
وفي الفؤاد لهيب الحقد يدفنه ... وفي العيون شوط السخط قد برقا
وثار يفلي كبركان له حمم ... كوى بها الخصم في عنف وما رفقا
واختار وهو الاديب الالمعي شيا ... من اليراع غداة الروع وامتشقا
براع غسان في سوح النزال له ... فعل الحسام اذا ما استل أو خفقا
يا روعة الادب العلوي ما برحت ... سطوره النار صهيون بها احترقا
بالغدر كادوا له والغدر شيمتهم ... فاستشهد البطل المغوار اذ صعقا
لكننا سنوالي السير في نهج ... غسان قد شق فيه للعلا طرقا

مصطفى يوسف الطاهر

Digitized by Birzeit University Library

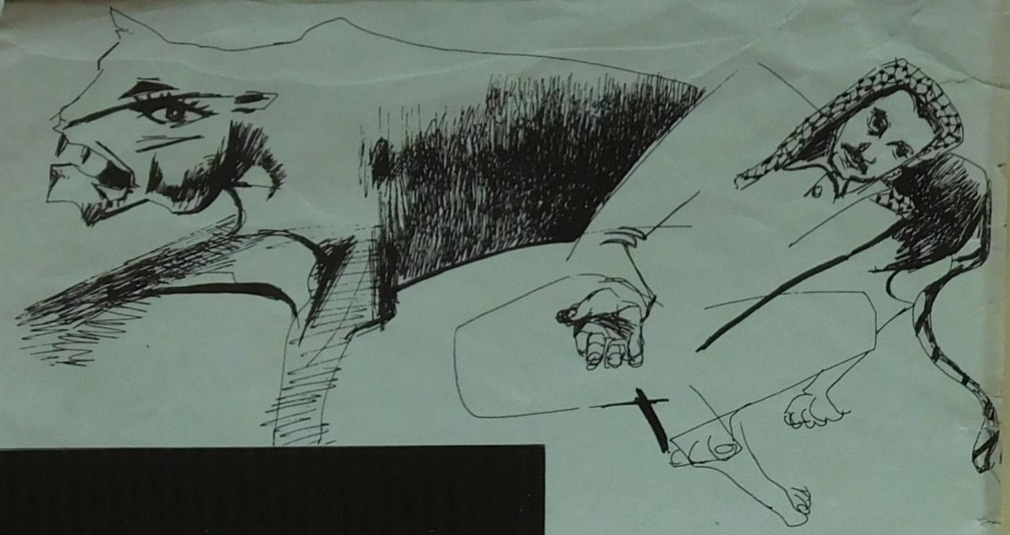

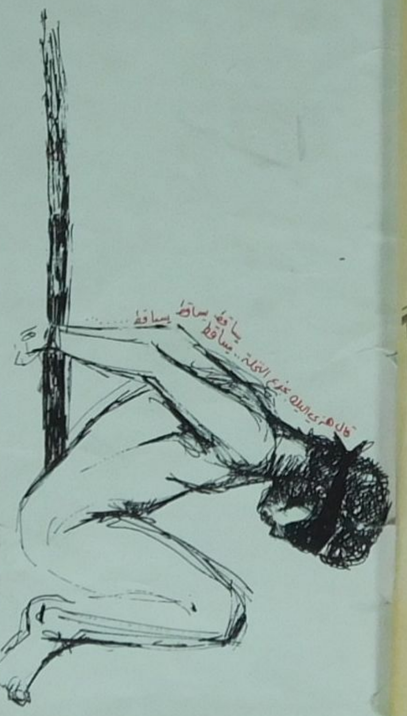

الطريق التي جبتها لما تمل إنها السالكون

صفحتان بقلم: يوسف الناصر

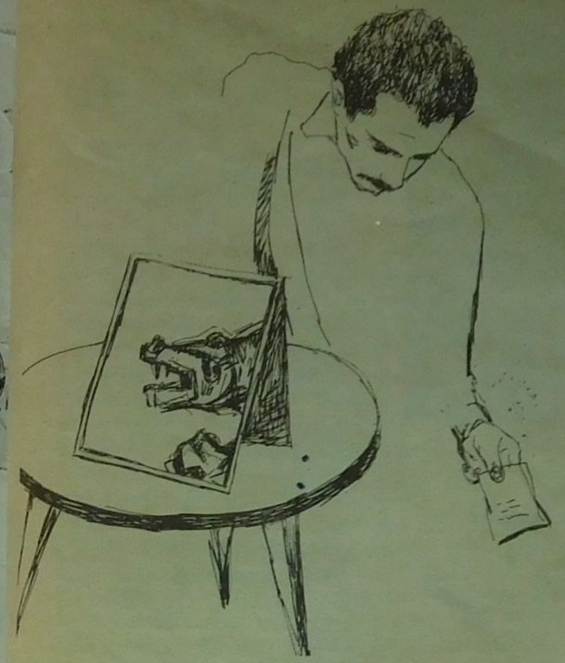

Digitized by Birzeit University Library